الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

اصحاب الامتياز

منير البعلبكي ، سهيل ادريس ، بهيج عثمان

AL-ĀDĀB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban. B.P. 1085

المدير المسؤول : بهيج عثمان

رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

من رسالة الادب القومية

بقلم : عبد الله عبد الدائم

من نفل القول أن نذكر ان الحياة إذ تتفتح لدى امة وإذ تنتعش اصولها ، لا يقتصر تفتحها هذا على جانب دون جانب ، وان الوجود القومي الصحيح تعوف سياه من ذلك الغليان العام الذي يحل في كل مجلى من مجالي الحياة القومية : في الادب والفن والاقتصاد والعمران وغيرها . ذلك أن الحياة لاتعرف التجزيء ولا تعرف الا الانطلاق الفسيح . وهي إذ تخصب تخصب في كل أرض وتنال سورتها كل ميدان . لذا كان من الانخداع ان ننسب الى امة بوادر نهضة قومية إذا لم نجد صدى هذه البوادر في انتاجها الأدبي خاصة ، وإذا لم نجد هذا الفكر فيها يحمل على عاتقه مهمة التعبير عن الواقع الحقيقي الذي يحياه ابناء الامة ومهمة التبشير بالواقع الذي ينتظرهم .

وأنى للحياة القومية أن تدعي لنفسها الانطلاق إذا صمت فيها الأدب ، فسكت عن آلام مبرحة تنهش وجود أبنائها وعلل دفينة تأكل من نسغ وجودهم ، وإذا صمتت الأقلام عن آهات سخية ولم تهتز اعصابها امام مناظر البؤس والعنف والانحراف في شتى صوره .

بل أنى للحياة القومية أن تومض ، إذا لم يتغنّ بالكيان القومي المنشود شعراؤها ورساموها وسائر مفكريها ، واذا لم يكن نتاج هؤلاء مبللاً بندى الحلم القومي ، معروك العود بمسؤولية الواجب الذي تفرضه المرحلة التاريخية التي تجتازها الامة ان المفكرين في كل امة وفي كل زمان اشبه بموازين حساسة تدرك ، بما اوتيت من ارهاف ، الاتجاهات العميقة الخفية التي ستتمخض عنها حياة أمتهم ، فاذا بهم يرهصون بها قبل ظهورها ، ويبشرون بقدومها وهي بعد جنين ، ويصفون معالمها وسماتها فيخرجون الشعور الغامض الذي يملكه عنها ابناء امتهم من صورته الغائمة النائئة الى النور واليقظة ، ويجعلون منها قبل ان تظهر حقيقة واقعة ويؤكدون للناس أنها لا بد بازغة آتية ويجسّدونها لهم حتى كأنها تعيش بينهم .

على أننا ما نود ان نعود هنا الى كل هذه الاقوال العامة ، وهدفنا ان نتحدث عن جانب اساسي في الصلة بين أدبنا القومي ونهضتنا القومية ، وعن رسالة نراها جوهرية ينبغي ان يضطلع بها هذا الأدب القومي في المرحلة الراهنة من حياة الامة العربية . ويهب هذه الفكرة

التي نود أن نخصها بالعناية شأناً فذاً انها تفسر لنا العقم الذي نجده في كثير من أدبنا وعجز هذا الأدب حتى الآن عن ان يلقى صدىً عميقاً في نفوس الجماهير .

ذلك ان أدبنا لم يدرك بعد إدراكاً واعياً ان رسالته الاولى هي بث الايمان بالقيم الروحية واشاعة الاهتمام بغير العادي من الاشياء والعامي من الامور. في حين ان هذا الأدب لن يقوى على أن يغمس في الجماهير نغم الحياة القومية الا اذا غرس فيهم أولا القدرة على الاستمتاع بالروح والحياة الروحية وتذوق الموهفات من الفكر والفن ، والا اذا انتزعهم من ذلك اللصوق بالطين والاتصال بحمأة الحياة العادية التافهة . فالآفـة التي تشكوها نفوس أبناء أمتنا في المرحلة الحالية ما هي الا هـذه النظرة الأرضية السفلية التي تقيم الوزن الأكبر لحياة مادية سمجة ولا تدرك شيئاً من جمال الحياة الفكرية . وان نقطة البدء الأساسية في اشعال الايمان بالقيم القومية هي نشر الايمان بالقيم الفكرية عامة واشاعة الاستمتاع بما هو جميل وخيّر وحق . وان من يتعود أن يهتز للفكرة السامية والقول الحق في الأدب هو الذي يهتز للمثل القومية الصحيحة والعمل القومي النبيل .

ان رسالة الأدب قبل كل شيء أن يُشعر الناس أن هنالك نوعين من الوجود : وجود تافه عادي ينساق فيه الانسان مع مصيره اليومي ، مستكيناً الى نمط من العيش رتيب ، دائراً في حلقة مفرغـة أولها آخرها وآخرها أولها ، خاضعاً للظروف مستعبداً لمتطلبات الحياة المادية الرخيصة ؛ ثم وجود حر صحيح فيه يعيش الانسان مع ذاته ويحقق وجوده اذ ينسجم مع هذه الذات ، وفيه لايعمل الا عن روية حرة ، وينسلخ عن إهاب الجبرية والخضوع للشيء الخارجي ، فيسيّر الأشياء بدلاً من أن تسيّره ويفرض عليها قيمه قبل أن تفرض عليه قيمها . وفي هذا الوجود يغتذي من معان في الكون أعمق وأمتع مما في الوجود العادي من متاع ، ويستشرف مجالي هي أبهى ما في حياة الانسان .

والحق ان تأمل حياة شعبنا في هذه المرحلة الحالية يبين أنها أحوج ما تكون الى مثل هذا التوجيه الأدبي الذي من شأنه أن يشيع في النفوس حرارة القيم الحقيقية وأن يخرجها من فتور الحياة المبتذلة التافهة . وان هـذه الحياة التي يحياها شعبنا اليوم لتصرخ بالأدب مستنجدة قبل الغرق ، تطلب اليه ان يخلص لرسالته فينث في هذا الفتور دفئاً ويلهب في الطين ناراً ويقلب هذه الحياة اللزجة الثقيلة التي يحياها اكثر الناس الى حياة فيها رشاقة القيم الفكرية وجمال المعاني الروحية . انها تستحلفه ان يُعمل معوله هدماً في تلك الروح النفعية الهزيلة التي سيطرت عـلى كثير من النفوس وان يُشعرها ، عن طريق ما فيه من روعة وجمال وبهاء ، أنها نفوس وضيعة مقرورة وان ما تعيش فيه وهم خلّب ، وان فيـه خمود الحياة وانعدام تذوقها والسآمة التي ما بعدها سآمة .

ان هذه النفوس التي لصقت بالطين ليست هي المسئولة عن مصيرها هذا ، فهي لم ترَ ولم تعرف . ومن واجب الأدب ان يريها وان يعرّفها هذا الذي لم تعرفه : من واجبه ان يريها عوالم الفكر وما فيها من قوة وجمال وان يكشف ما ران عـلى قلبها من غشاوة ليعرّفها انغام ذلك المجهول الفكري ومذاق الحياة الواعية المسئولة .

ان بين الايمان بالفكر والنهضة القومية اواصر قربى متينة ، وان الارتعـاش للفكر والأدب سليل الارتعاش للحركة القومية ، وان الروح الفنية المرهفة التي تبغي دوماً صور الكمال لهي نفحـة النهضة القومية التي تبتغي الكمال القومي . وما نحسبنا مغالين ان قلنا ان النهضة القومية نظرة فنية تأبى ان تقبل الاعوجاج في الاوضاع السائدة ، وترفض بدمها واعصابها كل انحراف وشذوذ في هذه الاوضاع ، ولا يقر لها قرار الا اذا حققت الانسجام في الحياة القومية بعد ان حققته في نظرتهـا الى الاشياء وصار لها طبعاً ملازماً .

وبعد ، ان باعث كل حركة الهزة العاطفية . ولم يكن العقل وحده قادراً في يوم من الايام على ان يدفع الى عمل جديد . والهزة العاطفية النبيلة هي التي ينبغي ان يخلقها ادبنا ، وهي التي تستطيع ان تهز اركان حياتنا القومية . انها ابنة الحياة الحقة ، وعن طريقها تخلق الحياة كل جديد وتتغلب على صلابة المادة وتطوّح بالعقبات والسدود .

دمشق　　　　عبد الله عبد الدائم

مشكلة العلاقة بين ميّ وجبران

بقلم: انور المعداوي

اذا وصفت العلاقة بين ميّ وجبران [1] بانها مشكلة، فأنا لا اعدو الواقع بالنسبة الى الحقيقة التي عاشت في نفسي ردحاً من الزمن، وكانت مفرق الطريق بيني وبين غيري من الدارسين.. إنها حقيقة بدأت بالشك حول تلك العلاقة وكان لهذا الشك في تربة النفس بذور، نبتت في ظل التمحيص وأزهرت في ضوء المراجعة، وأثمرت آخر الأمر تلك الثمرة الناضجة التي نسميها اليقين. هل كانت علاقة ميّ بجبران لوناً من الصلة الشعورية التي تندرج تحت كلمة الحب حيناً وتحت كلمة العاطفة حيناً آخر، وتتصل من قريب ومن بعيد بأنوثة المرأة ورجولة الرجل، إذا ما حددنا العاطفة الأنثوية نحو الطرف المقابل بأنها تفضيل وتمييز وإيثار؟ هذه هي المشكلة.. المشكلة التي يتطلب بحثها الكثير من الوعي والكثير من الحذر والكثير من الأناة، لأن الباحث المسرع في الدراسة أشبه بالسائق المسرع في القيادة، كلاهما في سبيل الوصول الى هدفه المنشود في أقرب وقت قد يرتكب جريمة قتل، وفي خلال الطريق قد يكون المقتول بالنسبة الى السائق رجلاً وبالنسبة الى الباحث حقيقة.. والحقيقة التي قتلها الدارسون «المسرعون» هي ان عاطفة «الأنوثة» في ميّ لم تتجه يوماً الى جبران!!

إن صورة تلك العلاقة قد بدأت في نفسي كما قلت وهي داخل إطار من الشك المثير، اما مصدر هذا الشك فهو طبيعة ميّ الأنثوية. لقد بدت لي هذه الطبيعة يوماً وهي مغلّفة بالانحراف ملفّعة بالشذوذ، حتى استحالت في بوتقة الفكر الى سؤال حائر ينتظر الجواب. هل كانت ميّ امرأة؟ امرأة ورثت كغيرها من النساء تلك التركة الخالدة عن الأم الاولى وهي حواء؟ إن المرأة الطبيعية في رأيي هي تلك التي يستيقظ في اعماقها الشعور بالرجل، سواء أكانت هذه اليقظة في صورة حب مضطرم، ام كانت في صورة عاطفة جياشة، ام كانت في صورة حس مشبوب.. هذه هي المرأة الطبيعية، اما المرأة الشاذة فهي تلك التي «تنام» في اعماقها مثل هذه «اليقظة»؛ هي تلك التي تلهب دون ان تحس بين جنبيها وهج النار، هي تلك التي تثير ولا تثار.. هي ميّ في حقيقتها العميقة التي لم «تتذوق» طعم الحب لانها فقدت «شهية» الأنوثة، وهذا هو الباب المغلق الذي يحتاج ليفتح على مصراعيه الى طرق عنيف!

لقد تتبعتُ حياتها النفسية وهي بين الرجال، وهي في صالونها الادبي في ايام الثلاثاء، وكان من بين أولئك الذين يحيطون بها رجال ممتازون.. بعضهم لا تنقصه الرجولة، وبعضهم لا تنقصه الشهرة، وبعضهم لا تنقصه المكانة الادبية والاجتماعية. وكل هذه الصفات جديرة بلفت نظر المرأة واجتذاب اعمق ما فيها من غرائز الأنوثة، تلك التي تنشد في الرجل وجهاً معيناً من وجوه الاثارة. كانت تجتمع بهم، وتتحدث اليهم، ثم لا شيء وراء الحديث المألوف واللقاء المتكرر مما يتصل بالشعور الأنثوي والعاطفة الوجدانية.. ولقد شغف بها بعضهم ذلك الشغف الذي يذهب احياناً بالكرامة ويعصف بالوقار، ومع ذلك فقد ظل القلب العجيب على



الآنسة مي

[1] كتب هذا المقال بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين (نيسان ١٩٣١ نيسان - ١٩٥٣) لوفاة جبران.

هموده وخموده ، وكأنه لا يعرف النبض ولا يعترف بالخفوق ! هذا ولي الدين يكن يقول لها يوماً في إحدى رسائله :

« سيدتي ملكة الالهام .. ما أسكت هذا القلم عن مناجاتك إلا حرب الايام . إنه منذ ايام كثيرة اسيرها الذي لا يرجى فكاكه . غير اني كنت اناجي روحك كلما بدت لعيني اشياء من محاسن هذا الوجود .. كم وقفت امام الابيض المتوسط أرتجل العبرات . هذه أشعاري لا أهديها اليك ، إني لأشفق ان احييك بغير الابتسامات . وكم دخلت الروض اساجل قماريه . تلك أغان أرجّعها لديك ، إني لأخاف ان اغنيك بغير المسرات . والآن عندي قبلة هي أجمل زهرة في ربيع الأمل أضعها تحت قدميك . إن تقبليها تزيدي كرماً وإن ترديها فقصاراي الامتثال . وبعد فاني في انتظار بشائر رضاك ، وطاعة ٌ لك وإخلاص » !

اسلوب في الأدب والحب عند ولي الدين يكن يلتقي مع اسلوب مماثل عند الرافعي . واستمع له هو الآخر وهو يوجه الخطاب بعد المقدمة الشعرية إلى مي فيقول :

يا نسمةً في ضفاف النيل سارية   مسرى التحية من ناءٍ الى ناءِ
يا ليت رياك مست قلب هاجرتي   فتشعريه بمعنى رقة الماء
ليسب تحب سوى ألا تحب فما   أعصى الدواءِ على من حبه دائي

« هذا ، وان النفس لتنازعني اليك ، ولكن لم اتطفل على احد من قبلك ، ولن اتطفل عليك مرتين ، تقول الشمس والقمر والنجوم ، فاذا أنتِ تريدين ان نراك من مرصد فلكي !.. واي بليغ يراك ولا يعرف فيك فناً جديداً في حسن معانيه ومبانيه ، ويعرفك ولا يرى فيك ابدع البديع فيما يعانيه من افتنانه ؟ لله الحمد ان جعلنا نتلقى الماء ولم يجشمنا ان نصعد من أجله السماء » !

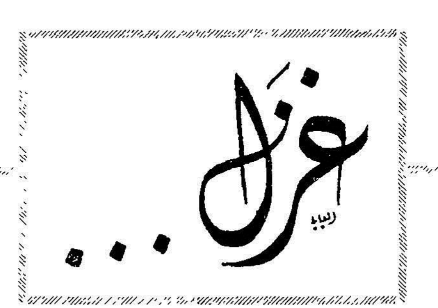
اسلوبان كلاهما في الحب ذليل وفي الأدب مصنوع . وكم قلت لنفسي وانا استعرض ما فيهما من المواكب اللفظية ، المواكب التي كانت تمر تحت شرفة ميّ وهي تقدم تحية المقهور وولاء التابع وضراعة المبتهل : أتكون ميّ قد نظرت إلى الرجلين نظرة المرأة المدلّة بكبرياء الانوثة الى كل حب ذليل ؟ أم تكون قد نظرت اليهما كأديبين نظرة الاديبة المعتزة بشرف الثقافة إلى كل ادب غير خلاق ؟ فرضان إذا وضعتها تحت مجهر الفكر لم يظفر احدهما بما ينشده الباحث من وسائل الاقناع . تريد ان تطمئن إلى كلا الفرضين فيقلقك هذا الخاطر الذي يثب من مكمنه ليعترض عليك : ألم يكن في حياة ميّ محب كريم على نفسه ؟ محب لا تنحني بين شفتيه ظهور المعاني ولا تخرّ على قدميها الكلمات ؟! ألم يكن في حياة ميّ أديب تثق بفنه ؟ أديب لا تختنق في أدبه الأخيلة تحت ضغط الصنعة المسرفة ، ولا تتحول الصور إلى جثث محنطة قد اطبقت عليها توابيت الألفاظ ؟! يعترض عليك هذا الخاطر فلا تملك إلا ان تعترف بالواقع ؛ الواقع الذي يشير في حياة ميّ إلى وجود جبران ... وعندئذ تتبخر في الفضاء كل الظنون وتنهار تحت اقدام الفكر كل الفروض !

لقد كانت طبيعتها الانثوية-واحدة هنا وهناك ... فتور عجيب يزلزل في نفسك قوائم الايمان بانها كانت امرأة ، امرأة يضطرب بين جنبيها الاحساس الخالد بالانوثة وينطلق من وجودها الداخلي نداء الاعماق ! إن بين ايدينا رسائلها ورسائله فتعال نبحث بين السطور عن أثر الانثى الطبيعية ، وتعال بعد ذلك نفتش بين ركام الالفاظ عن المفتاح .. المفتاح الذي نديره في ثقب الباب المغلق ليفتح على مصراعيه ، اذا لم يؤمن الذين نادوا بحب ميّ لجبران بنتيجة الطرق العنيف !

« أنا ضباب يا مي .. أنا ضباب يغمر الاشياء ولكن لا يتحد وإياها .. انا ضباب وفي الضباب وحدتي ، وفيه انفرادي ووحشتي ، جوعي وعطشي .. ومصيبتي هي ان الضباب وهو حقيقتي يتوق إلى استماع قائل يقول : لست وحدك ونحن اثنان. انا اعرف من انتِ !

اخبريني يا ميّ ، أفي ربوعكم من يقدر ويريد ان يقول لي : انا ضباب آخر ايها الضباب .. فتعال نخيم على الجبال وفي الاودية. تعال نسير بين الأشجار وفوقها ، تعال نغمر الصخور المتعالية ، تعال ندخل الى قلوب المخلوقات وخلاياها ، تعال نطوف في تلك الأماكن البعيدة المنيعة غير المعروفة .. قولي يا ميّ : أيوجد في ربوعكم من يريد ويقدر ان يقول لي ولو كلمة واحدة من هذه الكلمات » ؟!

أرأيت إلى هذا الاسلوب الجديد في الأدب والحب ؟ أرأيت إلى جبران الانسان تحترق في موقد العذاب خلجات نفسه ، وإلى جبران الفنان تنتثر في متحف الابداع لوحات أفكاره ؟ إنه الرجل الذي يعيش في الضباب ويود من كل قلبه ان يلمح من خلال الضباب شبح أنثى ، أو بارقة عطف ، أو طيف امل .. وها هو ذا ينادي ؛ ينادي أنثاه نداء الوحدة والغربة ، والانفراد والوحشة ، والجوع والعطش . ترى هل فهمتْ لغة نفسه ، ووعت منطق شعوره ، وتذوقت في النداء حرارة الدعاء ؟ إن الانوثة الخامدة تقدم اليك هذا الجواب :



خبري انني ...

إسقني ، يا نديمُ ، بعتـْكَ عمري
عشْ به أنت في بساط النـّدامى
خبَري أنني رويتُ من الكرم
ويا طالمـــا شممــتُ الخزامى
صحوةُ الرّوض والنسيم وسكرٌ
مثلمـــا يزحم الغمامُ الغـــماما
وخـــذِ اللـُّؤلؤَ المنوّر بالكفّ .
وعجّل به ، ورُش الظلامـــا

المعطف

بيَ المحبوبةَ السمراءَ
من بُنّ اليمانينـــا
فمُ الابريق أم فمهـــا
أضاع الرأيَ ساقينا
وفَتُّ المسكِ بالكفّين
أم جرّت فساتينـــا
وشهرُ النـّور والبستان
أم حلـّت بوادينـــا

★

بروحي معطفَ الدّيباجِ
والدّيباجَ ، واللـّينا
وما مسـّت بطائنُهُ
وما دارت به حينا
وما يخفيه من كُتُبٍ
ولا يخفي العناوينـا
وما في طاعة الأزرار
من حكمٍ جرى فينا
وما بالصّدر من أثمار
وشيٍ ، كدنَ يهوينا
عناقيدٌ ، ودحرجةٌ
فيا عنباً ، ويا تينا ...

امين نخله

« لقد قصصت شعري .. وعندما ترى من صديقاتك بعد اليوم يا جبران من هن في هذا الزي يمكنك ان تذكرني ، وان تقول لهن في سرك إنك تعرف من يشبههن ! كنت إلى شهور راغبة في التخلص من هذه الذوائب التي يقولون إن لطولها يداً في قصر عقل المرأة ، وهو افتراء طبعاً ، ولكن عندما رأيت شعري بحلكته وتموجه الجميل وعقاربه الجريئة مطروحاً امامي تداعبه يد المزين شعرت بأسف على هذه الخسارة ! غير أن المزين طيّب خاطري بعبارات تكسرت فيها الكلمات الالمانية والايطالية ، وهو روماني على ما يقول ، فهل كان في وسعي ان اضحك ؟ لقد مضى يصف لي جمال الشعر القصير ومنافعه ومميزاته لا سيما وأنه ، على ما زعم المزين الصالح ، يليق لي كثيراً ...

وسألته إلى كم امرأة يقول كل هذه الكلمات فأجاب : « إنني فيلسوفة » ! أرأيت هذه الفيلسوفة التي تسعى إلى قص شعرها ثم تحزن عليه ، ثم تضحك لأن المزين يعزيها عن فقده بكلمات مسرحية » ؟!

هذه هي المرأة التي كان يخاطبها جبران .. المرأة التي كان يخاطبها بلغة الشّعر فتخاطبه بلغة الشّعر ، ويحدثها عن قلبه وهو بين يدي الأشواق فتحدثه عن رأسها وهو بين يدي الحلاق ، وإنه لحديث الانوثة المكفنة بأثواب العدم ومن حولها صرخة من اصدق صرخات الوجود !

أنوثة مقتولة ولو التمست لها ميّ شتى الاسباب والمعاذير ؛ ولو حاولت ان تبرر شذوذها وهي تقول لجبران في رسالة سابقة تمهد بها لهذا الشذوذ :

« جبران ! لقد كتبت كل هذه الصفحات ضاحكة لأتحايد كلمة الحب.. إن الذين لا يتاجرون بمظاهر الحب ودعواه في السهرات والمراقص والاجتماعات ينمّي الحب في اعماقهم قوة ديناميتية رهيبة ، قد يغبطون عليها الذين يوزعون عواطفهم في اللألاء السطحي لأنهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تنفجر ، ولكنهم يغبطون الآخرين على راحتهم دون ان يتمنوهـــا لنفوسهم ، ويفضلون وحدتهم ويفضلون السكوت ويفضلون تضليل قلوبهم عن ودائعها ، والتلهي بما لا علاقة له بالعاطفة ...

ما معنى هذا الذي اكتبه ؟ إني لا اعرف ماذا اعني بـه . ولكنني اعرف انك محبوبي واني اخـاف الحب . إني انتظر من الحب كثيراً فأخاف ألا يأتيني بكل ما انتظر ! اقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير . الجفاف والقحط واللاشيء في الحب خير من النزر اليسير.. كيف اجسر على الافضاء اليك بهذا ، وكيف أفرط فيه ؟ لا ادري ! الحمد لله اني اكتبه على الورق ولا أتلفظ به ، لأنك لو كنت الآن حاضراً بالجسد لهربت خجلا بعد هذا الكلام ولاختفيت زمناً طويلاً ، فما ادعك تراني إلا بعد ان تنسى !

حتى الكتابة ألوم نفسي عليها احياناً ، لأني بهـا حرة كل الحرية .. اتذكر قولُ القدماء من الشرقيين : إنه خـير للبنت ألا تقرأ ولا تكتب ؟ إن القديس توما يظهر هنا ، وليس مـا ابدي هنا أثر الوراثة فحسب ، بل هو شيء أبعد من الوراثة ! ما هو ؟! قل انت ما هو هذا .. وقل لي ما إذا كنت عـلى ضلال أو هدى فاني اثق بك واصدق بالبداهة كل ما تقول » !

أصدق ما يقال هنا عن هذا التمهيد انه متعمـد ومقصود ، او انه حركة بارعة من حركات التغطية والتعمية والايهام .. تزعم ميّ انها تخشى الحب ولو صدقت لقالت انها لا تستطيع ان تتذوقه ، لأنها كما سبق القول قد فقدت أبرز الخصائص عند المرأة الطبيعية ! تخشى الحب ولماذا تخشاه ؟ ألأنـــه قد يأتيها بالنزر اليسير وهي لا ترضى بما دون الكثير ؟ وما هـذا الكثير إن لم يكن هو الرباط المقدس في منظار حواء ؟ ! لقد لوّح لها جبران يوماً بهذا الأمل المشتهى عند كل أنثى فلم يلق منهـا غير الصد والاعراض .. لقد أرادتهـا صداقة فكرية وأرادها جبران علاقة وجدانية ، وها هي مي

ترفض عرضه وتدور حول هذا المعنى بهذه الكلمات :

« .. لقد فهمتَ ما أريد وإنما في غير معنـــاه الحقيقي ، وفهمته على وجه لم أقصـده ! ثم سطت عليك الكبرياء ، كبرياء الرجل ، فنسيت ان السكوتَ لا يحسن بيننا على هذه الصورة نحن اللذين تكاتبنا أبداً كصديقين مفكرين ... آلمني سكوتك من هذا القبيل ، وأرهف انتباهي ، فأعلمني أنـك لم تشاركني ارتياحي الى تلك الصداقة الفكرية ، لانك لو كنت سعيداً بها مثلي لما كنت رميت الى أبعد منها ! وصار معنى سكوتك عندي : « إما ذاك وإما لا شيء » .. وأنت أدرى بأثر هذا في نفسي » !

تناقض بين موقف اليوم وموقف الامس ، وكلمات يطلقها اللسان هناك ويكذبها هنا واقع الشعور ، وما زلنا بعد هـذا كله نفتش بين ركام الالفاظ عن المفتاح .. مفتاح الطبيعـــة الانثوية الشاذة التي لم ينبض فيها عرق بعاطفـة نحو رجل من الرجال ! وقبل ان نقدم اليك هذا المفتاح نحب ان نرجـع الى تلك العبارة التي ذكرت فيهـا مي اسم « توما » القديس وأثر الوراثة في حياتها النفسية . هناك كما تقول لجبران ما هو أبعـد من أثر تلك الوراثة في تكوين نفورها من الحب ؛ هذه الكلمة التي تحمد الله على انها لم تنطلق من بين شفتيها وانما انطلقت من بين شفتي القلم .. هناك « شيء » آخر ؛ شيء آخر تسأل عنـه جبران وتستنجد بذكائه ليلهمه الجواب ، ومعذرة للذكي النابغ اذا لم يفطن لهذا « الشيء » وهو بالنسبة الى المشكلة مفتاح الباب! معذرة لجبران اذا لم يفهم لغة مي النفسية لانه كان يحب ، وفي الحبُ تقرأ القلوب وحدها ولا تقرأ العقول .. ان عقل جبران لو لم يكن امام لغة مي معصوب العينين ، لرأى هذا « الشيء » البعيد وكأنه يراه من مدى قريب !

ما هو هذا الشيء ؟ رجعة اخرى الى الوراء .. الى رسالة قديمة من رسائل مي لنلتقط من بين سطورها المفتاح ! لقد أغاظها جبران يوماً بكبريائه ؛ كبرياء الرجل الذي يريد ان يشعر المرأة بانه قادر على السيطرة والامتلاك .. ازاء رجل من هذا الطراز لا تستطيع المرأة المعتزة بكرامتها الا ان تثور ، واذا ما ثارت المرأة فهي الثورة التي تعصف بالوعي وترفع عن وجه حقيقتها « الداخلية » كل قناع ! هكذا تجد كل امرأة وهكذا تجد

مي"، وتختلف الحقائق بعد ذلك تبعاً لاختلاف التكوين النفسي عند شتى النساء .. لقد ثارت على جبران ، وفي خلال ثورتها على مرجل وجودها الداخلي ولم يكن محكم الغطاء، فتطايرت قطرات السر الرهيب في هذه الكلمات :

«.. لما كنت أجلس للكتابة كنت أنسى من وابن انت .. وكثيراً ما أنسى ان هناك شخصاً ، ان هناك (رجلا) أخاطبه! فأكلمك كما أكلم نفسي، واحياناً كأنك(رفيقة) لي في المدرسة»!!

هكذا تكلمت مي" ، واذا تكلمت مي" فليس هناك زيادة لمستزيد .. ان ذلك « الشيء » الذي سألت عنه جبران قد أجابت عنه هنا في لحظة غضب ثائرة ؛ ولم يكن في كلمة واحدة غير « الانوثة المقتولة » ! واذا ما قتلت الانوثة في اعماق المرأة فقد قتل احساسها بالرجل وانمحت الفوارق الجنسية في عالم الشعور .. يبدو الرجل في منظارها وهو لا يختلف عنها في شيء لانها حُرمت حاسة الجنس وسُلبت توجيه الغريزة ، وقل بعد ذلك انه فقد الشهية نحو الاشياء وما يترتب عليه من أثر في سلوك الاحياء : تفقد شهية الطموح فتزهد في المجد ، وتفقد شهية القراءة فتشغل عن العلم ، وتفقد شهية الاكل فتعزف عن الطعام .. وكذلك المرأة حين تفقد شهية الانوثة فتنسى الرجل وتنفر من الحب ! لقد كانت مي في تلك السطور الاخيرة التي كتبتها لجبران هي المرأة التي « نسيت » ان هناك « رجلا » تخاطبه ؛ وكل امرأة تتعرض لهذا الشذوذ فهي واحدة من اثنتين : امرأة يتجرد ازاءها الرجل من أعمق صفات الرجولة فاذا هو في بوتقة احساسها « رفيقة » من عالم النساء ، وامرأة تتجرد ازاء الرجل من ابرز خصائص الانوثة فاذا هي في البوتقة نفسها «رفيق» من عالم الرجال ، ومن هنا ينقطع « التيار » العاطفي بينها وبينه وكأنه تيار كهربائي بين قطبين سالبين .. وهذا هو المفتاح!

ترى هل كف" جبران بعد ذلك عن السير مع عاطفة مي" « السالبة » او المسلوبة الى نهاية الطريق ؟ كلا ، لأنه ما زال يحدّق في لغة نفسها بعقل معصوب العينين :

« لدي امور كثيرة أريد ان أقولها عن العنصر الشفاف وغيره من العناصر. ولكن عليّ ان أبقى صامتاً عنها ، وسوف أبقى صامتاً حتى يضمحل الضباب ، وتنفتح الأبواب الدهرية ويقول لي ملاك الرب : تكلم فقد ذهب زمن الصمت ، وسر فقد طال وقوفك في ظلال الحيرة ! متى يا ترى تنفتح الأبواب الدهرية هل تعلمين ؟ هل تعلمين متى تنفتح الأبواب الدهرية ويضمحل الضباب ؟ ! .. ها قد بلغنا قمة عالية فظهرت امامنا سهول وغابات واودية، فلنجلس هنيهة يا مي" ولنتحدث قليلاً. نحن لا نستطيع البقاء هنا دائماً لأنني أرى عن بعد قمة اعلى وعلينا ان نبلغها قبل الغروب » !

إنه ما يزال يسأل عن ابواب الامل متى تفتح ؛ الابواب التي تقف من ورائها امرأة تنتظره وفي شفتيها همس ، وفي عينيها لهفة ، وفي يديها ذلك المنديل الالهي الذي تجفف به عرق النفس وتمسح غبار الروح، بعد رحلته الطويلة المضنية في طريق الحياة.. انه يريد ان يجلس قليلاً ليستريح ، ويتحدث، عن تلك القمة التي يود ان يبلغاها معاً قبل ان تحتضر شمس العمر على فراش الغروب ! ولكن الايام تمر والابواب لا تنفتح ، وليس هناك من ينتظر ، والقمة التي بلغها ، وحيداً بلا رفيق أو حبيب ، كانت قمة اليأس والخيبة وضيعة الرجاء.

وانتهى الحديث عن اللقاء وابتدأ الحديث عن الرحيل، وها هو جبران ينثر بين يديها أشلاء شعور تمزقت أوصاله على بقايا الصخور :

« أتعلمين يا مي" أني ما فكرت في الانصراف الذي يسميه الناس موتاً ، إلا وجدت في التفكير لذة غريبة وشعرت بشوق هائل الى الرحيل ؟ ولكني اعود فأذكر ان كلمة لا بد من قولها ، فأحار بين عجزي واضطراري وتغلق امامي الابواب ! لا، لم أقل كلمتي بعد، ولم يظهر من هذه الشعلة غير الدخان . اقول لك يا مي"، ولا اقول لسواك، إني إذا انصرفت قبل تهجئة كلمتي ولفظها فإني سأعود لأقول الكلمة التي تتمايل الآن كالضباب في سكينة

روحي .. أتستغربين هذا الكلام ؟ إن اغرب الاشياء اقربها الى الحقائق الثابتة ، وفي الارادة البشرية قوة اشتياق تحوّل السديم فينا الى شموس » !

وأخيراً ودع جبران الدنيا ورحل عن عالم الأحياء .. اما ميّ فقد بقيت من بعده وحيدة . لقد اضحت حياتها فراغاً من كل شيء : فراغاً من عطف الأبوة وحنان الأمومة، من صحبة الرفيق ونجوى الصديق ، من ألق الشهرة وفتون المجد ، من رونق الصبا وهتاف المعجبين ... وما كان أصدقها وهي تعبر عن هذا الفراغ في رسالة الى نسيبها الدكتور زيادة فتقول :

« إني اتعذب شديد العذاب يا جوزف، ولا ادري السبب، فأنا اكثر من مريضة وينبغي خلق تعبير جديد لتفسير ما احسه فيّ وحولي . إن هناك امراً يمزق احشائي ويميتني في كل يوم ، بل في كل دقيقة ! لقد تراكمت علي المصائب في السنوات الاخيرة وانقضّت عليّ وحدتي الرهيبة – التي هي معنوية اكثر منها جسدية – فجعلتني اتساءل كيف يمكن عقلي ان يقاوم عذاباً كهذا ! وكان عزائي الأوحد في محنتي هذه مكتبي ووحدتي الشعرية ، فكنت اعمل واعمل كالمحكومة بالاشغال الشاقة لعلي انسى فراغ مسكني ، انسى غصة نفسي ، بل انسى كل ذاتي » !

وقفة متأملة عند بعض الصور التعبيرية في هذه الرسالة ، لان تلك الصور ما هي الا اعترافات نفسية لم تفصح عن مدلولها الكلمات .. ما هو هذا « الأمر » الذي كان يمزق احشاء ميّ ويميتها في كل يوم كما تقول ؟ أليس هذا الأمر الذي يرمض جوانحها بالعذاب هو ذلك « الشيء » الذي كانت تسأل عنه جبران ؟ أليس هو الشعور بأثر « الأنوثة المقتولة » التي حرمتها الرجل حبيبَ قلب وانيسَ وحدة وشريكَ حياة ؟! ألا تسمعها وهي تشكو « فراغ المسكن » وتصور وحدتها الرهيبة بأنها كانت « معنوية اكثر منها جسدية » ! لقد كانت وحدة نفس اكثر مما كانت وحدة جسد ، لان المرأة التي تقتل فيها الأنوثة قلما تحس ذلك القلق الناتج عن كبت الغريزة ، وإنما الشيء الذي يكثر إحساسها به من غياب الرجل هو فراغ الحياة ! لقد كانت اضواء الشهرة تحول بين ناظريها وبين رؤية هذا الفراغ كما كانت صيحات الاعجاب تغطّي على طنينه الضخم كلما طرق السمع من حين الى حين .. وعندما اقبل اليوم الذي همدت فيه من حولها كل حركة وخفت كل صوت وانطفأ كل بريق ، تجلت لها الدنيا على حقيقتها المفزعة التي لا وهم فيها ولا خداع !

على ضوء هذا كله تستطيع ان تقول إن علاقة ميّ بجبران لم تكن علاقة قلب وإنما كانت علاقة فكر ، وإن عاطفتها نحوه لم تكن عاطفة حب وإنما كانت عاطفة اعجاب .. ولقد كان جبران جديراً بإعجابها وتقديرها وتفضيلها له على كل معاصريه من الادباء ، لأنه في رأينا ورأي الحق قد سبق بفهمه لحقيقة الفن ذلك الجيل الذي عاش فيه ! إن الفن في جوهره كما قلنا عنه يوماً ليس فهماً للحياة يقف بنا عند حد الرؤية المادية والاثارة العقلية ، حين تقوم هذه من تلك مقام النتيجة من المقدمة او مقام النهاية من البداية ، وإنما هو الى جانب هذا حركة في الوجود الخارجي تعقبها هزة في الوجود الداخلي يتبعها انفعال ، انفعال يحدث تلك المشاركة الوجدانية بين منتج الفن وبين متذوق الفن ، نتيجة لذلك الفناء الشعوري بين الفنان وبين مصدر التلقية الأولى والالهام الوليد .. نريد ان نقول إن اللقطة البصرية في الانتاج الفني حين يعقب عليها العقل وحده ليست كل شيء ، مهما بلغت الطاقة الذهنية في التفكير والتعبير من صور شتى وآفاق ، وإنما العبرة هنا باللقطة النفسية التي تفتح منافذ النفس وتنحدر الى كوى الشعور ، وتستقر آخر الأمر في اعماق الذات الشاعرة في الطبيعة الانسانية !

وعندما نقول الوجود الخارجي والوجود الداخلي ، فإنما نقصد بالتعبير الاول ذلك المسرح الكوني الزاخر بالمشاهد المادية ونعني به الحياة ، ونقصد بالتعبير الاخير ذلك المعرض الانساني الحافل بالصور الوجدانية ونعني به النفس ، هناك حيث ترقب المدركات الحسية وتتأمل ، وهنا حيث تتلقى المدركات النفسية وتسجل ، ولابد من المشاركة الفنية التي يتم فيها التوافق بين عالم النفس وعالم الحياة ، لنحصل على هذا المزيج الاخير من واقعيتين : إحداهما نفسية والاخرى وجودية !

هذه الخواطر التي يثيرها في الذهن كل مشهد مادي في الواقع الخارجي ، يجب ان يصهرها الفن في تلك البوتقة الداخلية لتتحول الى مشاعر .. أليس الفن في حقيقته المثلى عملية استقبال حسية تعقبها عملية إرسال نفسية ؟ إنه لكذلك على التحقيق ، واننا لنفرق تبعاً لهذا التعريف بين انتاج فني لا يهزّ منا غير الحواس الخارجية وبين انتاج آخر يثير فينا ما اثاره الانتاج الاول ثم يزيد عليه حقيقة اخرى حين يطرق ابواب الشعور بغير استئذان .. وهذا المنظار الذي ننظر «اليوم» من خلاله الى جوهر الفن ، لا نشك في انه كان منذ اربعين سنة منظار جبران !!

القاهرة **انور المعداوي**

وولت هوتمن : ابو الشعر المنسرح

بقلم ميخائيل نعيمة

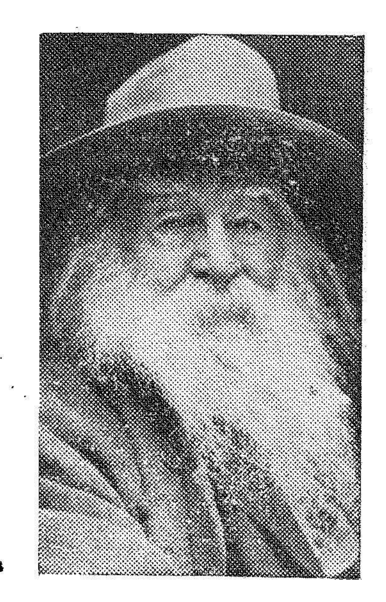
تتزعم الولايات المتحدة اليوم حركات واسعة النطاق في دنيا الصناعة والسياسة والحرب والاقتصاد . ولكنها ما تزعمت بعدُ حركة ذات بال في اي فرع من فروع الفنّ والأدب والفلسفة إلا حركة الشعر « المنسرح » ، فقد كان الشاعر الاميركي « وولت هوتمن » اوّل من دعا الى هذا اللون من الشعر واوّل من مارسه بقوّة العبقري ، وإخلاص المؤمن ، وحماسة من يحمل رسالة جديدة . ولقد فتّشت عن كلمة عربية تصلح لوصف ذلك البيان المحيّر ما بين الشعر والنثر فلم اجد أفضل وأوفى بالغرض من كلمة المنسرح . ولا اعني انه يمت بصلة الى البحر المعروف بذلك الاسم من بحور الشعر العربية . ولكنّ في الكلمة مايعني الانطلاق وما يعني الحركة تجري الى هدفها بسهولة وبغير قيد . وتلك هي أبرز صفات هذا النوع من الشعر . فهو لا يتقيد بوزن أو بقافية . بل يجري على السجية جرياً ليس يخلو من الايقاع الموسيقي والرنة الشعرية .

لا بدّ لكل مذهب جديد ، ان في الأدب أو في سواه ، من شخصية قوية توجه خطاه وعبقرية فذة تتعهد نموّه . والشعر المنسرح قد وجد في وولت هوتمن مثل تينك الشخصية والعبقرية . فقد كان الرجل مديد القامة ، متين البنية ، وسيم الطلعة ، حالم العينين ، بشوش الأسارير ، واسع الخيال ، ذا قلب غنيّ بالمحبة وفكر طاهر من الغشّ ، ونيّة صافية من الدنايا ، وروح مطبوع على الصدق والبساطة .

وكان يتعشق الطبيعة في كل مظاهرها ، ويتعشق الحياة ما أفسدت فطرتها التقاليدُ ، ولا اعترضت مجاريها سدود اللياقات والمجاملات . ولذلك كان يكره التأنق في اللباس وفي المأكل والمشرب وفي الكلام والكتابة . فيعيش من هذا القبيل ، عيشة الدراويش . وهو الى ذلك ، أبعد ما يكون عن الزهد والتقشف . فالتمتع بالملذات الجسدانية في عقيدته امرٌ مشكورٌ كالتمتع بالملذات الروحانية . بل هو حاجة خلقتها الطبيعة في الجسد لغايات نبيلة . فمن عاندها عاند الطبيعة . ومن أفسد الغاية منها أفسد غاية الطبيعة .

لقد كان هوتمن متفائلاً بالحياة وبالناس الى أقصى حدود التفاؤل . وكان الانسان في نظره أقدس ما في الحياة . ولذلك أحبّ الناس ، والعمال والبسطاء منهم على الأخص . واحبهم من سائر الاجناس والاديان واللغات . وكان صادقاً في حبّه . فما تكلفه تكلّفاً . ولا هو صوّره على الورق إلا لانه كان محفوراً في قلبه . ولا أعلنه بالقول إلا لانه كان يحياه بالفعل . وقد فتَنَت لبّه الحياة الاميركية الجياشة بالبعث والخلق والحركة ، تدفعها الى الامام وتهيمن عليها روح ديمقراطية تمحو الفوارق بين الطبقات وتساوي بين الانسان والانسان من حيث الحقوق والواجبات والكرامة . وقد جمّلها خيال الشاعر ونزّهها عن الأغراض الخسيسة فاتخذ منها ما يشبه الدين وغنّاها أجمل أغانيه وبثها الطف مشاعره .

ولد وولت هوتمن عام ١٨١٩ في مزرعة قريبة من نيويورك . وكان ابوه فلاحاً ونجاراً من اصل انكليزي وامه من ارومة هولندية . فتعلم النجارة من والده . ثم راح يفتش عن معاشه . فاشتغل ساعياً في مكتب للمحاماة ، ثم منضد احرف في مطبعة ، ثم معلماً في مدرسة ريفية ، ثم نجاراً ، ثم صحفياً ، ثم عاد الى حرفة والده يبني اكواخاً خشبية ويبيعها . وفي عام ١٨٥٥ طلع على العالم بمجموعة من الشعر عنوانها « اوراق من العشب » وعدد صفحاتها ٩٤ . فما هش لها احد أو بش . والذين اتفق لهم أن طالعوها او ان كتبوا فيها كلمة استقبلوها بالاستخفاف والسخرية . وكانت الحرب الاهلية . فتطوع الشاعر لمؤاساة الجرحى في احد المستشفيات العسكرية . وكان قد بعث بنسخة من قصائده الى الكاتب الاميركي الشهير « أمرسن » . فاذا به يتلقى منه رسالة يصف فيها المجموعة بانها « قطعة فريدة من الحصافة والحكمة ما قدمت اميركا ما يماثلها بعد » . هذه الشهادة تأتي الشاعر المجهول من « حكيم كونكورد » الذي



وولت هوتمن

أجتازت شهرتـه المحيط من زمان ، كانت كافية لتلفت اليه الانظار ولتدفع به الى الامام .

وراح هوتمن من بعدها ينظم ويضيف الى مجموعته ويعيد طبعها وينقحها من حين الى حين حتى بلغ بها الطبعة الثامنة في حياته، وحتى بلغت صفحاتها خمسة اضعاف الطبعة الأولى ويزيد. وقد ظـل حتى آخر عمره يعتقدها ، كما كان يعتقد الجمهورية الاميركية، « تجربة» لا يستطيع دحضها او اثباتها غير الزمان . اما العوامل التي دفعت به الى القيام بتلك التجربة فكثيرة. اهمها مزاجه الرحب الذي كان يأبى التقليد مثلما كان يأبى الحصر والتقيد. وذلك المزاج هو الذي خلق له الحجج التي راح يتذرع بها للدفاع عن مذهبه او تجربته . فقد كان يقول ان القوالب الشعرية القديمة بلغت منتهاها على ايدي الذين سبقوه من عباقرة الشعراء. فلا جديد في محاكاتها او في مجاراتها . ومن ثم فالشعر القديم كاد ينحصر في التغني بالمرأة وبالبطولة وفي شؤون الطبقات العليا من الناس من غير ان يلقي بالاً الى ذلك الخضم الزاخر بالبطولة والجمال الذي هو العامة. لقد كان شعراً اريستوقراطياً. والعصر الجديد عصر ديموقراطي. فلا بد له من شعر ديموقراطي. والديموقراطية الجديدة تُعنى بالآلة مثلما تعنى بالانسان . وتعنى العامل مثلما تعنى صاحب العمل . فجدير بها ان تخلق شعراً يحس إحساسها وينبض انباضها ، وان تخلق لشعرها قوالب تتسع لما فيها من مد وجزر ، وامل وانطلاق .

أما اسلوب هوتمن في النظم فأسلوب مديـد ، مترنح ، يجري – على حد قوله – جري الطائر في الهواء او السمكة في الماء . وهو بريء من كل زخرفة ووشي. فلا كناية ولا استعارة ولا طلاء. بل مفردات عارية تتزاوج فتأتيك بالصور وبالافكار والاحاسيس التي يسعى الشاعر الى خلقها في ذهنك وإثارتهـا في وجدانك . وقد يطول به النفَس الى حدّ ان تملّه . وعـلى الاخص حيث يُكثر من الجمل المعترضة والمعاني الاضافيـة التي يضعها لك بين قوسين . ولكنك لا تستطيع إلا ان تحسّ فيه القوّة والايمان والاخلاص . فهو – كما شبّهه كاتب انكليزي من تِباعه – كالمقلع فيه الصخور الجبارة ، والحجارة المنحوتة ، والحجارة التي ما هندستها بعد مطرقـة او إزميل وتلك التي تفتتّت فغدت حصى او غباراً .

وأعطيك مثالاً على اسلوب هوتمن ونفَسه المديد قصيدتـه المشهورة« تحية العالَم » وهي تملأ اثنتي عشرة صفحة من المجموعة وكل صفحة تنطوي على ٣٦ سطراً ، وقد توّجها بعنوان فرنسي Salut au Monde فهو يبدأها مخاطباً نفسه هكذا :

« اليك يدي يا وولت هوتمن ، وهيا معي . »

ويقود وولت هوتمن وولتَ هوتمن من مشهد في العالم الى مشهد فيسأله عند كل مشهد : ماذا تسمع يا وولت هوتمن ؟ او ماذا ترى يا وولت هوتمن ؟ فيمضي يعدّد الاصوات والمشاهد التي يسمعها ويبصرها في الارض . فلا يترك جبلًا او بحراً او نهراً او مدينة من جبال الارض المعروفة وبحارها وأنهارهـا ومدنها إلا ذكرها وذكر الشعوب التي ترتبط حياتها بها . حتى ليخيّل اليك انه يلقي عليك دروساً في الجغرافيا . ولكنـك ، إذا لم يخنك جلَدك وبلغت آخر القصيدة ، خرجت منها شاعراً بانك كنتَ فرداً فأصبحت جماعة ؛ وكنت في عالم ضيق فاذا بك في عالم لا يحدّ ؛ وكنت منطوياً على نفسك فانتشرت بعيداً وفسيحاً في كون بعيد فسيح ؛ وكنت غريباً عن الكثير من شعوب الارض وبقاعها فاذا بكل شعب شعبك وبكل بقعة وطنك . وذلك الشعور بالتمام هو ما يرمي الشاعر الى إثارتـه فيك . وقد بلغ مأربه . واذ ذاك فأي بأس عليك أطال بك الطريق أم قصر ؟ أأسرف دليلـك في الشرح أم لم يسرف ؟ ومن ثم فأنت تصفح له اسرافه في الكلام – أو قلْ ثرثرته – مقابل ما تأنس من الدفء في قلبه، والنور في فكره، والخصب في خياله . وينتهي بك المطاف وفي أذنيك رنّة حلوة تتماوج في ختام تحية هوتمن للعالم اذ يقول :

« سلام أيها العالم !

حيثما قامت مدينة يتغلغل فيها النور والحرارة ، هنالـك أتغلغل أنا كذلك .

وحيثما نبتت جزيرة وصوّب طائر اليها جناحـه ، صوبتُ اليها جناحي كذلك .

وها أنا أرفع يدي للكل –
أرفعها عموداً عالياً في الفضاء –
لتبقى من بعدي علامة
يبصرها الناس أينما كانوا وحيثما استقرّوا . »

قد ينفر ذوقك من خشونة اسلوب هوتمن ، ويضيق صدرك بترديده وثرثرته ، لكنك لا تستطيع إلا ان تجل ثورته على التصنع والتكلف والرياء في الكشف عن خبايا النفس وبث أشواق القلب ، وإلا أن تكبر روحه الفسيح الذي يتعانق

الذات العربية وموقفها من الحضارة الغربية

بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري

لكل امة شخصية تاريخية ونفسية خاصة تنشأ عن ظروفها التاريخية والجغرافية وتبدو في وجهتها وقيمها المشتركة. وتحتاج الامة في أدوار القلق الى ان تفحص كيانها وان تفهم ذاتها لتستطيع النهوض ولتتمكن من مجابهة الموجات الخارجية. ويهمني في هذا المقال ان ابدي بعض الملاحظات حول الذات العربية وموقف العرب من الغرب.

ولعل فهم الذات يتم بملاحظة بعض القيم المشتركة والوجهة في الحياة. ولنذكر بعد هذا أن المجتمع العربي في كل عصر من عصوره يتدرج من البداوة الى الريف الى الحضارة المتأثرة بالغرب (أو بحضارة اخرى) تأثراً سطحياً أو محدوداً لدى الاكثرية وبصورة عميقة لدى الاقلية. وهذا يشير إلى تنافر في بعض القيم وإلى ضرورة تحديد وجهتنا في الحديث عن الذات العربية.

ولكن دور العرب في التاريخ ورسالتهم الكبرى هي في دورهم الحضاري وفي فترة الابداع التي تلت ظهور الاسلام. وما دام تكوين الدولة والمجتمعات الاسلامية يتصل بالعرب المتحضرين فان فهم الذات العربية يتركز على هذه المرحلة.

وليست هذه المرحلة الحضارية راكدة، بل تطورت ومرت بادوار. ومعنى ذلك محاولة فهم الذات خلال هذه الادوار، وذلك لملاحظة الأصيل من الطارىء والنامي المتطور من الراكد.

وهذه المحاولة لا تتحقق إلا بدراسة كنوز الفكر العربي التي تعبر عن القيم المشتركة. فندرس الحديث وكتب الفقه والأدب والانسانيات ككتب الغزالي، ونتابع دراسة التاريخ بروح نقدية، ندرسها كمختصين بنصوصها الاصلية، وندرسها في المدارس بصورة مبسطة لنبث الروح التي تنطوي عليها ولنغذي الذات الحالية القلقة.

وإن جاز أن أضع بعض الخطوط فاني ألحظ مبدئياً قيمة المعنويات والمثل في هذه الامة. وليس القصد من ذلك انها لا تقدر الماديات بل انها تحتاج إلى الهيكل الادبي والروحي، تحتاج الى العقيدة لتضحي ولتسير موحدة وإلا اشتعلت الأنانيات والفرديات والنزاعات الضيقة. وقد عبر عن ذلك ابن خلدون حين أكد ان العرب لا يخضعون إلا لرئاسة دينية.

وسائر الأرواح في الكون، والذي يخاطب «المصلوب» مخاطبة الأخ لأخيه فيقول له :

« مني اليك يا أخي الغالي .

« لا يهمنك أن الكثير ممن ينادون باسمك لا يفهمونك .

فأنا لا انادي باسمك، ولكنني أفهمك. وهنالك غيري كذلك.

نحن وإياك نسير معاً صامتين في خضم من الجدال والتأكيد، فلا نرفض المتجادلين ولا شيئاً مما يؤكده المؤكدون .

ونحن نسمع ما يثيره الجدال والتأكيد من نزاع وضوضاء. ولكننا يا رفيقي نمشي ولا قيد في أرجلنا . نمشي طليقين في كل أنحاء الأرض .

ولن نقف الا من بعد أن نترك لنا آثاراً بالغة في صحيفة هذا الزمان وكل زمان .

والا من بعد أن نملأ هذا الزمان وكل زمان بالأخوة التي تشدنا بعضاً لبعض .

كما يعيش رجال الأجيال الآتية ونساؤها

اخوة وأحبّاء مثلما أعيش واياك أخوين وحبيبين . »

لو لم تقيّض الأقدار للشعر المنسرح زعيماً من عيار وولت هوتمن لانتهى الى حيث انتهت ازياء أدبية كثيرة من قبله ومن بعده – الى النسيان . ولكن عبقرية هوتمن الجياشة بالحب والصدق والتعطش الى الحرية والايمان بجمال الحياة وقدسيتها هي التي كفلت لذلك النوع من الشعر البقاء حتى اليوم . فما انصرف هوتمن عن هذه الدنيا عام ١٨٩٢ حتى كانت شهرته قد طارت عبر المحيطات والقارات . ففي الولايات المتحدة وغيرها أندية ادبية كثيرة تحمل اسم هوتمن ، وشعراء يحيون ذكره ويستلهمونه ، ويسيرون تحت لوائه وعلى حدائه .

ميخائيل نعيمه

ثم نجد روح المساواة متأصلة . ومع تبدل الظروف والأحوال بقيت هذه الروح قوية ، وهي تتأرجح بين مساواة صحيحة على أساس الكرامة البشرية في دور الفتوة الحضارية وبين مساواة مرتبكة عنيفة تتأجج فيها روح الفردية الجامحة في دور الركود. وهي في الحالة الاولى تتمشى مع روح الشورى وتبادل الرأي، وفي الحالة الثانية تتمشى مع التجاوز على كرامة الانسان في دكتاتورية مقنّعة أو مكشوفة .

ونلحظ التأكيد على فكرة الجماعة والتعاون المطلق فيها بحيث تتمثل في الشؤون العامة وفي الفعاليات المختلفة . وهي بين الجماعة السمحة الشاملة في دور الفتوة وبين الجماعة الضيقة في القبلية أو الاقليمية وغيرها من التكتلات التي تعارض المجموع.

ويتصل بهذا ، التمسكُ بالحرية وعدم الصبر على الضيم . وهي بين حرية فردية هوجاء تؤدي الى الخلاف والتحلل كما في بعض الجماعات البدوية ، وبين الحرية العامة الشاملة التي ترى حرمة الفرد وحريته في حرية المجموع ونطاق الأنظمة المرعية المرتضاة كما تتمثل في وثبة العرب « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً » .

وتبدو هذه الذات في روح التسامح المتمثل في نواح متعددة : في سماع الآراء وتقبّل الصراحة ، في تقدير قيمة الغير والاعتراف بالفضل ، في الأفق المفتوح للمعرفة واخذ الحكمة مهما كان مصدرها، وفي تجنب التعصب الذميم .

وتتصف هذه الذات بطابع من الاستمرار ومن الذاكرة الاجتماعية والحفظ التراثي يتراوح بين الركود مدة طويلة على وضع معين كما في الفترة القبلية وبين الحركة المندفعة ولكنها حركة تحوي الأصول وتغذيها وتدفعها الى ازكى التراث كما في فترة الابداع . ولعل هذا الطابع ينطبق بصورة عامة على الساميين ولكنه يتضح بصورة خاصة لدى العرب . واقوى دليل على ذلك اللغة العربية بتاريخها المديد وحيويتها المتصلة وبقاء تعابيرها مستعملة على مر القرون مع نمو مستمر . وأميز ما في هذه الخاصة الاستفادة الكبرى من خبرة الاجيال. ولكن لا يخفى ان مثل هذه الصفة قد تكون مصدر خطر مباشر . فان فترات الخضوع تورث ذكرى شك عميق بين الراعي والرعية تحتاج الى زمن لازالتها . ومثل هذه الصفة توجب ان يكون المستقبل منبثقاً عن الحاضر وامتداداً للماضي . كما تعني ان هناك حيوية كامنة وأسساً قائمة لكل تجديد .

ومثل هذه الحيوية تبدو عند الاصطدام بموجة حضارية خارجية كالموجة الغربية . فكيف كان الموقف من الغرب ؟

ان تحديد الموقف من الغرب مشكلة معقدة ، لان الغرب لا يمثل ثقافة واحدة ، بل مجموعة ثقافات وخاصة عندما يتصل الامر بالانسانيات وبالدراسات الاجتماعية والتطورات السياسية. ولكن هذا لا ينفي وجود اصول مشتركة وهي التراث اليوناني الروماني والمسيحية والحركة العلمية ، هذا إضافة الى ثورات تالية كالثورة الصناعية والثورة الفرنسية .

ويتطلب فهم الموقف إدراك صورة الغرب التي وصلت إلى الشرق . فقد جاءت الى الشرق العربي في صيغة المبادىء القومية والثورة الفرنسية اولاً ، وذلك قبل السيطرة الاستعمارية . ثم جاء الغرب في صورة الاستغلال المادي والسيطرة السياسية والعسكرية ومكافحة الحركات التحررية . وجاء وهو منشق على نفسه ، فأدهش الشرق بقواه المادية والعسكرية وولد رد فعل شديداً ضده نتيجة نظرته الاستغلالية . وجاء بصحيفتين متناقضتين فهو يريد تغريب الشرق العربي وصهره في حضارته ولكنه لا يقره على النهضة الفكرية والاقتصادية لانه يريد تجريده من كيانه من جهة ولا يريده نداً وخصماً. وهذا مطلب غير ممكن لانه يهدم نفسه .

ونلاحظ ان الموجة الغربية جاءت في دور يصفه فلاسفة الحضارة بانه دور توقف تجاوزت فيه الحضارة الغربية والفكر الغربي دور الابداع الى دور التطبيق والاستفادة من ابداع الفترات السابقة – التطبيق الاقتصادي والاستعمار للسيطرة على العالم واستغلاله ، ودور تشقق في الكيان الاجتماعي الغربي ، ودور الفردية العنيفة التي تتجاهل الجماعة ، وهو دور مادي في انه يؤكد على النواحي الحسية وعلى اللذة والفائدة دون ان تكون فيه ناحية روحية واضحة .

وليس غريباً ان نرى تبايناً في موقف الجماعات في الشرق العربي بين مبهور بهذه القوة وبمظاهر ترفها وازدهارها المادي ، وبين نافر منها نفرته من وجهتها ومن الخطر العسكري والسياسي . وهناك من انجرف بتيارها ناسياً شخصيته وإرثه ومن تمسّك بشخصه وتراثه عن علم او عن عاطفة . ويهمنا ملاحظة رد الفعل لدى الجماعات .

وقد حصل رد الفعل حين شعر الشرق العربي الاسلامي بالخطر يهدد كيانه. وتمثل في وجهتين عامتين وجهة عربية تستند

الى لغة العرب وثقافتهم وادبهم ، تتغنى بمجدهم وتريد استعادته وتدعو لتجديد اللغة ولاحياء الادب والثقافة العربية ولتجديد الشخصية التاريخية للامة العربية ويتمثل هذا في الحركات القومية.

ووجهة اسلامية تدعو لمبادىء الاسلام الاولى وخلقه وثقافته وتدعو لنفض الخمول والترسبات. ويظهر هذا في حركة جمال الدين ومحمد عبده وفي الحركة السلفية وفي حركة الاخوان المسلمين.

ولا نرى في دعوة اصحاب الوجهتين من يرفض علم الغرب وصناعاته لانها رمز قوته ولا ندري الى أي حد من التسلسل يصل هذا الاتجاه.

وهناك من يدعو لاخذ ثقافة الغرب ونظمه وعلومه كاملة دون قيد ناسياً انها تتصل بجذور محلية ان قطعت لم تزدهر، وناسياً انها ستصطدم بجذورنا هنا ولا يمكن لها ان تستقر معها كغطاء خارجي الا اذا اضعنا كل شيء وانتقلنا الى صورة هي لا شيء. كما انه يتجاهل الدافع الذي قررته الاوضاع فاننا نلحظ قوة وعي ذاتي ورد فعل اقوى يزداد بازدياد الصلة بالموجة الغربية.

وهناك جماعة تشمل جمهرة كبيرة من المثقفين تقول باخذ خير ما في الحضارة الغربية – اضافة الى خير ما في الحضارة العربية – ولكنها لا توضح ما هو مقياس الخير وتنسى انها ليست خارج نطاق هذا الصراع الحضاري بل انها جزء من مادته، وقد تفقد امكان الخيار متى دارت العجلة. وإن سلمنا جدلا بامكان الاختيار فهل نستطيع القول بان الحضارة الغربية قابلة للتجزئة؟

ان الحضارة الغربية بنواحيها المختلفة تكون وحدة منبثقة من الاصول المشتركة تحدوها مبادىء مشتركة، وهذا يجعل كل فرع منها متأثراً بهذه المبادىء والاصول. ومن العسير ان نرسم خطوطاً او خططاً تحدد الاجزاء التي تؤخذ والاجزاء التي تترك بصورة دقيقة. ولنذهب ابعد من هذا ونتساءل هل بالامكان فتح بعض الابواب وسد غيرها امام الجيل الحديث؟ اننا نشك كثيرا بذلك.

ولنعد الى التاريخ علنا نجد فيه ما ينفع. فان نحن نظرنا الى الحضارة العربية في العصور الوسطى نجدها فتحت افقها للحضارات الفارسية واليونانية والهندية، فنقلت في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك والجغرافية، واقتبست من الأدب الفارسي، ونقلت كثيراً من الآراء والكتابات الدينية. وتأثر العرب بنظم الادارة كما تأثروا بالتقاليد الاجتماعية، ولكنها كانت جزءاً من البيئة التي استقروا فيها ولم تكن وافدة. وهذا يعطي الانطباع عن امكان التجزئة، ولكن علينا ان نلاحظ ان العرب كانوا سادة مسيطرين وانهم التفتوا للعلوم بعد ان كونوا ثقافتهم، ووضعوا خطوط حضارتهم، فاستفادوا من غيرهم في بناء الهيكل. اما في عصرنا فان الثقافة الآتية من الخارج مسيطرة سياسياً، وقد جاءتنا ونحن في دور ركود ثقافي. ثم اننا نلاحظ ان ما اقتبس تلون بلون الخطوط الحضارية الاسلامية في النتيجة، وان قوة الهضم في الحضارة الاسلامية كانت العامل الفعال. هذا اضافة الى مدى التركيز في الاقتباس ومجال العناية الموجهة.

وهكذا نرى ان العرب والمسلمين فتحوا الباب للثقافات الاجنبية ولكنهم ركزوا جهودهم على جوانب منها حسب حاجتهم وحسب تطورهم الفكري وانهم فعلوا ذلك بعد ان تكونت اسس شخصيتهم الثقافية. اما نحن فلدينا شخصية ثقافية لا تزال غير مستقرة.

ولعلنا بعد هذا نستطيع ان نلاحظ – مع اعترافنا بوحدة الاسس في الحضارة الغربية – ان موقفنا منها يعتمد على ناحيتين: الاولى قوة الهضم في الثقافة العربية الحديثة وقابليتها على ان تلفظ ما لا ينسجم وروحها وما لا يمكن تمثيله فيها، والثانية مدى التركيز على ناحية أو أكثر. وبعد هذا توجد نواح خالية في الثقافة العربية يجب الاستفادة فيها من الحضارة الغربية. فالأدب واللغة والمقاييس المشتركة والنظرة الخلقية والوجهة الروحية هذه اجزاء اصيلة وهي من مقومات الثقافة العربية ولكن العلوم والفكر الاقتصادي والفلسفة الحديثة مثلاً نواح مخلخلة في كياننا ولا بد ان تنفذ اليها حضارة الغرب.

وإن كان لدينا توجيه فهو في تدعيم الاجزاء الاصيلة وتقوية الثقافة العربية لتتحمل الغذاء الجديد وتهضمه، وفي تركيزنا على النواحي الغربية التي ليس لدينا منها ما يذكر لنستطيع الاستفادة بصورة قصوى، ولا مانع من ان نستفيد من نظم الغير وخبراته العملية في العلوم والمال لتكون دثاراً لثقافتنا حتى تبدع بعد ازدهار.

ويبدو لي ان معرفة الاجزاء الاصيلة التي تكون كياننا الحضاري تتطلب فهم التراث العربي الاسلامي وتحديد أثره وهذا ما ارجو أن أتعرض له في فترة اخرى.

بغداد

عبد العزيز الدوري

جاء الربيع

سمعتُ العصافير عند الصباح
تحيّي الضياء بسحر الغناءْ
فتوحي الى القلب سر المنى
وتبعث في النفس روح الرجاء
وترجع أياميَ الماضيات
باحلامها الساحرات الوضَاء
فقلت لنفسي : ألا تعجبينَ
لطير الربا، عابرات الفضاء؟!
تغني ومن حولها للشتاء
مشاهد تغري بطولَ البكاء !
غيوم معذبة بالحنين
الى موطن قد طواه الخفاء
وريح مولهة بالأنين
على ضائع قد زواه الفناء
كثكلى ينادي الأسى قلبها
فيا ويحها إذ يجيب النداء!
فقالت ليَ النفس في رقة :
تمتع بهذا الغناء البديع
فقد زال عنا زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

★

وكانت هنا دوحة ذابله
أرى الارض من حولها ماحله
فلا ورق ضاحك في الغصون
ولا بهجة في الرُّبا ماثله
تراها فتحسبها ثاكله
مقيدة بالأسى ، ذاهله
وقد وقفت عند قبر ابنها
تعاني فجيعتها القاتله
ومرّ زمان ، فماذا أرى ؟
أرى منظراً يبهر السابله
ربىً فاتنات بأزهارها
غصوناً بأثمارها حافله
فتبصرها من صباباتها
على مهدها أبداً مائله
فما السر يا نفس فيما أرى
وفي هذه الوحشة الزائله ؟
فقالت ليَ النفس في رقة :
تمتع بهذا الجمال البديع
فقد زال عنا زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

★

وما بال هذا النسيم العليلْ
له نغم مستهامَ جميلْ ؟
يسر الحديث لزهر الربى
ويهتف في عذباتِ النخيل
تنسمت منه عبير الهوى
وقد ذاع في المرج عطر الاصيل
فذاب فؤادي حنيناً إلى
مغاني الهوى، قبل يوم الرحيل
أما كان هذا النسيم الرقيقُ
أعاصير يصرخ منها الخميل ؟
تمزق عنه رداء الخريف
كما مزق الثوب سوط طويل
وتذهب في الأرض مجنونة
فحيناً صراخ ، وحيناً عويل
فما بالها اليوم قد اصبحت
أرق وأندى من السلسبيل ؟
فقالت لي النفس في رقة :
تمتع بهذا النسيم البديع
فقد زال عنا زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

★

وهذا البهاء الذي في السماءْ
وهذا البريق ، وهذا الصفاءْ
كأن ينابيع مسحورة
ترقرق فيها رحيق الضياء
وما لي أرى الشمس معشوقة
جلاها الهوى لشؤون اللقاء؟
تسير وفي سيرها رقة
وفي وجهها روعة وازدهاء
وفي الجو من نسمات الصبا
ومن عطرها هزة وانتشاء
ومن قبلُ كانت غيوم السماء
تسد عليها رحيب الفضاء
فتطوي السنا إذ طوت نبعه
وتنشر ظلّاً كظل الفناء
فما سر هذا الصفاء الجميل ؟
وكيف توارت غيوم السماء؟
فقالت ليَ النفس في رقة :
تمتع بهذا الصفاء البديع
فقد زال عنا زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

★

وقلبي الذي عاش بين الضلوع
يكفن أحلامه بالدموعْ
ويدفنها في قبور الأسى
ويتركها للردى.. في خضوع
عجبت له اليوم ما باله
يحب الحنين، ويهوى النزوع!
وكيف تذكر عهد الهوى؟
وكيف استحال عليه الهجوع
أما كان قلبي سلا حبه
وضيّع ذكراه فيما يَضيع ؟
وأنسي ذكرى التي جرّعته
نقيع الأسى.. يا له من نقيع!
ورد اليها رسالاتها
لتدفئها في ليالي الصقيع !!
وعاف الرجوع إلى عشها
فما باله يستحب الرجوع ؟
وما باله ثائراً في الضلوع
وقد كان يحيا كطير وديع؟
وما لي أُنادي به ان يثوب
فيهتف بي : ليتني أستطيع!
فما سره ؟ ما الذي قد عراه؟
فعانق أشواقه في ولوع ؟
وأصبح يهوى مصير الفراش
إذا ما ازدهاه لهيب الشموع!
رويدك يا نفس.. لا تنطقي
فقد اصبح السر نهب الذيوع:
لقد زال عنه زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

ابراهيم محمد نجا (القاهرة)

عمر فاخوري ومعنى الصداقة بين الشعوب

بقلم رئيف خوري

لسبع سنوات خلت ، في صباح الاربعاء ، ٢٤ نيسان سنة ١٩٤٦ ، خمد ذلك النور المشرق المتلألىء في عيني عمر فاخوري وقلبه ،لكن ليستمر الى ما شاءالله مشرقاً متلألئاً في تلك السطور التي ابدعها ارثاً للأجيال ، يشمخ الى ذرى باذخة من القوة والعمق والجمال .

واليوم حين تدنو الذكرى السابعة لوفاة عمر فاخوري ،أراني مستعيداً ، في جملة ما استعيد ، تلك الكلمة الموجزة التي القيتها على قبره لمناسبة ذكرى وفاته الرابعة سنة ١٩٥٠ ، وهذا نصها :

« هنا تحت هذا التراب الكريم يثوي رجل . لقد تحدثنا ، وسنتحدث كثيراً ، عن قيم مثّلها في ادبه وحياته . كان لواء مرفوعاً من ألوية اللغة العربية والعروبة ، وكان علماً خفاقاً من اعلام الشعور الوطني اللبناني الصحيح ، وبالتالي كان عدواً لدوداً للطائفية ، عدواً لدوداً للنازية والفاشستية والاستعمار والحروب الاستعمارية . وكان صديقاً ، جندي فكر ، للاستقلال الوطني والديموقراطية والاشتراكية . وهما عداوة وصداقة أدتا به – منطقياً – الى مصادقة جميع الشعوب الحرة، والمحبة للحرية ، وفي رأسها الاتحاد السوفياتي .

« لكن بعد ان يهتف بهذا كله ، يبقى شيء من عمر فاخوري يجب أن يقال . هي الأمم يأخذ بعضها من بعض ، ويسترشد بعضها ببعض ، وهي الافكار ينتصر منها في عصر من العصور تيار توجب انتصاره قوى العصر الصاعدة ومطالبه الملحة . على ان هذا كله لا يفسر وحده قيمة الظاهرة الرائعة التي تدعى عمر فاخوري . لا يفسر قيمة هذه الظاهرة الرائعة الا ان نقول انها فكرة انسانية تقدميّة حرة تمثلت في عبارة وطنية عميقة الطابع الوطني .

« والعبارة الوطنية هذه ما زالت عظيمة الأهمية في حياة الشعوب ولا سيا شعبنا .

ومن اقرب البراهين على ذلك ان القيم التي مثلها عمر فاخوري قد دان بها عندنا عدد قبله ، وسيزداد من يدينون بها بعده ، ولكن ليؤذن لنا ان نقول ان عمر فاخوري سيبقى هو عمر فاخوري وحده ، بوصفه عبارة" وطنية عبقرية .

« وذلك ليس اصطناع ترضية فارغة لشعورنا الوطني ولا ذهاباً مع زهو باطل ، ولا انقطاعاً عن سير موكب الامم وطليعتها الحرة ، ولكنه اصرار على إذكاء ثقة الأمة بنفسها وإرهاف" لاحساسها بانها امة منجبة .

« ونحن بهذه الروح نكرّم عمر فاخوري . نكرمه فكرة انسانية تقدّميّة حرة ، منتصرة ، تمثّلت في عبارة وطنية عبقرية، عميقة الطابع الوطني » .

أستعيد اليوم هذا الذي ألقيته يومذاك على قبر فقيد الابداع الفكري والفني ، فلا أملك ان أقول لنفسي : ساذج حقاً من يعتقد الألفاظ قد جعلت دائماً سبيلاً للتفاهم ، فانها كثيراً ما تكون سبباً الى سوء الفهم وسوء الافهام حتى يجد المتكلم نفسه قد ظلم الذين يتكلم عنهم ، والذين يكلمهم ، ثم بعد هذا كله لم ينصف نفسه . فلقد ذكرت في هذه الكلمة ان حقيقة عمر فاخوري أدّت به منطقياً الى مصادقة جميع الشعوب الحرة والمحبة للحرية . ولكني لم أفطن ان أسأل نفسي ، ولا خطر لي واجبُ ان أسأل نفسي : ترى ماذا أريد بمصادقة الشعوب الحرة والمحبة للحرية ؟ وماذا أراد عمر فاخوري نفسه بهذا التعبير ؟ ثم ماذا عسى ان يفهم بهذا التعبير السامعون والقراء جميعاً ؟ أتراهم يفهمون به المعنى الذي أردت اليه أنا، ام الذي اراد اليه عمر فاخوري ام تراهم لا يفهمون إلا المعنى الذي سلف له ان علق بأذهانهم ؟

وهكذا لم أنصف نفسي ، ولا أنصفت السامعين والقراء ، كلا ولا أنصفت عمر فاخوري ، حين أطلقت الكلام هذا الاطلاق ، فلم ألتمس له المعنى الذي شاء ان يقيّده به تقييداً .

والواقع ان الأديب العظيم لم ينسَ ان يقيّد هذه الصداقة، صداقة الشعوب الحرة والمحبة للحرية ، بمعنى صريح جليّ ، بارز الحدود ، لا مجال فيه للبْس او إبهام . فلنسمعه يقول في استقبال السيد جاك غريزا ، احد الشيوعيين الفرنسيين ، يوم زار « غريزا » بيروت إبان الحرب العالمية الأخيرة :

« تلك الصداقة التي نرحب بها ، والتي لا محل لسواها لا في عقولنا ولا في قلوبنا ، صداقة الوطن المستقل لوطن مستقل ، والشعب الحر لشعب حر ، والجماهير العاملة لجماهير عاملة. ليست صداقة فئة هنالك لفئة هنا هي أحرى بان تدعى « شركة » اي : ان تسمى باسمها . » (الحقيقة اللبنانية ، طبع دار المكشوف ، ص ٦٨ – ٦٩) .

ولست أتصوّر ان أحداً تبلغ به الوقاحة ان يدّعي ان هذا الكلام كان يُستَبدَلُ منه حرفٌ بحرف ، لو ان جاك غريزا كان شيوعياً انكليزياً او اميركياً او يوغوسلافياً او صينياً او روسياً .

واذاً ، فهذه الصداقة التي هتف بها عمر فاخوري بين الشعوب الحرة ، والمحبة للحرية ، الصداقة التي لم يكن لا في عقله ولا في قلبه ، محلّ لسواها ، هي صداقة الوطن المستقلّ لوطن مستقلّ ، والشعب الحر لشعب حر ، والجماهير العاملة لجماهير عاملة . وليست صداقة فئة هنالك لفئة هنا هي أحرى بان تدعى « شركة » .

وبعبارة أخرى ، ان الصداقة التي رسمها عمر فاخوري لا تعني تبعيّة منا لأحد ، ولا تعني واسطة انتفاع لفئة هنا مأمورة لفئة هنالك . ان الفرق لبعيدٌ بين الصداقة في جهة ، والتبعيّة والمأمورية في الجهة الأخرى .

فاذا تحدث أحد عن صداقة عمر فاخوري للشعوب الحرة أو « الدول الحرة » أو « الأحزاب الحرة » ، أيّاً كان شكل التعبير ، فلا يحاولنّ ان يُهرّب تحت ستار لفظ الصداقة معنى التَبعيّة والمأمورية منا لأي إرادة خارجية . تلك « صداقة » لم يكن لها محلّ لا في عقل الرجل الكبير ولا في قلبه .

وعمر فاخوري الذي قال ، وصدق حين قال :

« لم يبق في وسعنا اذا نحن فكرنا في وطننا وفي شؤونه الحاضرة والمقبلة ، ان نفكر لبنانياً ولا عربياً حتى ولا شرقياً وحسب ، فلا مندوحة لنا ان نفكر دولياً وعالمياً وانسانياً . اننا ككل شعب من شعوب الدنيا لفي مأتم الحرية وفي عرسها على السواء . » (الحقيقة اللبنانية ص ١٧٠ - ١٧١)

عمر فاخوري الذي جلا بهذا البيان المشرق والعمق في التفكير ، هذه الحقيقة العصرية في حياة الاوطان ، عمر فاخوري نفسه لم يلبث ان قطع السبيل على بعض اصناف الأمميين الذين يحمّلون كلامه ما لا يريد ان يحمله من مقصد ، فقال :

« لقد أتى على لبنان زمن وهو يتخبط في حيرته ، ولا يفتأ يبحث جاداً عن ذاته ، تارة مشرّقاً وتارة مغرّباً . فوجد ذاته اخيراً ، لكن حيث يجب ان يجدها ، اعني : في لبنان. ولعمري انها للقية لا ينبغي لنا ان نضيعها ، فالله يعلم متى نجدها مرة ثانية إذا أضعناها هذه المرة . ان اللبنانيين يلتقون اليوم على الصعيد الذي يسمونه الوطنية أو القومية . فكأني بهم اخوان تلاقوا بعد تغرّب طويل ، محفوف بالمخاطر والأهوال ، فطفقوا يحيي بعضهم بعضاً ويتباشرون بسلامة العودة ، ثم يتعاهدون جميعاً على ان لا يبرحوا ذلك الصعيد الطيب ، مخافة ان يتورطوا في شبهات التخوم التي تقيمها الفوارق من جنس ومذهب ودين . قلت ذات يوم : إن في لبنان بين المذهب والمذهب ، وبين الجنس والجنس ، من الحدود والحواجز ، ما يحتاج معه الى جوازات سفر ، كأننا شعب في شعوب ، وأوطان في وطن . نحن لسنا في حاجة الى ما يفرق ويقطع ، فما اكثر هذا عندنا ، بل إلى ما يؤلف ويجمع . إن ذلك الروح اللبناني الذي يتجلى في إرادة اللبنانيين على اختلاف طوائفهم وأجناسهم ان يعيشوا معاً ابناء شعب واحد حرّ ، في وطن واحد سعيد - ان ذلك الروح الجديد ليؤلف ويجمع . بل ليس إلاه يؤلف ويجمع . فما أجدرنا ، إذاً ، بان نتعهده بالصون والرعاية ، وان نغذيه بالعقول والافئدة ، حتى ينمو ، ويبلغ اشده ، فلا تخشى عليه عوادي الزمان » .

وهذا الكلام الذي رفع به عمر فاخوري منذ أول عهد الاستقلال ، سنة ١٩٤٣ ، شعاراً وطنياً ، مبدئياً نيّراً ، هذا الكلام إذا عنى شيئاً فانه يعني قبل كل شيء : ان لبنان إنما يجد ذاته في لبنان نفسه ، أي : في إرادة اللبنانيين جميعاً ان يعيشوا معاً أبناء شعب واحد حر في وطن واحد سعيد ، لا تفرقهم عصبية جنسية أو دينية ، ولا يظلم بعضهم بعضاً ، ولا يكون بعضهم عثرة وشقاء لبعض. وهذا الكلام بدوره، إذا عنى شيئاً، فانه يعني قبل كل شيء : ان الأوطان لا يتم خلاصها إلا بايديها وقواها نفسها. فلبنان شأنه شأن غيره من الأوطان، لا يتم خلاصه بان يظل شاخص الأبصار إلى خارج حدوده مشرّقاً أو مغرّباً. ويعني كذلك ان خلاص لبنان انما يتحقق بالاعتماد على الروح اللبناني الجديد الذي يؤلف ابناء لبنان ويجمعهم ، ويحيي قوى لبنان ويصبّها في سبيل واحد ، فيكون ذلك اساساً متيناً لاستقلال لبنان وحرية لبنانية ، أساساً يصمد على عوادي الزمن لانه اساس داخلي وطني لا يتعلق بأهواء خارجية .

وقد تبدو هذه النظرة لأول وهلة ضيّقة محصورة الافق . لكن اذا صح كما يقول جوريس : ان كثيراً من الوطنية يقود الى الاممية ، فصحيح ايضاً ان كثيراً من الأممية يقود الى الوطنية كنقطة ابتداء - الوطنية التي ترى خلاصها بيدها ، وتقاوم من يستعبدها باسم الاستعباد سافراً غير مقنّع ، ومن يستعبدها باسم انه يحررها . فلقد كُتب للحرية ان تكون كفاحاً على جبهتين !

رئيف خوري

اغنية لشمس الشتاء ...

أشيعي الحرارة والرفق في لمسات الرياح
ولفّي جدائلك الشُقْر حول الفجاج الفساح
وهذا التحرّق في شفتيكِ أريقي لظاهْ
على طبقاتِ الثلوج الرقيقة فوق المياه
أذيبي بها قطراتِ الجليد
عن العُشْب ، عن زهرةٍ لا تريد
فراقَ الحياه
فما زال فيها رحيقٌ تخبّئه للصباحْ

★

ومن دفء عينيكِ من ضوء هذا الجبين السعيدْ
أريقي عصير البنفسج فوق الفضاء المديد
ومن لون هذي الجدائل رشّي ازرقاقَ الاثيرْ
وصبّي البريق الملوّن فوق مرايا الغدير
ومن عطر هذا الضياء المذابْ
أريقي على صفحات الضباب
ربيعاً نضيرْ
يحيل البرودة فيه الى دفء حبٍّ جديدْ

★

أصابعكِ الدافئاتُ المرور اضغطي شِعْرَها
وأحلامَها فوق زهرة فلّ طوت سرّها
ونامت ملفعة بجليد المساء القريبْ
تذوب اشتياقاً لضوئك ، للحبّ ، للعندليب
أطلّي بوجهك في سجنها
فقد جمد الشعر في لونها
وعاد شحوبْ
تسائله همسات العصافير عن سحرها

★

وروحي الذي رسبت في مناه ثلوجُ الملالْ
ولاذ بزاوية جهْمة من زوايا الخيالْ
دعيه يعانقْكِ سكرانُ من وهج هذا البريقْ
ويشرب يشرب هذا الضياء ولا يستفيق
يفيض عليه سناك الحنون
ويرسله شعلة من جنون
ولحناً رقيقْ
نذرتُ مقاطعَهُ لعذوبة هذا الجمالْ

★

ولولاك يا شمسُ مات النشيدُ ، نشيد المروجْ
وجفّ رحيق الشذى تحت برد الشتاء اللجوج
ولولاك ما كان أخشنَ مسَّ الفضاء الرهيبْ
وهذي النعومة ، هذا الضياء الرقيق الغريب
ألولاه كان يعيش الخيالْ ؟
ومنذا يوسّد خدّ الجمال ؟
ومنذا يذيبْ
بريق الحرارة في سروة جمّدتها الثلوجْ ؟

★

ولولاك اين إذن يستحمُّ جبين السلامْ ؟
وهذي المشاعر اين تصبّ واين تنام ؟
وبعض العيون التي جمعت ألفَ حلْمٍ محالْ
وقد نضجتْ خلف اهدابها نغماتُ الجمال
دعيها تُرقْ عسَل الاغنياتْ
فلولاكِ سدّت عليها الحياة
رحابَ الخيالْ
ولولاك ما وجدت سامعاً غير برد الظلامْ

بغداد

نازك الملائكة

عبقرية الحس الانساني

بقلم عبد اللطيف شرارة

كان الرئيس كوليدج من أفضل ما قدّمت الولايات المتحدة الاميركية من رجال . وفضله ، كل فضله ، انه كان عف اليد، عف اللسان ، يتناول الحياة بقلبه ، ويصرّفها تصريف الواثق من سريرته وصفائها . فتحسبه وقد استعلى بنفسه عن الأرض ، يعيش من انسانيته الصافية في جو هو البراءة والصحو والهناءة .

راح هذا الرئيس بعد ان انتهت مدة رئاسته ، يمارس الصحافة . وكتب اول مقالة في صحيفة « كوزمو بوليتان ماجازين » عنوانها : « حياتي في البيت الأبيض » تحدث فيها ، بصورة خاصة ، عن الحادث الأليم الذي أقضّ عليه مضجع الرئاسة، وهو وفاة ولده البالغ السادسة عشرة من سنيه، قال : « ... لو لم أُنتخب للرئاسة ، لما كان ولدي اضطر الى ان يعيش في البيت الأبيض ، بل كان قضى ايامه في حقول التبغ التي أتعهدها ، حيث يحيا حياة سليمة ! أما في واشنطن فقد سيق الى البطالة ، وأوغل في مراس اللعب بالتنس حتى فُكِشت قدمه ، ومات نتيجة التسمم الذي اصابه » . وخلص كوليدج الصحافي الى هذه النتيجة المليئة بالحسرة : « لم اكن اعلم ان اقامتي في البيت الابيض ، ستكلفني هذا الثمن الغالي ! » .

اريد ان اشير الى هذه الظاهرة في حياة كل انسان ، امرأة كان أو رجلًا ، وهي ان عبقرية الحس الانساني لا تتأكد، ولا تفصح عن نفسها ، إلا حين نواجه الموت ، ونتملّى من أثره في نفوسنا ، في الحياة من حولنا ، في العالم الذي يحيطنا، وإذ ذاك ينتقل البشريُّ ، اي بشري ، من افق الى افق ، وتتفجر في حنايا كيانه ينابيع حس جديد تذوب معه الاطماع ، وتتداعى الامجاد ، وتهزل العظمة ، ويتوارى كل ما يثير العداوة ، او يوقظ الفتنة .

ذلك بأن الاشراف على الموت من زاوية القلب الحي ، واطلاع النفس على أثره فيها ، وهي تنعم بالحياة ، يردها الى حالة من الصفاء لا تلبث معها ان تسمو وتحلّق، وتشاهد الحياة من ذروة سموّها فلا تفكر بعد الا بغيرها ، وآلام غيرها ، وعذاب غيرها ..

ترى كيف يُفكر بالحرب امرؤ ادرك في نفسه ، او في غيره ، لوعة الموت ؟!

— ١ —

المشكلة ليست دينية !

تلك أُولى معطيات التاريخ ، وانها لحقيقة جلية واضحة في إطار المدنية الراهنة التي يعاني فيها الانسان بلاء لم يسبق له ان عرفه فيما مضى من عصور . فالدين ، أي دين ، لم يحاول يوماً من الايام ان يفرض نفسه بالاكراه ، او يجتذب الناس اليه بالاغراء ، وإنما كان ولا يزال يعمل على نقل الحيوان البشري الى انسانيته الكامنة ، او البعيدة ، او الغائبة ، او المنسية ، بيد انه لم يوفق بعد الى شيء مما عمل له ، وجهد في سبيله ، وضحى من اجله .

وكان اخفاق الدين فيما حاول من بناء الانسان ، وسيلة الى النيل منه كأداة فعالة . وكان الصراع بين المتدينين والوثنيين وسيلة ثانية الى نشوء مبادىء جديدة وعقائد جديدة ، مما جعل الدين نفسه «مشكلة» تحتاج الى حل بما حقق العلم من اختراعات واهتدى اليه من اكتشافات .

هذا يعني ان استثمار الفكر الديني او النزعة الدينية من قِبل البهيميين من الناس الذين لم يخلصوا من حيوانيتهم، ولا فكروا بغير منافعهم الشخصية ، هَدَم الحس الديني الخالص ، وحمَّل الأديان ما لا تطيق من الاتجاهات في السلوك ، والاعمال في الحياة العامة ، وادخل عليها ما هي براء منه في كثير من الأحوال والظروف .

لا سبيل إذن ، وتلك هي الحال ، الى التفكير بالدين بعدُ كوسيلة من وسائل الخلاص العام، وهو الذي تحوّل الى وسيلة سياسية للكسب ، والزعامة والاستعمار .. ويجب ان يُنظر

اليه كعقيدة شخصية بحت ، من شاء آمن بها ، ومن شاء كفر .

وانما قلت «يجب» لأن الواقع النفسي يفرض هذا الوجوب، فليس لأحد أن يُكره احداً على الايمان من جهة، ولأن مظاهر الواقع الحيوي تؤكد صواب ما نقرر من جهة ثانية .

واذا كانت المشكلة غير دينية ، فهي من طريق اولى، غير طائفية او مذهبية ، فقد روى الاستاذ « إتيان ده غريف » ، وهو من ألمع مفكري هذا العصر ، ما يلي :

« .. كنت اثناء المذابح الاسبانية الاهلية الاخيرة، افتش يوماً في صحيفة كاثوليكية ،علّي أجد ولو إشارة رأفة تعارض اعمال الكوديجو (فرانكو) ولكن عبثاً ، فاني لم اعثر على كلمة واحدة تنكر أو تشجب ، بل على العكس ، كانت الصحيفة المشار اليها تتخذ جميع الاحتياطات لتمنع القارىء من اي شعور بالعطف قد يخالجه نحو ضحايا المآسي الدائرة ، وتلح في ذكر مساويء المعسكر المناويء ، تبرر بها كل شيء[1] ».

ثم لاحظ تحول الفكر الديني في المانيا الشرقية بتأثير واقعها السياسي اليوم ، فقد أصدر حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي كتاباً ضمنه ٢٢ مقالاً بعنوان « الواقعية المسيحية » جاء فيها :

« .. على المسيحي ان يعترف بصحة الاساس الاقتصادي التحليلي الذي وضعته الماركسية واللينينية ، دون ان يكون من اتباع المادية الجدلية ! » وفي مقام آخر :

« ان اشتراكية اليوم تقدم للمسيحي افضل فرصة يغتنمها لتحقيق اهداف المسيح، ومراس النصرانية العملية، فان العقيدة التي نمت على يد كارل ماركس لاقامة نظام اجتماعي افضل ، وجدت تحقيقها الامثل في الاتحاد السوفياتي[2] »

ولمَ اذهب بعيداً في التقاط الامثلة ولدينا نحن، ابناء البلاد العربية مسلمين ونصارى على السواء ، المثل الصارخ الساطع في مأساة فلسطين ، واثرها المفجع في حياة كل عربي، وكل شرقي، وكل انسان ؟! ايجرؤ مسيحي بعد او مسلم على اعتبار نفسه متديناً وقد اذل اليهود اخوانه في فلسطين ؟! ام يجرؤ يهودي على اعتبار نفسه انساناً بعد الافاعيل التي فعلها في طبريا ودير ياسين وغيرها !

ان قيام دولة اسمها « اسرائيل » وسط البلاد العربية ، بمعونة بعض المسيحيين، وخيانة بعض المسلمين دليل لا يدحض، على ما بلغت الحضارة الغربية الراهنة من تقهقر وانحراف وانحطاط ، لأن تلك الدولة قامت على انقاض العدالة والشرف والحرية والكرامة الانسانية، ولا تزال قائمة على تلك الانقاض!

والصهيونية نفسها ما هي ؟ أليست دعواها في الدين، اطول واعرض من اي دعوى دينية في الارض ؟!

ايجوز بعد ، وهل يصح ان نحسب أن مشكلة العالم دينية او مذهبية ؟! واي عقل يرى هذا الانحلال عند أدعياء الدين من كل جنس وملة ، ثم يواجه الحياة العصرية بروح طائفية ، ولا يكون سخيفاً مهترئاً ، ضعيفاً ، هزيلاً ؟

— ٢ —

.. وليست المشكلة علمية !

العلم في متناول صاحبه « أداة » لا اقل ولا اكثر . والأداة ، اياً كان نوعها ، تتركز قيمتها في استعمالها ووجهة استعمالها ، فهي لا تملك بطبيعتها ان توجه حتى نفسها ، لأنها لا تنطوي على قيمة ذاتية تستلها من نفسها ، اي لا بد للاداة ، بتعبير آخر ، من ضمير انساني يوجه استعمالها ، لتصبح خيرة مفيدة . فاذا فقد هذا الضمير ، انقلبت الاداة — والعلم اضخم الادوات — الى سم قاتل . وتلك هي مأساة المدنية الغربية التي فقدت الضمير الانساني واحتفظت بالعلم!

بيد ان هذه الكارثة التي اصابت المدنية العربية في ضميرها ، وجعلتها تخسر اجمل ما في كيان الانسان ارجعت للشرقي همجيته الاولى ، وردته الى حيوانيته ، لان الشرقي لا يملك الاداة العلمية التي يملكها الغربي ، فانتفض على تراثه حين وجد ان تراثه لا يعينه على اعدائه ، وتحولت القضية من صراع المبادىء والعقائد الى صراع على البقاء . فموقف الغرب « اعتداء علمي » وموقف الشرق « دفاع عن النفس » تحركه الغريزة .

ذلك يدلنا دلالة قيمة على اصالة الحس الانساني في الشرق ، وعلى هزال هذا الحس او ضآلته في الغرب ، ثم يوضح بشكل منطقي علمي ان مشكلة العالم الراهن ليست علمية ، لأن الفرق، في الباعث ، شاسع بعيد ، بين من يحركه حسه ومن يحركه علمه . الاول ذو ضمير ، ذو وجدان ، ذو شرف ، والثاني عالق باهداب « الغاية المادية » التي يتكشف عنها الدرس وينتهي اليها الحساب ! الاول مسالم إلا اذا اصبحت سلامته في خطر ، والثاني محارب الا اذا اصبحت منافعه في خطر فانه يسالم إبقاء عليها .

---

(١) Notre destinée et nos instincts p.119

(٢) Time, November 3, 1952

يقول العلامة ألبرت اينشتين : « انا اؤمن بالحدس والالهام. والخيال اهم بكثير من المعرفة ، لان المعرفة محدودة ، بينما الخيال يعانق الكون بكامله ، حافزاً على التقدم وباعثاً على التطور . فهو ، بالضبط والدقة ، عامل واقعي في البحث العلمي » . [١]

إزاء هذه الحقيقة العلمية ، نجد ان « حس الشعب » هنا ، وفي كل مكان لم يتعرض به للانحراف العقلي الغربي ، اي لم يتأثر بمصالح استعمارية مباشرة ، يميل ميلاً واضحاً الى مقاومة الخزعبلات العلمية ، بعد ان كابد من الخزعبلات الدينية .

وسر هذا الميل عند الشعوب الشرقية يكمن في انها لم تعرف للعلم حسنة واحدة في حياتها السياسية ولا نالها من حسناته ، في حياتها الاجتماعية ، غير الأذى . فالشرقيون يشعرون ان العلم الغربي هو الذي نشر الاباحية ، وهو الذي هدّم الاخلاق ، وهو الذي قلب الاوضاع في البلاد لمصلحة الغرب وسيطرته .

هذا هو الشعور الشعبي ، وهو كما قرر اينشتين « اهم بكثير من المعرفة » . فاذا كان الشعب غير متعلم في الصين ، او في الهند ، او في البلاد العربية ، فهذا لا يعني ابداً انه لا يعرف عيوب المدنية الراهنة ، وانه يجهل اتجاهاتها واغراضها .

لقد وقف الدكتور محمد حسين هيكل في مجلس الشيوخ المصري ، على اثر قرار التقسيم ، وتحدث انه شاهد احد مندوبي الدول « يبكي » وهو يوقع القرار ، وفي هذا الحادث وحده ما ينهض بالبرهان على ان الضمير الغربي غير مرتاح الى ما اقدم عليه في فلسطين ، فهل يرتاح هذا الضمير الى « الثرثرات العلمية » التي تقذف بها خناجر الطمع والتعصب ؟!

ووقف المرحوم ابراهيم هنانو في احد مواقف الجهاد وقال: « .. اننا نريد الاستقلال وسيلة ، ولا نريده غاية ! » وراح الشعب يؤيده ، لا لأنه يجد في ابراهيم « عالماً » من العلماء ، بل لأنه كان يحس باخلاص ابراهيم هنانو . فالقضية الانسانية ، في اي شعب ، وفي اي بيئة ، وفي اي امة ، ليست قضية علم ، ولا قضية دين . وانما هي قضية حس إنساني نبيل .

ولكن الحس الانساني ليس من الوفرة والابتذال بحيث نجده في كل مكان ، فهناك مع شديد الأسف ، بيئآت لا تزال خاضعة للجانب « البهيمي » الصرف من الحياتين : الخاصة والعامة . وهذه البيئآت البهيمية النزعة هي التي تستغل الدين ، والطائفة ، والعلم ، والمدنية ، وما الى ذلك من الفاظ وصور ومعان لتحتفظ بما ورثت من سلطة ، او اتيح لها من ثروة ، او نالت من امتيازات .

ذلك يجعلنا تجاه واجب خطير — والضمير في « يجعلنا » راجع لجميع ابناء الارض — هو وضع العلم في منزلته الحقيقية ، وانتزاعه من القيم الكبرى التي يدافع عنها ، واحلال الحس الانساني النبيل محله عوضاً عنه ، فالحس الانساني لا يجرم ، ولا يكون اداة في يد الاجرام ، كما هو الشأن في علوم الصهاينة وانصارهم في الغرب والشرق !

— ٣ —

ولكن ... ما هو هذا الحس ؟ وكيف يظهر ؟

كان المتنبي يقول :

ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس ، روّى رمحه غير راحم!

فهل يعني ذلك ان المعرفة تؤول الى « القسوة » او الى العنف ؟ ام هو يعني ان المتنبي — وهو الشاعر المفكر — كان ضئيل الحس الانساني ؟

لا ذاك ولا هذا ! والحقيقة هي ان أبا الطيب المتنبي كان يسير ، يمشي من عصره ، في منحدر وعر زلت به جميع الاقدام وطاشت فيه سهام الرجال ، وقلت البطولات ، وندرت العبقريات ولم يبق فيه لفاضل حرمة ، ولا لفضيلة احترام ، فكان من اثر هذا الجو الخانق على نفس ابي الطيب ان ردّه الى حالة ليست باليأس ، وانما هي « ثورة اليأس » ، فان ذوي الحس الانساني المرهف لا يعرفون اليأس ولا يتعرفون اليه ، وهم ازهد الناس فيه ، وابعدهم عن الانصياع لتهاويله ، والاسترسال مع احلامه وافيونه .

وليس هذا كل شيء ، فقد كان المتنبي عربياً في دنيا تنكرت لعروبتها ، ودويلات تحزّبت لاصحابها ورؤسائها من غير ان تلتفت للبلاء الذي يحل بمجموعها من جراء التفرقة والعصبية ، فانفرط بذلك ما كان معقوداً في نفسه من آمال ، وانحل ما كان يرتبط به من مثل عليا واهداف ، وكان يأسه السياسي مبعث ثورته الشعرية ! هذه هي قصة المتنبي ، وهذا سر عنفه على الناس والزمان !

وقريبٌ من ابي الطيب موقف ابي العلاء المعري ، فليس ثمة من شك قط ، ان ابا العلاء ، وهو السوري العربي ، امتداد

(١) Life, Now and Forever by A. J. Wills P. 37

للمتنبي العربي ، بمعنى ان الحس الانساني عند المعري كان يتمثل في نقمته على الاوضاع الاجتماعية السائدة ، وعلى السقم العقلي الرائن على تفكير قومه ، واخيراً على الكون والارض والانسان ، فاذا به يصرخ :

والأرض للطوفان محتاجة ٌ لعلَّها من دَرَنٍ تُغسَل !

كلما فكرت في هذين الحكيمين : المتنبي والمعري ، وما هما عليه من نبل الحس ، وشرف الغاية ، وعرامة النقمة ، انتقلت فوراً الى مقارنة احوالهما بروّاد الفكر الحديث في اوربا واميركا وآسيا ، فأجد بعد نهاية المطاف ، ان الثورات التي تعاقبت خلال الاعصر الاخيرة من الفرنسية ، الى البلشفية ، الى الهندية والصينية انما نشأت جميعها عن تعارض الحس الانساني مع الظلم الاجتماعي والسياسي .

هذي قضية خطيرة ذات معطيات قانونية وسياسية في آن واحد ، اي ان تصادم الحس الانساني واصحاب السلطة ، يجعل السلطة نفسها في مأزق حرج ، ويحملنا طوعاً على اعادة النظر في كل سلطة لا تقيم وزناً للجانب الانساني من انظمتها ومؤسساتها وتطبيقها للقواعد الانسانية الخيرة ، فاذا كانت النقمة على السلطة هي مظهر الحس الانساني ، كما هو الامر عند المعري او المتنبي او غيرهما ممن يشاكلونهما في روسيا القيصرية ، وفرنسا الملكية ، واميركا المستعمرة عهد واشنطون ، و و و .. الخ فهذا يفيد ان قد آن الاوان لجعل الحس الانساني وحده « معياراً » للحياة السياسية ، والدولية في داخل كل امة وخارجها .

وهذا الحس الذي لا يمكننا ، في اطار معارفنا الراهنة ومدنيتنا القائمة ، ان نرضى بغيره معياراً سياسياً يحتم الاخذ بالقومية كمبدأ تاريخي محتوم ، وينفيها كعصبية قبلية اوعنصرية او دينية او فكرية ، فأنت لاتستطيع ان تجعل من الهندونيسي مثلا هولندياً بالاكراه ، وتحتفظ بانسانيتك ، كما تبقي عليه تراثه الانساني ! هذه العملية الخطرة ، وما يشاكلها ، تقضي على عاملها ومعمولها في آن واحد .

وهو – اي الحس الانساني – يحتم ايضاً ان يسود السلام جميع مناطق الكرة الارضية ، على ان يواكب هذا السلام تعاون دولي يبقي على كل امة ، وكل شعب حقوقه الاساسية في الحياة ، والحرية ، والكرامة ، فلا يفرض عليه ما لا ينبع من نفسه وتاريخه ، ولا يجعله في ضيق من رزقه وارضه وانطلاقه نحو آفاق المعرفة .

وهو يحتم اخيراً ان يفتح باب العدالة على مصراعيه في كل وطن ، وكل اقليم ، وكل امة ، ولكل فرد من النساء والرجال على السواء ، بحيث يهتم القانون ، قبل كل شيء ، بحياة المواطن ورعايتها ، وتربية العقول والنفوس قبل حفظ حقوق السلطة .

ولا بد من الاشارة الى ان الحس الانساني هذا اوفر ما يكون في المرأة . فالمرأة مهيأة بطبيعتها لبناء الكيان القومي . والحفاظ على السلام ، والرغبة الملحة في العدل ، فاذا وجهت المرأة توجيهاً صالحاً ، اي منسجماً مع طبيعتها الانسانية ، وانتزع من نفسها ما قد يشوبها من شوائب التعصب والسخف والاباحية على مختلف انواعها ، وتنوّر ذهنها حتى شارفت قمم الحياة ، هداها حدسها وإلهامها اللذان يؤمن بهما اينشتين إلى كل ما يرفع الانسان . وتلك هي عبقرية الحس الانساني .

عبد اللطيف شراره

الاصوات الذين نعرفهم ...

قصة جديدة

بقلم شوقي بغدادي

أسود .. أسود ..

كحلي .. بدأت أعدّ الفساتين السوداء ، والبذلات الغامقة دون ان يشعروا بي . كان جلياً ان هذا الفستان لم يكن لونه اسود . وان هذه البذلة ليست للابسها . كنت أرتدي انا بذلة كحلية . اما عمرها فلا اذكره . إلا انني اذكر انني لبستها في ايام الحرب الاخيرة . فهل كانت جديدة في ذلك الزمن ؟ .. لا اذكر .

بدأ عجوز الى جواري يداعب طفلة صغيرة أمامه بصوتٍ خافت :

– أتذهبين الى المدرسة ؟ . إن وجهك وسخ .. ألا تغسلينه كلّ صباح ؟ .

أتاح الصمت المخيّم ان يسمع الجميع صوت العجوز ، فبلع كلماته ، ولكنّ نظرةً واحدة الى الوجوه أشعرته أنهم يريدونه ان يقتل هذا الصمت الثقيل. فعاد الى سؤال الطفلة بلهجة اكثر مرحاً كأنه نسي لماذا هو هنا .

عندما بدأ الناقوس يدقّ ، كانت السماء غائمة ، وهدير البحر القريب يملأ القاعة ، ثم رعدت السماء وبرقت ، فترك العجوز الطفلة وتطلّع الى السماء من النافذة ثمّ قال :

– في السماء مطر ...

خرج الرجال ، وبقيت النساء . كان عليّ ان أخرج مع من خرجوا ، ولكنني تواريت . كانت السماء قد بدأت تُرسل رذاذها ، ولم يكن معي معطفٌ واق .

وقفت امام دكان خضريّ انتظر مرور الموكب . كانت السماء تمطر في تلك اللحظة، وقد بدأت تهبّ ريح باردة خفيفة. انا أعرف انه اذا امطرت السماء هدأت الريح . ولكن الريح كانت تشتد .

عندما ظهر اوّل رجل من صوب الكنيسة ، سألني زبون كان يختار برتقالاً من «سحارة» الخشب :

– هل تعرف الميت ؟ .

قلت له دون ان ألتفت :

– ميخائيل ديب ..

– هل هو كبير في السنّ ..

عندئذ التفتُّ الى السائل . كان رجلاً قصيراً ، سميناً . لم اكن بحاجة الى ان أعاشره كي أعرف انه فضولي ، فقد كان ينبش «السحارة» وراء برتقالة، وعيناه مع ذلك تسرقان النظر نحو الجنازة القادمة. لم أكن أعرف الميت شخصياً . لقد عرفت اسمه فقط اليوم من « حنّة » عندما كانت ترتب سريري صباحاً . كان قريبَ زوجها . وكنت أحبّ حنة ، وكانت تحبني كثيراً .

قلت له :

– لا اعرف ..

فترك كيس البرتقال من يده مثبتاً عينيه في وجهي ، ثم وقف الى جواري :

– كيف تعرف اسمه ولا تعرفه هو ..

– ألا يجوز ان يحدث شيء مثل هذا !

عندما صارت الجنازة امامنا نزلت الى الرصيف ومشيت مع الناس . لم ارفع رأسي الا بعد ان اقتنعت انني صرت واحداً من المجموعة ، فرأيت النعش الاسود من بعيد فوق الرؤوس . كان المشيعون كثراً ، وقد استغربت ذلك،ولكن بعد ان درنا اوّل منعطف لاحظت ان العدد نقص فجأة الى اقل من نصفه ، فاستحييت ان اهرب ايضاً . وهكذا شيّعت الميت الذي لا اعرفه حتى المقبرة .

ظلت السماء تمطر طوال الطريق كأنها كانت تريد ردّنا عن اللحاق به. وفي طريق العودة فتحت علينا أفواهاً واسعة. وكنا قبضة من الرجال ، فاخذنا نركض على غير هدى بين القبور ، ولكنني فضلت اخيراً ان الجأ الى جذع شجرة سرو ضخمة حتى هدأت السماء ، فعدت اخوض في برك الماء والوحل حتى وصلت الى الطريق العام .

– يا حنّة .. لقد تبعتهم حتى المقبرة .. فتبللت ثيابي .. وسقطت في الوحل كثيراً . هل انت حزينة عليه يا حنة ؟ .

لم تكن حنة حزينة عليه بقدر ما حزنت عليّ وانا أروي لها قصتي المحزنة تحت المطر .

– سأمرض يا حنة .. وساموت انا ايضاً . .

وتلاقت عيوننا في ابتسامة. لقد كانت مزحة ثقيلة . ما كان

أطيبك يا حنة في تلك اللحظة !.

قلت لها :

– لولاك يا حنة ما دخلت الى قاعة فيها عشرون رجلا وامرأة لا اعرف واحداً منهم .

فقالت لي :

– ولكنك تعرفني انا ..

صحيح . كنت اعرفها . وكان هذا يكفي . كنت اقول لها احياناً إنها مثل امي . فيصطبغ وجهها المغضّن بالدماء ، وتلوك بعض كلمات غير مفهومة ، فيهزني ارتباكها ، وأودّ لو اضمها الى صدري وأقبلها .

في المساء ، عندما كنت اعود من عملي مرهقاً ، وقبل ان أصعد الى غرفتي كنت أدق عليهم الباب ، وأدخل على الفور . فقد كنت اعرف واثقاً انهم في تلك اللحظة متحلقون حول النار .. هي .. وزوجها النحيل المتهدّم .. وابناها الصغيران .. هيلانة وجبرائيل .. فينهضون لاستقبالي وقد أضاءت وجوههم ابتسامة مشرقة . وتهبّ حنة فترفع فتيلة مصباح الكاز ، وتدفن ركوة القهوة في المنقل ، وتسألني عن عملي ، وأسألها بدوري عن ابنها الكبير ، وهل لا يزال غائباً عن البلدة ، فتتنهّد ، وتغرورق عيناها بالدموع . وكثيراً ما كان يرفع الزوج رأسه فيسألني :

– متى ستسافر الى الشام يا رضوان افندي ..

وكان كلما سألني ذلك قال لي بعدها :

– اذا سافرت فلا تنس ان تسلم لي على حكمت افندي في سوق ساروجة قرب حمام الجوزي ..

اما حكمت افندي هذا فيعلم الله وحده اين مكانه. وكنت اقول له :

– حكمت افندي يسلم عليك ..

فيقص عليّ قصة صداقته له منذ ايام الحرب الاولى . في ذهن هذا الرجل كانت صورة صديقه تلخص ماضياً لا يزال يتألق كجمرات النار التي يمدّ فوقها يديه المعروقتين . لقد سألت له عن صديقه كثيراً في سوق ساروجة ولكن لم يذكره احد . لا بد ان حكمت افندي هذا قد مات منذ سنين ، ولكنني لا أزال احمل له تحيات صديقه كلما سافرت واعود بمثلها.

في تلك الأمسيات التي كنت اقطع منها دقائق في تلك الغرفة الواحدة التي تشكل كل البيت ، كنت اتذكر اهلي واتصورهم حول النار ايضاً ،ولكن في غرفة غير هذه الغرفة .

كانت حنة في ايام تعارفنا الاول ترتبك لقدومي ، فلا تريدني ان ادخل قبل ان ترتب الغرفة . وكثيراً ما كنت أفاجئها وهي تلوب في ارجاء الغرفة تحاول ان تخفي فقرها عن عيوني قدر ما تتيح لها يدها الماهرة الناشطة ذلك . ولكنها ألقت سلاحها اخيراً ، فقد كنت بالمقابل لا احاول ان اخفي عنها شيئاً.

الوحدة .. ذلك هو الوحش الذي كنت اخشاه. عندما تغيم السماء يهرب كلٌ الى بيته وناره واهله .. اما انا .. فلم يكن لي اهل يوم جئت هذه المدينة . ولكن ها قد مرّ عامان وبدأت أنسى تلك الأيام الموحشة الأولى . منقل من النار صغير يدخل به عليّ في الليل فتى صغير .. صحن من البرغل بالعدس تحمله فتاة صغيرة ارهقت عينيها القراءة المستمرة تحت ضوء الكاز .. سؤالي هل تحتاج الى شيء .. فنجان القهوة التي ترتجف به يد الصغيرة كل صباح مع هذه التحية الخالدة الجديدة ابداً: سعيدة! سعيدةٌ .. مباركةٌ ايامكم يا من احملهم في قلبي ادفأ ذكرى يحملها شاب . تلك الاشياء الصغيرة اليومية كانت تحمل الى غرفتي الفارغة انفاس البشر المحبين . ولكم من مرة حاولت ان اردّ صحن الطعام ، فكانت انكسارة عينين وحدها قادرة على ان تهدّم كبريائي ، وينهار لها ارتباكي وحيائي فأشكر في خجل ، ثم تمرّ الأيام ، فأصفّق ، وابدأ الأكل على الفور .

وإن أنس لا أنس تلك الليلة التي شعرت فيها ان امعائي موشكة ان تتمزّق ، فبدأت أتأوّه وانا أجالد الصرخات العالية تكاد تتفجّر . كنت وحدي ، وكان الليل في الخارج هادئاً عميقاً كأنه جبّ عميق يلتهم جميع اوجاعي وصرخاتي، فاذا انا في صحراء مخيفة ، والبشر على مرمى صوت مني . بدأت أتمتم من بين اسناني :

– آه .. آه .. يا أمي .. يا أمي ..

كالطفل وهو يفزع الى الصدر الذي يحميه من شرور الدنيا جمعاء . مثل ذلك الطفل كنت اتوسل وأناديك يا أمّ ، واذا بالباب يفتح ، ويدخل شبح يقول لي على الفور :

– رضوان .. يا الله .. لقد قال لي قلبي من النهار .

لقد قال لها قلبها ! تلك هي المعجزة . في صميم الليل ، كما يفتح التوأم النائم عينه على اوجاع طعنة تلقاها اخوه في طرف بعيد من العالم . مثله ، نهضت هذه المرأة العجوز كأنها ملاك طيب يطوف في الليل مواسياً المعذبين من الناس .

اما أنت يا حنة ، فلقد أنقذتني من مرضي . أما أنا فماذا صنعت لك ؟! عندما سقطتِ من الاعياء بعد صراع سنوات وقالوا لي : حنة مريضة ، ماذا استطعتُ أن أعمل . لقد اتيت لك باذكى طبيب . ولكنك كنت خارجة على نطاقه بعد صبر سنين على آفة كانتَ تأكل احشاءك وانت صابرة كالقديسات . إنها الغرفة الرطبة الباردة .. لا .. بل هو العمل المستمر .. لا .. بل هو نقص في التغذية .. لن افتش مع احد عن الاسباب . أنت الآن امامي غير قادرة على ان تملأي ركوة القهوة وتدفنيها في منقل النار . وهذه هي هيلانة ، واجفة مقرورة ، تحاول ان تقرأ درسها ولكنها لا تفهم . وها هو جبرائيل ذاهل يتطلع اليّ كأنني استطيع صنع المعجزات . وابنك الغائب .. هذا الانسان الذي لم يعد حتى في مرض امه . لكم وددت ان يعود ، فتفرحي به ، وتتماثلي للشفاء . اما زوجك ، فقد نسي صديقه القديم حكمت افندي ولم يحملني اليه تحايا الوداد العتيق . ألم تشعري يا حنة في تلك الايام انك تقضين على أسرة كاملة لو رحلت عن دنيانا . فلتبذلي الجهد كي تشفي ، إننا نحتاج اليك جميعاً .

لم يكن في البلدة زهر يا حنة كي املأ به بيتك الصغير . ولكني ملأته بكثير من الاشياء ، وكنت تشكرين بعينين مات فيهما النور الوضيء الاول ، ولم يبق من القديسة إلا الجسد الذي يتنفس .

سألتني ذات مساء :

— من يرتب لك غرفتك ؟.

قلت لها :

— أنا ..

قالت :

— سأرسل لك هيلانة ..

— إن هيلانة غير قادرة على مثل هذا العمل . إنها تلميذة مدرسة ايضاً .

كانت هيلانة الى جوارنا تستمع الى حوارنا ولا تتدخل . هذه الصبية التي لم تتجاوز العشر سنوات كانت تحسّ بالمأساة في تلك اللحظة ، ولكنها لم تكن تعرف كيف تتكلم .

قالت حنة :

— متى ستسافر ؟

قلت :

— لماذا ؟ هل لك أنت حكمت خانم كي اسلم لك عليها . لن اسافر .. سأظل الى جوارك ..

فابتسمت . ولولا انها كانت متعبة لضحكت . وكمن توقظه من حلم ، استيقظ زوجها من غفلة على اسم صديقه فسألني سؤاله الخالد ، وعندئذ ضحكنا جميعاً ، الا المريضة ، فقد سعلت سعلتين جافتين .

ولكن مرضك طال يا حنة . فاضطررت ان اسافر . وعندما عدت ، لم اشعر بيدك على متاع غرفتي ، ولم اجدك ساعة ذهبت الى بيتكم . كانت هناك امرأة غريبة قيل لي انها اخت زوجك . اما الأسرة فكانت كما تعهدين ، إلا ان هيلانة كانت لا تقرأ ، فقد اخرجها ابوها من المدرسة بعد ان متّ كأنها لم تقرأ الا لكِ . وأما ولدك الغائب فقد عاد .. ولكن مع امرأة . واما أنا ..

اتذكرين يا حنة يوم اخبرتني بموت قريب زوجك وخرجنا وراءه تحت المطر . لقد سألني في ذلك اليوم احد الغرباء :

— هل تعرف الميت ؟

فقلت له اسمه الكامل مع انني لا اعرفه ، ومشيت وراء نعشه . ولكنني في هذه المرة لم اكن حاضراً ، ولو سألوني عن اسم الميت لعجزت . انا لا اعرف اسمك الكامل يا حنة . ولكنني اعرفك انت جيداً . ومع ذلك فقد رفضت ان تدعيني امشي وراءك .

لماذا مت في غيابي يا حنة .. لماذا ؟ ترى أأمطرت السماء في ذلك اليوم كعادتها ..

شوقي بغدادي

طرطوس — من رابطة الكتاب السوريين

هل أُصِيبَ الشِّعرُ العَربي بنكسة ؟

الآداب تستفتي

« جزع كثير من الادباء من ان يصاب الشعر العربي بنكسة قوية بعد شوقي وحافظ ومطران والرصافي . فهل تعتقدون ان الشعر العربي الحديث قد اصيب حقاً بهذه النكسة ؟ »

هذا هو موضوع الاستفتاء الذي طرحته «الآداب» على عدد من الادباء المعنيين بشؤون الشعر في العالم العربي ، فتلقت الأجوبة التالية :

جواب الاستاذ سيد قطب

أعتقد ان هؤلاء الذين يقولون : إن الشعرقد أصيب بنكسة بعد شوقي وحافظ ومطران والرصافي ، متأثرون بلون خاص من الشعر ، يحسبونه وحده هو الشعر . ومن ثم لا يكون هناك شعر بعد أولئك الشعراء .

ولكنهم لو أفسحوا حسهم للأنماط الأخرى من الشعر ، التي هي أحق بكلمة « شعر » ، لرأوا أن ليست هنالك نكسة على الإطلاق . كل ما هنالك أن البذور الجديدة لم تبلغ قمتها بعد ، كما بلغت الأنماط القديمة قمتها في شعر أولئك الشعراء .

ولست أشك في ان البذرة الجديدة أنفس قيمة وأصدق في تمثيل الشاعرية الحقة من الأنماط القديمة ، وأنها حين تتم تماماً ستكون أعلى بكثير من تلك الأنماط .

ولست أشك في ان نماذج مثل الشابي ، ونازك ، وفدوى ، تطمئننا على الشعر في حاضره ومستقبله .. ولكم وددت لو أجد فسحة — ولو صغيرة — من الوقت والجهد لدراسة المقومات الجديدة الأصيلة في شعر هؤلاء الثلاثة ، وكذلك في شعر بعض شباب العراق .. ولكن الشواغل لم تعد تفسح لي هذه الفرصة ... وأسفاه !

جواب الاستاذ خليل الهنداوي

يظهر ان مجلة « الآداب » قد جزعت كثيراً على الشعر ان يصاب بنكسة بعد موت شوقي وحافظ ومطران والرصافي ، فهي تتساءل عن مدى هذه النكسة ، والى اين تذهب ؟

أما ان هنالك نكسة فلا بد من الاعتراف بها ، ولكن الاولى بها ان تظهر الجزع على نكسة تصيب الشعر العالمي عامة ، وقد اصيب بها .

فليست النكسة متعلقة بالشعر العربي الحديث وحده ، لانني على اعترافي بفضل الذين ماتوا ، وبفضل شوقي خاصة ، وهو موهبة العبقرية في العرب لهذا العصر بمحاسنه ومساوئه ... لا أرى ان فقدهم قد أصاب الشعر بنكسة ، بل ان في الأحياء شعراء اكثر استجابة لعواطفهم ، وآمن لفنهم ، وأشد تعصباً لشخصيتهم ، وأكثر اتصالاً بمفهوم الشعر العالمي ... — اطال الله في آجالهم ، واطلق من حناجرهم !

اذاً ، فالنكسة في شعرنا لا تعود الى ذهاب هذه العناصر ، ولنا ، بدلاً عن حافظ والرصافي وشوقي ومطران ، كثيرون قد أبدعوا ، ولا يزالون يبدعون... وانما نكسة الشعر تعود الى عوامل عدة ترتبط بهذا العصر الذي اختلف بروحه وعقليته عن العصور السابقة ، واقام قيماً جديدة لأنواع من الأدب جديدة . ولعل في مقدمة هذه النكسة « النزعة المادية » التي غلبت على ألوان تفكيره وتوجيهه ، حتى جعلت من حياتنا « مادة » لا تغذيها إلا المادة ... وما أكثر ما تلح علينا المادة بتكاليفها ! فمن ذا الذي يتفرغ اليوم لقراءة الشعر والتغني به ؟

لقد خاف الفيلسوف الفنان « غيو » في فجر النهضة العالمية على الشعر ، ولكنه آمن بأن الشعر باق ، وليس في مبتكرات العلم الا ما يغذيه ، ويلون صوره ، ويوحي اليه بالمعاني . ولكنه بدل الغاية التي يهدف اليها الشعر ، وجعل منه « شعراً علمياً » يستفيد من مبتكرات العلم ، وهيهات ان يلد العلم شعراً ! فالشعر ان لم يعتمد على ما حلقه الله له من عاطفة ، وتوقد ، وشخصية ، والوان ، والحان فهو ليس بالشعر .

اذاً ، فهنالك النكسة العالمية التي اصيب بها الشعر في كل بلد... وإن صادفت حياة ما للشعر فهي الحياة التي يمارسها الطلاب في مدارسهم وجامعاتهم . ولولا دراسة الأدب دراسة جبرية لرأيت الشعر مادة نادرة ، لا يبحث عنها الا من ابتلي بها . ولكن الخوف الآن عندي الى متى ستحرص المدارس على تدريس الشعر ؟ وهل يأتي زمان تطغى فيه المعارف الآلية ، والعلوم التطبيقية على كل شيء ؟

على ان من عوامل هذه النكسة عوامل وراثية تنجلي في الشعر العربي ، وطالما شكا الشعراء اهمال الناس للشعر . و هذا ابو تمام يقول :

اغلى عذارى الشعر ان مهورها عند الكرام وان رخصن غوالي

فعذارى الشعر في عصر ابي تمام رخيصة المهور ، لا يتنافس في إغلاء مهورها الا كرام الناس . واليوم لم يعد من كرام لهؤلاء العذارى ، ولا من طامعين في جمالها ، على اننا نحمد الله على ان شعراءنا لم يعودوا يعرضون عذارى شعرهم في الاسواق ، وانما هم يريدون ان يلبوا حاجة انفسهم ، او اوطانهم أو مجتمعهم ، او الانسانية عامة . ولا يريدون اكثر من قراء يحترمون إنتاجهم ، فهل يفوتهم القراء ؟ وهذه نكسة الشعر ، لا نكسة تتعلق بشعراء ؟

ومن اسباب هذه النكسة ما يتعلق بتقصير شعرنا بصورة خاصة... من انعدام ذلك التجاوب بينه وبين القراء في عاطفته حيناً ، وفي لغته حيناً آخر . ومن قيود كثيرة ، ومناسبات ضيقة يموت القول بموتها مهما كان شريفاً . ومن اقتحام الشعر الغربي الذي هو اصدق انسانية ، واغزر ألواناً ، واكثر انطباعاً على النفس . والشعر نفسه ضيق المجال ، كثير الحدود ، يشهد على ذلك ان اعاظم الكتاب يبدأون حياتهم الادبية بالشعر ، ثم يتسللون منه الى الكتابة ، لأنها ارحب مجالاً للتعبير عن عواطفهم وافكارهم خارجين عن حكم الوزن والقافية الرتيبة .

هذه النكسة التي تخشاها مجلة الآداب مرتبطة على كل حال بالنكسة العالمية ، فاما ان تجعل الشعر كله عاجزاً ، وإما ان توجهه توجيهاً جديداً . ولكني احب ان اكون متفائلاً ، لأنني اعتقد ان الأدب وحده ستعود اليه الانسانية المرهقة بتكاليف المادة ليوقظ عاطفتها الانسانية ويقتل روح الأثرة فيها ، اذا سامت من الواقعية والمادية .

ولكن متى يكون هذا ؟

قل ... علمه في ضمير الغيب !

جواب الدكتور محمد المهدي البصير

في اعتقادي ان الشعر العربي الحديث لم يصب بنكسة على الاطلاق وانه لا محل لافتراض مثل هذا الفرض ، فان الوطن العربي كان ولا يزال وسيظل بأذن الله منبتاً خصباً لفطاحل الشعراء . وكل ما حدث هو ان الظروف لم تواتِ شعراء الجيل الحاضر لكي يصيبوا من الشهرة وذيوع الصيت ما اصاب حافظ والرصافي وشوقي ومطران . هذا الى اني احب ان اسأل بدوري :

أمن الانصاف او العدل ان نتصور وجود نكسة في الشعر العربي وعمر ابو ريشة والجواهري وبدوي الجبل واحمد الصافي النجفي وايليا ابو ماضي وغيرهم ممن لا تحصرني اسماؤهم ولا يقلون عنهم عظم شاعرية وغزارة انتاج وبعد صيت ايضاً على قيد الحياة ؟؟..

جواب الاستاذ عيسى الناعوري

قبل مطلع هذا القرن كان البارودي يملأ دنيا الضاد شعراً ، وقال الناس إنه قد اعاد الى الضاد عزها وعصورها الذهبية . ثم مات البارودي ، ولكن الشعر لم يصب بعده بأية نكسة ، بل ازداد قوة وحيوية وإشراقاً على ايدي الذين خلفوه ، وكانوا كثرة وليس واحداً .

وكذلك لم يصب الشعر باية نكسة –او ما يشبه النكسة– بعد وفاة شوقي وحافظ ومطران والرصافي – ولست ادري لماذا نسي الزهاوي ايضاً من الاستفتاء، وقد كان من طبقتهم– فما يزال يغرد على دوحته امثال ابو ماضي، والقروي ، وابو ريشة، والاخطل الصغير ، وبدوي الجبل، والجواهري، وغيرهم . لقد كان الشعر لدى اولئك « كلاماً وتقليداً » ، وهو لدى هؤلاء « رسالة حياة وإبداع » .

وسيذهب هؤلاء ايضاً –بعد عمر طويل– كما ذهب اولئك ، ولكن ذهاب جيل من الناس لا يعطل استمرار الحياة وتجددها في اجيال اخرى ، لا تقل عنه عظمة ، إن لم تتفوق عليه ، والشعر صنو الحياة ، يرضع قوته وبقاءه من ثديها الذي لا يعرف الجفاف ، واذا جف فترة ما فليس لينضب ، ولكن ليعود بدر جديد ، وحياة جديدة ، احلى وازهى وابدع مما كان .

انني لست من الذين يميتون الفضل كله مع الذين يموتون ، فليس هؤلاء سوى افراد من ركب الحياة المندفع دائماً الى الامام . والأمة التي في روحها رصيد من حيوية، لا يمكن ان ينتكس فيها الشعر ، وهو وجه الحياة الجميل، ومرآتها الصافية .

وعدا هذا دعني اقولها لك بصراحة ، وبدون تهيب : انني لست من الذين يرون لشوقي ومطران وحافظ والرصافي – وامثال هؤلاء – من النفوق الإبداعي ما يسمح بأن نخشى بعدهم على الشعر من الانتكاس . وأؤكد لك انني افضل عليهم الف مرة هؤلاء الشعراء الذين قلت انهم لا يزالون يغردون على دوحة الشعر ، ولست اعدل اولئك جميعا بأي واحد من هؤلاء ، ولا ممن لا ازال ارقب للشعر العربي كل الخير على ايديهم ،من شعراء الاجيال الطالعة.

اننا نسير الى الامام ، وهذا الذي ما تزال تحتفظ به الايام – لقرب العهد – من مجد شوقي وزملائه ، سيضيع حتما امام ما تتفتح عليه براعم الشباب من حيويات ومواهب إبداعية ، لا تؤمن بشعر المناسبات الشخصية ، ولا تعرف « ببغاوية » التقليد والاجترار التي عاش اولئك وبنوا مجدهم – لجيلهم – عليها .

واقولها بصراحة ايضا:إن ما لا نزال نعظمه من شاعرية شوقي و«شلته»، ومجدهم الادبي، ليس الا من مظاهر عبادتنا للماضي – وليس في الدنيا امة مثلنا تعبد الماضي ، وتعطيه اكثر مما يستحق ، بينما تبخل على الحاضر والمستقبل بما يستحقان من حرص وعناية وتقدير .

ولكن عبادة الماضي ستزول ، وسنعرف كل شيء بقيمته الذاتية – لا الأثرية – التي تعكسها عليه مقومات الحياة المتطورة المتجددة بلا انقطاع .

جواب الاستاذ بطرس البستاني

قد يكون سر الجزع الذي حل بطائفة من الادباء بعد شوقي وحافظ وخليل والرصافي ، الى حقيقة راهنة ، اذا تدبرنا ما في نفحاتهم من اصداء لآلام الشرق العربي وآماله . فقد كانت اشعارهم تتردد في امصاره جمعاء، كأنها نسجت من نياط قلوب ابنائه ، في حين ان الشعر بعدهم ، اذا استثنينا بقية صالحة من معاصريهم، يكاد لا يترجع صداه الا في قطر دائرته،او ما جاورها عن كثب.وقلما نرى شعراً يجوب البلاد العربية ، ويرويه ابناؤها على اختلاف النزعات . لأنه اما ان يكون مخالفاً لعقائدهم ، او مبايناً لاذواقهم الادبية ، لما فيه من ازياء والوان لم تجمع النفوس على استياغها في موطنها، فبالأولى الا تستاغها المواطن الاخرى من ديار العرب، وان يكن الجمال لايعدو بعضها، على ما في جملتها من حذلقات التعبير ومرض الالفاظ .

وقد يكون مرده الى ما احدثته الحرب العالمية الثانية من نكس في القرائح، واضطراب في الحياة الادبية . ولعل هذه الظاهرة لم تقتصر على العربية ، فان الشعر الافرنجي ،كما يظهر ، يعاني ازمة واضطراباوخبطا في الازياء والالوان والمذاهب ، فما يقل عما نحن فيه من سوء الحال .

على اني لست من المتشائمين بمصير الشعر ، فانه لم يخل امره من شعراء يسدون مسد سلفهم ، الا عصر الانحطاط ، ومعاذ الله والادب ان نفكر فيه، وبالأيك اطيار فصيحة اللسان ، تحسن الغناء ، ويحلو لها التغريد . وقد تعود ادباؤنا من عهد بعيد ان يختموا الشعر بعد موت نوابغه ، فختموه بالاخطل والفرزدق وجرير ، ثم ببشار ، ثم بابي تمام ، ثم بابن المعتز ، فقالوا : فتح الشعر بملك وختم بملك، ثم بالمتنبي. وهكذا دواليك الى ان بلغنا شوقي وحافظ وخليلا والرصافي . فالشعر لا ينفك مختتماً مفتتحاً الى ما شاء الله .

جواب الدكتور مصطفى جواد

في تاريخ الآداب والفنون شواهد كثيرة على ان اكثر التطورات فيها كانت تعد (انتكاسات) ومنها بالبداهة (الشعر) . فالذين يكرهون التجديد والتوليد لكرامة القديم عندهم وعزازته عليهم ، يرونها انتكاساً وارتكاساً ، ولكن التطور امر طبيعي يعتمد على الواقع من ذوق غالب وثقافة غالبة وهوى عام قاهر ، ووجهة اجتماعية قاسرة. وفي الحق ان الشعراء المذكورين في السؤال كانوا من « مخضرمي عصرين » وإن كانوا مجددين بعض التجديد بالاضافة(١) الى الذي قبلهم .وقد اتجه الشعر العربي في اواخر اعمارهم وجهته الجديدة التي عدها اهل الجمود « انتكاساً » ولقد فطنوا – أعني اولئكم الشعراء – الى قوة سلطان التطور ففزع شوقي الى الشعر التمثيلي بعد ان تقضى زمانه ، وعمد غيره الى مواضيع اجتماعية لتصوير شيء من السيرة الاجتماعية ، واضطر آخرون الى إتلاف شعرهم الذي نظموه في مدائح الاستجداء والاسترفاد وفي مراثي من لا يستحق الرثاء من العباد ، علماً منهم بأن هذا الشعر ان ظهر للناس موسوماً بأسمائهم وصمهم بوصمة القدم والجمود فضلاً عن العدم والركود. والتطور الذي اومأنا اليه انما حدث في الاعاريض (الأوزان) والمعاني والمباني ، والمقاصد والمغازي ، فقد عدل عن القوافي الطويلة النفس الى المقطعات والموشحات المنسية ، والرباعيات والثانيات (٢)

---

(١) « بالنسبة الى ... » ويغلط من يستعمل هذه العبارة بمعنى « زيادة على ... » و « مضافاً الى » .

(٢) نظم جماعة من الشعراء « ثمانيات » اي مقطعات مؤلفة من ثمانية اسطر وسموها « رباعات » خطأ فالاصطلاح لا تتحكم فيه الاذواق .

والسباعيات من النوع القديم الذي كان يسمى « مسمطاً » وكان قليلاً جداً ونـادراً .

وافتن الشعراء في المقاصد والمغازي وامعنوا في الخيـال المبدع والتشبيه الرشيق والغزل الرفيق ، بلغـة سهلة سمحة ذات انسجام واطراد ، ولباقة وأناقة ، وهـذا الوصف لا ينفي عنه ان يكون فيه ما يشبه هذيان المحموم بكلم منظوم ، يأتيـه متطفلون على الشعر ويحسبونه شعراً عصرياً لاستحواذ التقليد البليد على نفوسهم، ذلك التقليد الذي لايخلو منه عصر من عصور الادب.

ومن ادلة الاقبال على الشعر العصري وامارات ازدهاره ظهور هذا السرب من الشواعر النواشىء ، في مختلف الاقطار العربية ، نتيجة من نتائج التثقيف النسوي فيها ، مع ان ازهر عصور الادب العربي في القديم لم يكن فيه من امثالهن الا القليل الاقل بحيث لا تتجاوز الافواه في اعتدادهن كلمة «اثنتين»، وقولي « امثالهن » اعني به الشاعرات لا ان طبقة شعرهن من طبقة هؤلاء العصريات ، فالبون بين الشعرين كبير في المعاني . وفذلكة القول ان الشعر العربي اليوم قـد اصبح متحرراً مبدعاً رشيقاً انيقاً صادقاً في تصوير الاهواء المعروفة بـ « العواطف » بعيداً عن التكلف والرياء ، والخشونة والجفاف ، سليماً من آفات الاستعباد الصناعي اللفظي ، الذي كان الرضا بأفانينه اللفظية يغطي على عدم متعته الفنية عند النقاد اللفظيين .

وهذا التحرر قد افقده من المقاصد القديمة : « الحماسة » في القوميـة والسياسية و « المدح » و « الهجاء » و « الرثاء » ، لأنه لم يجد لها مبـاءة في السيرة العربيـة العصرية الاجتماعية ، وذلك الى الحماسة في النهضة العربيـة الاخيرة ، كانت مكفولة من الملوك والامراء والزعماء والرؤساء على العادة القديمة في البلاد العربية ، وشجعت عليها دول كانت تناوىء الاتراك في القومية والسياسة ، فلما بلـغ الطالب غايته والمريد مراده والساعي مداه ، تضاءل التشجيع ، وتفهت المعاضدة ، وحلت الكفالة ، وبطل الاستحسان ، اما عند العرب فذلك لأن الذين تولوا امورهم إما مدعون للعروبة ما دامت حلوبة دارة الاخلاف او الضروع ، فهم لا يحسون بوسبس الشعر العربي في افئدتهم وإما عرب غلبت عليهم العـامية والجهل والجفاء فهم كالانعام بل اضل سبيلاً وإما متفرنجون يجهلون العربية ويتجانفون عنها ستراً لتفريطهم فيها ، وتغطية لتقصيرهم في حقها ، وامـا الغربي فقد بلغ مراده بالتشجيع وافاد فائدته بالمساعدة ، ووصل الى مبتغاه بالاستحسان ، فلا خير له في الاستمرار لانـه مدعـاة الى الاغترار ، وقد اصبحت الحماسة الشعرية في البلاد العربية خطراً

عليه لان التداوي بالسم في مرض مخصوص لا يعني انه دواء عام دائم ! وهو قد تداوى بهـذا السم وشفي من مرضه ، فلا حاجة له الآن فيه . وخلاصة القول ان الشعر الحماسي مقضي عليه في البلاد العربية قريباً ، ما لم يصب التغيير من ذكرنا وما ذكرنا . لان الكفالة ضرورية له .

واما « المدح » فقد بارت سوقه ، وانحل نظامه ، وانهارت دعائمه وبطلت الدواعي اليـه ، ففي القديم كان اكثره من الكذب والتزوير ، والاغراء والتغرير ، بحيث كان من مفاسد الاخلاق ، والملق الدنيء ، والتثبيط الرديء وقد اضر بالامة العربية كثيراً ونفعهـا قليلا ، فان كانت هذه حاله يوم كان العرب عربـاً فكيف يكون والعروبة اليوم على الصفة التي ذكرت لك ؟ والحمد لله على موت المدح والهجاء اللذين يعتمدان على قلة الحياء .

واما « الرثاء » فهو في الاصل من الشعر الصادق وهو الوفاء المصور بلغة الشعر والحب المحـرر بالفن ، والدموع المقابلة كلها نظيماً ، فاختلاله اعتلال للشعر ، وبالبداهة لا نعني بالرثاء الرثاء المأجور الذي ذهب زمانه فان ذلك من قبيل المدح المزور والكذب المكرر ، ولعل من الادباء من يعد فقدان الشعر العربي ، العصري للحماسة والمدح والرثاء انتكاساً ، فليس ذلك بصواب من الرأي، وانما فقد الشعر الحماسة لذهاب اهلها وتحول الحماسة الشعرية عند الزعماء ونخشى على الرثاء ان يصيبه الفناء وهو من صادق الشعر .

جواب الاستاذ انور المعداوي

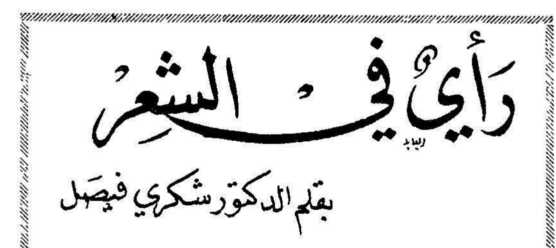
ماذا يقصد هؤلاء الجازعون بقولهم ان الشعر قد اصيب بنكسة قوية بعد شوقي وحافظ والرصافي ومطران ؟ اذا كانوا يقصدون انصراف الناس عن الشعر في هذه الايام بعد احتفائهم به بالامس واقبالهم عليه ، فتلك ظاهرة ادبية عامة لا تقتصر على بلادنا دون غيرها من البلاد ، حتى يصح القول بأن التبعة تقـع على شعرائنا دون غـيرهم من الشعراء ، او بان العلة في ذلك هي قصورهم عن بلوغ المستوى الفني الذي تتطلع اليه في كل شعر ممتاز !

ان النكسة قـد اصابت الشعر العربي الحديث كما اصابت الشعر الاوربي الحديث ، حتى لقد امتنعت اكثر دور النشر هناك عن طبع الآثار الشعرية نظراً لكساد سوقها بين مختلف الفنون ... وليس من المنطق في شيء ان يرد هذا الكساد الى ان شعر اليوم عندنا اقـل امتيازاً من شعر الامس ، لأن الإعراض عن الشعر قـد اصبح ظاهرة عامة تشمل انتاج هؤلاء الاربعة كما تشمل انتاج من اتى بعدهم من الشعراء ! ترى هل تستطيع موازين النقد ان تفضل شوقي على شاعر مثل علي محمود طه ، او مطران على شاعر مثل ابي ماضي ، او حافظ على شاعر مثل أبي ريشة ، او الرصافي على شاعر مثل ابي شبكة ؟ لا اظن ... واذا فعلت يومـاً فهي الموازين التي يتحكم في آرائها الهوى او تسيطر على احكامها الغفلة او تتخلى عن اتجاهها سلامة التقدير !

ان النكسة اذن ليس مصدرها ان افق الشعر قد خلا بعد شوقي وزملائه من الشعراء المحلقين، لان هؤلاء الذين اتوا بعدهم وحددنا اسماءهم قد عرضوا الشعر العربي الحديث في صور جديدة ، صور اقـل ما يقال عنها ان الجيل المعاصر قد وجد فيها من المتعة الفنية ما لم يجـده في صور الأمس ، يوم ان كان الشعر يلقى من الاقبال في ماضيه القريب ما لم يلقه في حاضره المشهود !

لو كان شعر شوقي وزملائه في هذه الآونة اكثر شيوعا لدى الجمهور القارىء من شعر علي طه وزملائه ، لأمكننا القول بأن هناك نكسة قوية ولأرجعنا السبب الى امتياز اولئك عن هؤلاء ، ولجزعنا مع الجازعين على سمة الشعر العربي الحديث !!

ولا نريد هنا ان نتحدث عن الازمة « الاصيلة » التي يعانيها الشعر في كل مكان، لأن الحديث عن هذه الأزمة يحتاج الى دراسة مطولة يربط فيها الباحث بين الظواهر الفنية وبين اسبابها الطبيعية .



مرد هذا السؤال الذي أثارته « الآداب » الغراء امران :

أحدهما هذه الازمة التي يعانيها الشعر بوجه عام عند كل امم الارض .

والثاني هـــذه الازمة التي يعانيها الشعر بوجه خاص في العالم العربي .

واحسب ان مجال الحديث فسيح إذا نحن نظرنا في هذين الامرين معاً ، فحسبنا لذلك ان نكتفي بواقعنا الخاص ، على إيماننا بهذه الصلة التي تربط بين هذا الواقع وبين واقع الشعر في اللغات كلها .

والامر في جماته بالنسبة الى الشعر العربي ليس أمر « نكسة » ولكنه أمر « تطور » .. وفهم اتجاه هذا التطور ومداه وتطابقه مع الشعر العربي القديم او تباعده عنه ، هو الذي يتيح لنا بعد ذلك ان نرى اهو « نكسة » ام هو شيء آخر غيرها.

* * *

والواقع ان الاساليب المطبوعة والاصيلة التي كان يتحلى بها الشعر العربي الحديث عند شوقي وحافظ بوجه خاص ، والصلة المكينة التي كانت تربط بين القصيدة عند هؤلاء الشعراء وبين القصيدة عند المتقدمين من الشعراء الفحول... هذه الصلة توشك ان تكـــون قد تعرضت في الشعر المعاصر الى شيء من الرثاثة او الانقطاع.

والظاهرة الواضحة في شعرنا المعاصر الذي نقرؤه في الدواوين والمجلات انه شعر ينحرف به اصحابه عن سنن الشعر القديم ... يخالفون في كثير من المرات عن الاسلوب والبناء وتأليف العبارة ، وعن الوزن والقافية وقواعد العروض ، ويخرجون به عن هذا الطريق اللاحب العريض الذي اعتنه مواكب الشعراء على مدى القرون الى هذه الطرق الجانبية التي تتفرع من هنا ومن هناك ... كأنما تعبر بهذا التفرع عن الرغبة في الانفلات والميل الى الانطلاق والتخفف من كثير من القيود.

ومن هنا... من هذه المقابلة بين السبيل الذي كان يسير فيه شوقي وحافظ وبين السبيل الذي يسير فيه شعراؤنا المعاصرون تتبدى هذه الفجوة او هذا الانحدار... وهي فجوة تحليها احيانا بعض النباتات او تكسوها بعض الشجيرات او تتفجر في سفوحها ينابيع او تتحدر على جوانبها جداول او يكون لها هذا اللون من السحر او ذاك فنسميها تقدماً بالشعر واغناء له ... وهي في اكثر الاحيان فجوة جرداء غبراء عارية تبعدك عن الطريق دون ان تكسبك من وراء ذلك جمال التمرد ومتعة المخالفة فنسميها نكسة او ارتداداً بالشعر.

ولست ابعد على القارىء ... ففي وسعه ان يمر هذه المرة السريعة على ما بين يدية من مجلات او دواوين فيرى ذلك ... بل لعل في صنيع مجلاتنا الادبية في تقديم النتاج الشعري الجديد ما يشعر بذلك ويقود اليه .

فأصحاب هذه المجلات يقدمون بين يدي القصائد المحدثة قطعاً مختارة من الشعر العربي القديم ... وانت قد تسمي هذا الصنيع تنويعا في النشر ، وقد تسميه تيسيراً على القارىء ، وقد ترى انه لفت الى كنوز تراثنا الشعري القديم... ولكنك مها اخترت له من اسماء فلن تنسى ان ، هذا الصنيع ، نوع من المقابلة ... مقابلة فيها هذا الاعتراف الضمني – وهو اعتراف غير شعوري غالباً – بأن هناك هذا المدى او هذه الفجوة بين شعرنا القديم الذي مضى فيه شوقي وحافظ وبين شعرنا الجديد الذي يمضي فيه شعراؤنا المعاصرون.

هذه الفجوة تتمثل في كثير من المظاهر... تتمثل في الميل الى اليسر وايثار اقرب اللفظ والعدول عن الجزل الآسر الى ما وراءه من هين قريب ... تتمثل في التململ من بعض قيود اللغة والانصراف عنها ومحاولة تغليب الاضعف او الاكثر انتشاراً على الالسنة العادية، على الاقوى والاكثر انتشاراً على السنة القدامى والفحول... تتمثل في النظر الشزر الى القافية والخروج عنها برفق حيناً والثورة عليها بعنف حيناً آخر ... وتتمثل اخيراً في ان بعض الشعراء يولي تراث الشعر العربي القديم كله ، من امرىء القيس الى شوقي ، ظهره... ثم يقول الشعر او يحاول ان يقوله وفق ما يبدو له انه مستطيع .

ولن اتحدث عن هذا الشعر القديم ولا عن الجهل به ، ولكني اتساءل ما الذي يمكن ان يشفع بعد هذا كله ، للشعر المعاصر فيجرده من ان يكون نتاجه « نكسة » في تاريخ الشعر العربي ؟؟

هناك شيء واحد يمكن ان يغطي هذه الفجوات... ذلك هو قوة الشاعر نفسه ، قوة روحه الشاعرة ... سعة انطلاقاته وامتداد آفاقه ... وثباتـــه بقارئه ... تجريده العميق ، خياله المجنح ، عاطفته العنيفة التي تأسر عواطفنا وتسوقها كيف تشاء ... عمق تجاربه النفسية وانسانية هذه التجارب... قدرته على ان يكون شعره غناء ضاحكاً او غناء باكياً او غناء ثائراً في معترك حياتنا التي تتعاقب فيها المبكيات والمضحكات كالمبكيات ... تمكنـــه من نفسه اولاً كشرط اساسي في قدرته على التمكن من نفوس القراء والغلبة عليها حتى ينحاز اليه هؤلاء القراء ، مغضين عن هـذا الفراغ الذي يجدونه بين الشعر القديم الذي جدده شوقي وحافظ وبين هذا الشعر الجديد.

فما نصيب الشعر المعاصر من ذلك كله وما حظ شعرائنا المعاصرين منه ؟ ألا يبدو انه حظ قوي حيناً وضئيل في اكثر الاحايين ؟.

فاذا كان ذلك كذلك فان لك ان تسمي ما تراه في الشعر المعاصر نكسة... واما اذا كنت لا ترى هذه الفجوة، في كل مظاهرها المتقدمة، وكنت كذلك ضيقاً باللغة والقواعد والاوزان ثائراً عليها بعيداً عن نصوص الشعر العربي في كل مراحله فان لك ان تسمي ما تراه في الشعر المعاصر تطوراً .

ولكن اعيذك ان تنسى قبل ان تتخذ موقفاً ما ، ان الشعر إنما هو قبل كل شيء استمرار من الماضي الى الحاضر وامتداد من الحاضر الى المستقبل ... ولكنه استمرار متجدد وتمدد غني ... مهمته ان يصل بين اعمق جذور هذه السرحة العظيمة في مطاوي الأرض وبين ابعد براعمها في اجواز الفضاء .

وتقدير الشعر وتقويم الشعراء إنمـــا يرجع الى هذا ... الى قدرتهم على النهوض بهذا الاستمرار وهذا التمدد ... اعني قدرتهم على تمثل الشعر القديم وهضمه ثم على انشاد الشعر الجديد والتبشير ببذرات المستقبل .

إننا نقرأ الشعر لاننا نجد فيه انفسنا... وانفسنا ليست صوغ هذا الحاضر، ولكنها صوغ هذا الحاضر الذي يقوم على طبقات متراكبة من ترسبات الماضي... والعنصر المستمر من الشعر هو الذي يتطابق مع هذه الترسبات والعنصر الجديد منه هو الذي يتطابق مع الجديد من حياتنا... وبتعبير آخر: هنالك دائماً هذان القطبان ... ونحن نحب ان نجد في الشعر كل ماضينا وحاضرنا. ونحب ان نجد فيه مستقبلنا ولهذا يجب ان يكون الشعر في مبناه ومعناه ، في قيوده وانطلاقه صورة عن هذا الماضي والحاضر والمستقبل .

ومدى النكسة او التقدم انما ينضبط ، فيما يبدو لي ، في هذا المقياس... فاختر لنفسك بعد ، ان تقول في الشعر الحديث ما تحب ان تقول .

شكري فيصل

علم النفس والمجتمع

بقلم عبد الرسول الصراف

يحلو لبعض علماء النفس وكتاب الأدب النفسي ان يعللوا الحياة الفردية تعليلاً نفسياً مجتاً وهم يغضّون الطرف عن المشكل الأكبر، اعني بيئة الفرد ونوعية الأنظمة التي يخضع لها والتي عليها تقع مسؤولية اتجاهاته النفسية وما يصاب به من عقد نفسية و « مركبات » مختلفة تسير به نحو الهاوية. وحين يصف اولئك الدواء لهؤلاء التعساء تكون وصفاتهم عبارة عن « ايحاءات »... وذلك بعد اجــراء التحليلات النفسية بطرقهم الخاصة .. وهم يدّعون بعد ذلك ان الشفاء متوقف على المريض بالدرجة الأولى وعلى طبيبه النفساني المعالج ! وبذلك يوهمون بسطاء المثقفين ان كل شيء سيكون على ما يرام ...

إن العلاج المذكور هو الشائع لدى الغالبية العظمى من رجال علم النفس، وهو اتجاه اقل ما يمكن ان يقال عنه انه تعليل مغلوط للمشاكل النفسية. فالمشكل النفسي لا يحل بالأوهام وغالباً ما تكون الأمراض النفسية وهمية، فمداواة الواهم بالأوهام ضلال في ضلال !

ان العنصر الخطير في القضية النفسية هو المحيط والبيئة، وإن البيئات المتأخرة ثقافياً وسياسياً واقتصادياً والأفراد الغارقين في اوحال مثل هذا المجتمع التعيس الذي تطغى عليه الأنانيات الفردية والتسابق في الاقتناء والتملك والتحاسد والعداوات، المجتمع الذي تُفتقد فيه روح التعاون والتآزر، مجتمع الطموح الفردي لتحقيق اغراض ذاتية عمياء، المجتمع السائب من الناحية الاقتصادية، مجتمع هذه خصاله ليس من الغريب ان يخلق افراداً ميزتهم كميزاته : العقد النفسية وفقدان الثقة سواء بالنفس او بالآخرين ومختلف الأمراض النفسية التي تجعل من حياتهم جحيماً لا يطــاق وتسدل على مستقبلهم استاراً كثيفة من الظلام والتشاؤم !

فاصلاح الفرد نفسياً مرحــلة ثانية وليست اولى كما يزعم الزاعمون . اذ يجب اولاً وقبل كل شيء تدارك البيئة واصلاحها اصلاحاً حقيقياً لخلق افراد صالحين، وان بقي من يشكو مرضاً نفسياً بالرغم من ذلــك فمداواته عن طريق قواعد علم النفس التطبيقي امر مرغــوب فيه . ولا شك، في هــذه الحالة من الاطمئنان، بشفاء المريض شفاء تاماً والوثوق من عدم انتكاسه لأننا سنرجع بــه الى المجتمع الذي لا يسبب له ايا عقدة نفسية، مجتمع الرخاء الأقتصادي والتعاون والضمان والمحبة والعدالة .

قد يتصوّر السطحيون ان ذلك خيال محض واوهام مثالية ولكن الحقيقة عكس ذلك تماماً ؛ فالحل الحقيقي والواقعي للمشكلة النفسية هو ما قدمت، ولكن ذلك لا يعني هــدم الاسس العلمية لعلم النفس اذ لا غنى لمن يحل في مجتمع متأخر عن الاستعانة بها ؛ ولكن من الخطأ الفاضح الركون اليهــا كحل اساسي للمشكلة .

إن اصلاح الفرد نفسياً مرحلة ثانيــة، وليست اولى كما يزعم الزاعمون. فيجب قبل كل شيء تدارك البيئة واصلاحها .

فلو فرضنـــا ان فرداً شفي بواسطة التحليل النفسي والعلاجات النفسية، فانه حين يرجع الى تلك البيئة وذلك المجتمع المتفسخ، معرّض دون ريب الى استعادة تلك العقد والامراض النفسية او استبدالها بسواها !

ان الاغلبية الساحقة من علمـــاء النفس تعطي الاولوية للعلاجات النفسية، والاغرب من ذلك خروج الامر من ايدي علماء النفس ومتدارسيه، الى ايدي كتاب الادب النفسي، الذين يشتطون في بحوثهم ويجعلون من علم النفس وسيلة لترويج نتاج اقلامهم او لتقديم النصائح والتوجيــهات، على شاكلة الادعية والطلاسم المغرقة في الخيال، وهم بعد هذا يزعمون انهم من صميم الواقع !

لي صديق مثقف ثقافة عالية متبعــة بدراسات وقراءات قيمة، وهو على اتصال مستمر بالمكتبات والجديد من الكتب والمجلات ولكنه — مع الاسف — يشكو البطالة، والاملاق وهو — بطبيعة الحال — يعاني امراضاً نفسية وعقداً خطيرة، فهو يشعر بـ « مركب النقص » او ما يسميه كتاب علم النفس

« بالدونية » وبآلام نفسية مزعجة وميل للعزلة والانفراد ،وهو بدلاً من ان يلتمس السبب الحقيقي لجميع هذه المشاعر ويتجه وجهة صحيحة نحو الهدف الأمثل لينقذ نفسه ومن حوله ممن هم على شاكلته ، نراه على العكس يحاول ان يدرس جميع ما خطه كتاب الادب النفسي وكل ما دبجوه من نصائح وإرشادات للوصول الى الصحة النفسية ! وهو عاكف على دراسة « فرويد » الذي يسند جميع ما يشعر به صاحبنا الى اسباب « جنسية » ! وهو يقرأ – على سبيل المثال – « السعادة » و « فن الحياة » و « دع القلق وابدأ الحياة » ! وما الى ذلك ، ومع كل هذا فهو ما زال غير سعيد ولم يتمتع بفنون الحياة ولا تركه القلق ! انه لم يدر ان السبب الجوهري هو في بقائه يشكو العوز والبطالة وعدم تقدير مجتمعه له وعدم مكافأته له بضمان عيشه وذلك في عصر الضمان الاجتماعي وتوفير العمل، فلا الايحاءات ولا النصائح ولا التحليل النفسي بقادرة على ان تنتزع القلق المستحوذ على امثال هؤلاء وتدلهم على طريق السعادة .

بغداد **عبد الرسول عبد المجيد الصراف**



قريتنا .. على البحر الابيض .. حيفا

مِنَ الرمل ، من خفقات الحصى
بمدِّ النظرْ
تخذنا لأحلامنا مرقصا
وكانت صُورَرْ
ونام الشراع وراءَ الصخورْ
حكاياته مثله نائمهْ
سطور من الموج خلف سطور
تهدهدها أمه الحالمه
وتتلو سُورَرْ
أساطيرها خفقات الحصى

☆

وفي الشط ، في موكب الأعصرِ
رفعنا الشراعْ
وكان المتاع
عناقيدَ للفن لم تُعصر
وابطالنا يدفعون الرياحْ
الى الغرب حيث نحطُّ الرحالْ
وحيث الوشاح يشدُّ الوشاح
على المنكبين وصدرِ الرجال
وظلّ الوداعْ
غصوناً على سفحنا الاخضر

☆

وكانت عيون من الحارسينْ
أبت ان تنامْ
تطلُّ وراءَ الظلام الدفين
وليلِ القتام
تعدِّدُ أشرعةً إذ تعودْ
وترقب من فاته الموكبُ
وتصغي لعاصفة من بعيد
وتنبيء ما يومض الكوكب
وراءَ الظلام
وماذا وراءَ ظلام السنين

☆

ومن غير ان يعبسَ الراقبُ
دنا زورقُ
به أحمق
يقول : – انا الكاهن الشائب
– وتحت غلالته خنجر –
وهذي المرابع ارض المَعَادْ
فمن قال للشيخ : – ما تضمر؟
وهذي ملامحه كالعباد
دم أزرقُ
وقوم ينادونه : – يا أبُ [1]

☆

ومات زمانٌ بحضن زمانْ
وفاتت قرونْ
وأبطالنا ينسجون العنان
ببطن السجون
وتاه الشراع بغير دليل
هناك ربابنةٌ يرقصون
على الشط ألفُ ذبيحٍ قتيل
وألفُ الى ملجأ يركضون
عراهم جنون
على أرضهم يسفحون الحنان

☆

عويلٌ ، عويلٌ ، وماذا نقول
اجلْ نرحلُ
غداً نُقتل
ولا شيءَ خلفَ نداء الطبول
ولم يَعُد الشط مغنى الجمالْ
كأن لم تخض فيضَ امواجه
ولا السفحُ ، لا مرتع في الظلال
ولا الوردِ يشذو بأبراجه
ولا المنجلُ
سيحصد ما أنبتته الحقول

(١) اب : الكاهن اليهودي .

ولا ملعبٌ للصبايا الملاحْ
بكى الملعبُ
ولا نحلةٌ فوق خدِّ الصباح
هنا تطرب
ولم يغسل الطفل اقدامَهُ
ولا عطَّرَتْ فتنةٌ صدرَها
تُرى أغرقَ البحرُ احلامه ؟
وعافت أساطيرُه عطرَها ؟
فلا المغرب
يلفُّ النسائمَ حول الجناح

☆

وأضواءُ قريتنا من بعيدْ
سباها المللْ
فراحت تصب سواقي الدموع
وكانت عسل
خلت من لماهُ زوايا القفيرْ
وذاب على الزهر دمع الندى
وماتت فراشاته في الهجير
وكانت تصوغ له موعدا
لتحكي غزل
وتلثمه في رفيف الربيع

☆

حكاياتنا ، إيه ، يا خالداتْ
مع الراحلين ،
حكايات عمر من الذكريات
وراءَ السنين
وأشباح جيرتنا في المروج
واشباحنا ابداً تستبدْ
وفي خفقات الشراع اللجوج
مواكب غابت ولمَّا تعُدْ
مع العائدين ،
: – غداة يهزُّون صدرَ الحياة

بغداد **عدنان الراوي**

دماء جديدة..

قصة جديدة بقلم مهدي عيسى الصقر

اجساد النساء تنهصر بشدة في ذلك الخضم الأغبر الكثيف من الاجساد ، والاطفال الصغار يصرخون ، لاهثي الأنفاس ، يبحثون عن الهواء بين الارجل الخشنة القاسية ، وآلاف الآلاف من الافواه تردد بحماس أناشيد الرثاء ، فتختلط الاصوات بعضها ببعض ، بالاصوات الآتية من أقاصي المدينة ، برنين الاجراس المثبتة في رؤوس الاعلام التي ترفرف فوق الجموع ، بأصوات الأكف وهي تهوي بقسوة فوق الصدور العارية المدماة ، بصراخ النساء ، ببكاء الصغار ، برائحة الصديد المتصاعد من الجثث الناضحة بالعرق ، بدخان المشاعل الكبيرة المحمولة امام المواكب ؛ وتتكاثف لتغلّف في ذلك (اليوم) المشهود ، تلك المدينة المقدسة ، وتعزلها عن بقية المدن ، عن بقية الاقطار ، عن العالم .

وكان «قنبر علي» قطرة في ذلك البحر الصاخب ؛ يحاول ان يقف في مكان ما ، فيمشي مرغماً ، دون ان يحرك هو قدميه : يحمله التيار ، تدفعه الجثث المتراصة خلفه ، وتجذبه الجثث المتراصة أمامه . وهو يبكي ، دون ان يفهم ما كانت تردده الجموع . وكانت عيناه الدامعتان مشدودتين في الأرجل — آلاف الآلاف من الأرجل المتشابكة المتعثرة العجلى — وكأنه يبحث عن شيء : شيء عزيز ضاع قبل خمس سنين بين هذه الأرجل الفظة القاسية .

وكان قنبر علي يحس بالألم جديداً في كل مرة يزور فيها تلك المدينة المقدسة ، وكأن الحادث قد وقع قبل لحظات ؛ فالجو الذي يحيط به هو ذلك الجو نفسه . لم يتغير أي شيء : الخضم الأغبر الكثيف من الاجساد ، آلاف الآلاف من الأذرع العارية ترتفع وتهبط ، الهواء الخانق الذي يغلف المدينة ، وذلك العويل ، العويل الخالد على مر السنين ، والمشاعل ، والصدور المدماة ، والعمائم والأعلام ، والنساء ، والاطفال ، والأرجل ، ملايين من الأرجل ، ولا شيء تغيّر .

وكان قنبر علي ، لهذا السبب ، يحرص على حضور ذلك اليوم لكي يغمره ذلك الاحساس العنيف بالألم ؛ لكي يشعر بالحزن حاداً قوياً كساعة وقعت الحادثة ، ثم يعود ، قرير العين ، هادىء النفس ، الى قريته في شمال ايران ، ليحيا حياة لا حياة فيها ، حتى يقترب موعد ذلك اليوم ، فيسري في عروقه دم جديد ، ويغمره احساس لذيذ بالكآبة ، هو مقدمة لتلك الشحنة من الانفعال الذي سوف يهز كل ذرة من جسده ، عندما يضيع في ذلك الخضم الأغبر الكثيف من الناس جاؤوا من كل صوب .

ويبيع قنبر علي بعض أمتعة داره ، ويقترض ، ويفعل المستحيل ليحصل على النقود ، ويتهيأ للسفر ، اسوة بملايين من المسلمين ، في شتى بقاع الارض ؛ ثم ينحدر في زحمة جثث (الزوار) نحو الجنوب ، ويعبر — متلصصاً — شط العرب ، النهر الذي يجن جنونه اذا ارتفعت الريح قليلاً . ويترك نفسه تحت رحمة المهربين القساة ، لينقذوه من سطوة شرطة الحدود . وينطوي على نفسه — مع الآخرين — في القارب الصغير ، تتقاذفهم الامواج ، وتعبث الريح بهم عبثاً فظاً ، فتقشعر اجسادهم من البرد ومن الرعب ، يتلمسون الطمأنينة في عيون المهربين التي لا تعرف الرحمة ، فيزدادون فزعاً . وتصفع الريح وجه شط العرب ، فتندلق الامواج فوق رؤوسهم ، ويحسون الثلج في مفاصلهم ؛ فيقترب بعضهم من بعض ، يستمدون الدفء والطمأنينة . ويبكون ويتضرعون ، ويتلون الأدعية ، ويلقون شيئاً في شط العرب المجنون ، لتسكت الريح ، وتهدأ الامواج ؛ لكن دون جدوى . ويصرخ بهم احد المهربين ، ويأمرهم ان يصمتوا وان لا يتحركوا ، فيهدأون ويصمتون في يأس واستسلام ، وعيونهم الفزعة مشدودة إلى الشاطىء المظلم البعيد .

وبعد دهر — من الرعب والبرد — يصل بهم القارب الى الشاطىء الآخر . وتدفعهم الأيدي الخشنة ، فيسيرون متعثرين ، يخبطون في ماء الأنهر ، تغور أرجلهم في الوحل ، يعبرون

القناطر المخيفة ، ويسحقون الشوك ،وفوق رؤوسهم تصفر الريح في سعف النخيل فتبعث أصواتاً غريبة موحشة ؛ وحولهم تعول الكلاب كأن بها مساً ، وتئنّ آلاف الحشرات ، بين الاعشاب، تحت اقدامهم. وفي كل لحظة ، يتوقعون ان يسمعوا صوتاً يأمرهم بالوقوف ، أو طلقة تمرق فوق رؤوسهم ، او ان يشاهدوا بنادق حرس الحدود تبرز لهم من الظلام الذي يلف النخيل .

وفي هذه الارض بالذات ، قبل عشر سنين ، أراد احد المهربين ان يعبث بعفاف زوجة قنبر علي الحسناء . وكم تضرع آنذاك ، وكم بكى ، وتوسل الى ذلك الحيوان ان يكف عن المسكينة . توسل باسم الدين ، باسم القرآن الذي نزل على صدر محمد ، باسم الامام الذي يرومون زيارته. وتضرعت هي ، وبكت ، ثم اغمي عليها . وفرح المهرب عندما وجدها تفقد القدرة على المقاومة ، وصفع قنبر علي على وجهه . وهجم المهرب الآخر على الزوج المذعور وشد يديه الى ظهره ، ثم رماه ارضاً، لكي يعطي لصاحبه الفرصة لقضاء ما يريد من المرأة ، ثم يأخذ بعد ذلك نصيبه هو منها .

وفي تلك اللحظة الحرجة من حياة قنبر علي ، برزت بنادق حرس الحدود من وراء النخيل ، فلم يشعر بالفزع لمرآهم ، بل كان سروره عظيماً ، وهوى على اقدامهم يقبلها ، وأسلم نفسه طائعاً ، ليقودوه وزوجته الى السجن ، ثم اعيدا الى ايران ، وحرما من الزيارة ذلك العام .

وبعد ذلك الحادث رفضت « گوهر » أن تصحب زوجها في سفره الى المدينة المقدسة . وقبل خمس سنين ، عندما جاء بابنه « جمشيد » عارضته بشدة ، ولم تسمح للصغير بالسفر مع ابيه ؛ غير ان قنبر علي أصرّ على استصحاب الطفل ليزور قبور الشهداء ، ويشاهد آلاف الآلاف من الناس يضربون فوق صدورهم العارية بقسوة حتى يتفجر منها الدم ، ويمتع نظره بالاعلام الملونة وهي تخفق فوق الجموع ، والمشاعل الضخمة يتمايل بها حاملوها امام الصفوف .

وتشبث « جمشيد » بيد أبيه ، يدفعهما ذلك السيل الصاخب من الجثث ، حتى بلغا مفرق طرق ، وهناك شعرا بضغط عنيف معاكس ، فتراجعا قليلاً الى الوراء مع الجموع المتقهقرة . وازداد الضغط ، وأخذ « جمشيد » يبكي . ونظر قنبر علي الى الشارع الآخر ، فشاهد موكباً كبيراً يندفع بقوة ، ويحاول ان يسبق المواكب الاخرى الى قبر الامام . واضطربت الاصوات ، وانزلت الأعلام ، وكفت الأيدي عن الضرب على الصدور لتمتد الى الاسلحة . ودوت طلقة ، فسقط رجل . ثم اختلط كل شيء . وراحت تلك الجموع تتلاطم كامواج شط العرب اذا اشتدت الريح ، وكل واحد يضرب كل واحد آخر – دون سابق عداء او معرفة – وكسرت المشاعل ، وارتفعت النيران من كل جانب ، واصطبغت الارض بالدماء . وكانت الأرجل تطأ كل شيء : النساء ، الكهول ، الاطفال .

وأفلت « جمشيد » من يد قنبر علي في زحام الأرجل المجنونة ؛ وعندما انفثأ غضب الجموع العقيم ، أزيحت جثث القتلى والجرحى من الطريق . وعادت آلاف الآلاف من الافواه تردد – من جديد – أناشيد الرثاء للامام الشهيد .

وحمل قنبر علي طفله الذي مزقته الأرجل ليواريه التراب في مكان ما من المدينة المقدسة .

ومنذ ذلك الحين لم ينقطع قنبر علي عن حضور ذلك اليوم ؛ ففي ذلك الجو الذي لم يطرأ عليه اي تغيير ، يحس بالحزن على ولده عنيفاً وجديداً ، كساعة وقعت الحادثة .

والتفت قنبر علي الى الدكاكين المغلقة حوله ، فوجد نفسه قد ابتعد كثيراً عن المكان الذي كان يقف فيه ، دون ان يحرك هو قدميه ، في زحمة سيل الجثث المنهدّ صوب المنائر الذهبية . وأحس بضغط عنيف معاكس ، ورأى موكباً كبيراً مندفعاً من الشارع الآخر ، يريد ان يسبق المواكب الاخرى الى قبر الامام . وتكهرب الجو . وامتدت الأيدي الى الاسلحة ؛ فأدرك قنبر علي ان دماء جديدة توشك ان تسيل !

مهدي عيسى الصقر

من اسرة الفن المعاصر

- ٣ -

القصة العراقية الحديثة

بقلم الدكتور سهيل ادريس

يعتقد كاتب المقال ان القصة العراقية الحديثة تقف في طليعة النتاج القصصي في الأدب العربي المعاصر من حيث انعكاس الاوضاع الاجتماعية في مرآة الأدب. وقد تحدث في القسمين الاولين من هذه الدراسة عن آثار محمود احمد السيد ، وانور شاوول ، وذو النون ايوب ، وجعفر الخليلي ، وعبد المجيد لطفي ، وعبدالحق فاضل . ويتابع الكاتب في هذا القسم الاخير من دراسته تحليل آثار الجيل الجديد من ادباء الشباب الذين دفعوا بالقصة العراقية الى الصف الاول من الانتاج القصصي في الادب العربي الحديث

ثم نأتي الى اثر من انضج آثار الادب القصصي في العراق ، ونقصد به أثر شالوم درويش المحامي. فان مجموعتيه « احرار وعبيد » (١٩٤١) و «بعض الناس» (١٩٤٨) تنمان عن موهبة ممتازة . وبوسعنا ان نعتبر قصته « قافلة من الريف » احدى روائع الادب القصصي العربي . وموضوع هذه القصة الذي يتناول حكاية عنزة واسرة ، قد يبدو تافهاً ، ولكنه يحمل في الحقيقة معنى انسانياً عميقاً ، وتصوير الطبقة الفقيرة فيه مؤثر جداً.

فهذه العنزة هي فرحة الاسرة الوحيدة ، هذه الاسرة التي فقدت معيلها ، فكان على الام ان تبذل جهوداً فوق طاقة الانسان لتمسك على اطفالها الاود. وقد كان هؤلاء الاطفال يعبدون تلك العنزة التي كانت تقدم لهم حليبها ، وأتى يوم تركت فيه العائلة الريفية الصغيرة قريتها الى بغداد حيث كانت تأمل الام ان تتحسن حالتها المادية لتتمكن من الحاق ولدين من اولادها باحدى المدارس الابتدائية . وقد نزلت الاسرة ، ريثما تجد غرفة لها ، ضيفة على اسرة صديقة . وفي ذلك المساء دخلت العنزة في غفلة من الناس ، الى المطبخ حيث قلبت وعاء الطعام المعد للعشاء وأكلت منه ما طاب لها ، مما حرم الجميع عشاءهم ذلك اليوم . وقد تألم الاطفال كثيراً حين شاهدوا مضيفيهم يضربون العنزة انتقاماً ، واكتفوا تلك الليلة بان يشربوا حليبها المعتاد ، وينااموا نوماً مؤرقاً ، لا سيما وان العنزة ملأت الدنيا بثغائها ، وهذا ما ازعج اصحاب الدار ، فأجمعوا في اليوم التالي على ضرورة بيع العنزة . واضطرت الام الى ان تستدعي راعياً فاشتراها بثمن بخس ، وحين رأى احد الابناء سليم ، هذا الراعي الذي حلم به طوال ليلته ، اخذ يبكي ، فأشفق عليه الراعي وعلى اخوته الحزانى لرؤيته العنزة ، وبكى الجميع حين رأوا سليما يقبل يد الراعي ويبتهل اليه ان لا يسيء معاملة العنزة . فوعدهم الراعي بان يقودها اليهم مرة كل اسبوع... ومضت العنزة وهي تنظر الى رفاقها القدامى حزينة فيشتد ثغاؤها الشاكي ، بينا الاطفال يبكون .

هذه القصة البسيطة الانسانية المؤثرة تذكرنا باروع الاقاصيص الروسية . وهي ترسم لنا لوحة حية لهذه الاسرة الشريفة ذات العواطف المخلصة ، ويقدم لنا المؤلف وصفاً مؤثراً للشقاء الذي تعيش فيه هذه الاسرة ، ذلك الشقاء الذي لا يحرمها من انبل العواطف الانسانية : فان كبرى البنات ، بالرغم من حداثة سنها تشعر بعبء الشقاء والعوز ، فتتمتم في اذن امها حين يأويان الى الفراش انها تود ان تبيع آخر سوار لها ، علّ ثمنه يساعد على إدخال اخويها المدرسة .. وتعلق الاطفال بتلك العنزة ، رفيقة الشقاء ، أليس هو تعلقاً مؤثراً وانسانياً ؟

وفي هاتين المجموعتين قصص اخرى بديعة ، منها (ابو الشوارب) التي تروي حكاية شرطي من شرطة المرور شديد الاعتزاز بشاربيه الكبيرين . وقد وقع في حب فتاة كان يراها كل يوم تمر امام نقطته ، فقيل له انها تقبل به زوجاً شرط ان يحلق شاربيه . وحين رأى مقص الحلاق يقترب من شاربيه العزيزين ، انفجرت غضاته ، فانتفض واقفاً وصاح في وجه الحلاق المدهوش: « لن أتزوجها ، لن أتزوجها ! » ثم عاد الى مركزه . وتتناول (تحرير عبد) حكاية زنجي يقع في حب ابنة الباشا التي يخدمها ، وقد بغته الباشا يوماً وهو يقبل صورة ابنته فضربه وطرده ... وحسب الناس ان الباشا انما حرر عبده بدافع من الكرم ! وقد ضمن شالوم درويش قصتيه (محكمة) و (اكسير العبقرية) حالتين من حالات الاوهام الطاغية والافكار الراسخة . وللقصة الثانية اهمية بسيكولوجية خاصة ناتجة عن تحليل نفسية شخص يعي وعياً مبالغا فيه انه «رجل عادي» ، وكان يؤمن بان العبقريين كانوا جميعا مرضى وذوي عاهات ، فلم يجد الا ان يقوم ببعض اعمال أضرت بجسده ، وقد انتهى به الامر الى الجنون فالانتحار . ويهتم المؤلف في عدد من قصصه بتحليل تطور الغرائز وردود فعلها، شأنه في ذلك شأن محمود تيمور: ففي (الحرمان) - وهي احدى روائع قصصه - يحلل نفسية شاب فقير محروم من النساء ، فهو يتيه في الطرقات دون وعي ، ويقف مرة امام واجهة يرى فيها تمثال امرأة تكاد تكون عارية ، وكأنه مفيق الآن من حلم جميل . ومضى في طريقه بعد بضع دقائق ، ولكنه ما لبث ان عاد يطرح على صاحب الحانوت بضعة اسئلة عن ثمن التمثال ، ثم يمضي اشد يأسا مما كان . ونراه بعد نصف ساعة يعود مرة اخرى على عجل . فيتناول من الطريق حصاة كبيرة يقذف بها الواجهة فيتكسر زجاجها ويتحطم التمثال ، ويلوذ هو بالفرار ... وهذه النفسية هي نفسية الوف الشبان في هذا الشرق العربي الذين تحرمهم التقاليد البالغة الشدة من العلاقات النسائية ، فاذا بعواطفهم تتأكلهم ، واذا هم ينفضونها عنهم باعمال ليس من البعيد ان تكون اجرامية في كثير من الاحيان .

و (الشحاذ) قصة شاب كان جده شحاذاً ، فكان يخفق في اقناع اية فتاة من اية اسرة في ان تقبل به زوجا ، وكان يوما في مشرب ، فرأى الخدم يطردون شحاذاً شديد الالحاح في الطلب. ولم يستطع الشاب ان يكظم كرهه ، فسارع الى الفقير المسكين يود ان يضربه ضربا مبرحاً ينفس فيه عن غيظه ... ولكن الخدم يمسكونه دون ذلك . وقصة (لصوص) هي ايضا قصة طريفة هامة : شاب في مطلع فتوته ينفتح للحب ، فيسرق مال امه ليشتري هدية يقدمها لمحبوبته . وقد ثارت به عواطفه يوما

فقبل محبوبته في حديقة عامة ، وباغته شرطي واراد سوقه الى المخفر بتهمة «المساس بالاخلاق العامة» ، ولكنه قبل ان يخلي سبيله حين عرض عليه الفتى المال المسروق المعد لشراء الهدية . وفي القصة تفاصيل طريفة حقا .

ولنذكر اخيراً ان موضوع قصته « عروس » يمكن ان يعتبر من اوفر موضوعات القصة العربية الحديثة ابداعاً وجدة :

منذ نعومة اظفارها ، ما انفكّت بطلة القصة تحلم باليوم الذي ترتدي فيه ثوب العرس الابيض . ولكن قسوة الحياة دفعت بها الى بؤرة البغاء ؛ على ان رغبتها في ان ترتدي يوماً ذلك الثوب الابيض لم تضعف ساعة ، بل بالعكس ، فقد تمكنت اخيراً من ان تجمع ثمنه وتشتريه فتشعر بانها اسعد النساء. وقد اصبح هذا الثوب في نظرها الآن رمز الطهر والنقاء ، لأنه يذكّرها بتلك الفترة من طفولتها البريئة التي انبعث فيها ذلك الحلم . وقد ارتدت هذا الثوب الأثير وذهبت الى مصوّر ليأخذ لها رسماً فوتوغرافياً . وصدف ان المصور كان يعرفها ، ويعرف من هي ، فاذا هو ينفجر ضاحكاً ساعة رآها ترتدي ذلك الثوب . وقرأ الناس في اليوم التالي في الصحف ان بغياً قد قتلت مصوّراً .

هذه القصة الجميلة تشهد بموهبة المؤلف الايحائية : ان تلك المرأة التي كانت تقبل دائماً وترضخ للاذلال ، بسبب المهنة الداعرة التي تمتهنها ، والتي كانت تتحمل السخرية والهزؤ من اي انسان ، ترفض ان يُمسّ الشيء الوحيد الذي يذكّرها بأروع حُلم في حياتها ويعزّيها من واقعها الشقيّ .

وهكذا يبدو شالوم درويش ، بالرغم من ان آثاره القصصية محدودة ، وجهاً من المع وجوه كتّاب القصة القصيرة في الادب العراقي الحديث .

ج . المرحلة الثالثة

تبدأ هذه المرحلة الاخيرة من النتاج القصصي في العراق عقب الحرب العالمية الثانية ، فهي إذن حديثة العهد ، ولكن بذورها تعد بحصاد خصيب . ذلك ان الجيل الجديد من ادباء الشباب الذين يمثلونها بدأ ينتج ادباً قصصياً يعبر أعمق ما يكون التعبير عن شواغل مجتمع خلّيف وراءه مرحلة اليقظة ، ليدخل في مرحلة وعي يتزايد مع الايام . إن هـذا الجيل الذي بشر به ايوب ولطفي وفاضل ودرويش ينغمس في أعماق الحياة الاجتماعية ، وأعماق الحياة الفردية ، ليخرج منها بآثار ناضجة ، فيها مشابه من آثار الآداب الاجنبية الحديثة .

على ان كتاب هذا الجيل لم يُتح لهم بعدُ ان ينشروا من الكتب ما يمكننا من استخراج خطوط ناجزة لنتاجهم ، من الحيث الفن القصصي . ولكن بوسعنا ان نطمئن الى ان كلا منهم قد تمكن من خلق شخصية خاصة له تستكمل ميزاتها باطراد . وسنستعرض هنا بخطوط سريعة موكب هؤلاء الكتاب .

يقف في طليعة الموكب عبد الملك نوري الذي يتميز بحس واقعي دقيق للشقاء البشري ، وهو مراقب مرهف الملاحظة ، يرسم لوحات حية للمجتمع العراقي ، ويخط صوراً صادقة لطبقة هؤلاء المثقفين المتبرمين الذين يتكاثر عددهم في البلاد العربية كلها ، والذين باتوا لا يؤمنون إلا بمثل يخلقونها هم انفسهم ، ويشقون من أجلها طرقهم بأيديهم . وتضم مجموعته « رسل الانسانية » (١٩٤٦) – فيما تضم – قصة « مأساة الفن » التي تصور درامة حياة المثقف العربي الذي يفيض رغبة في خدمة بلاده ، ولكن القيود التي يحيطه بها مجتمعه المتأخر يشل كل عمل له ، فاذا هو يسقط في اليأس ويضحي بفنه ومن ثم بنفسه . تلك هي قصة ذلك المؤلف المسرحي الذي يرافق فرقة تمثيلية تحاول ان تقدم مسرحيته .

ولكن خير اقاصيص نوري لم تظهر في هذه المجموعة ، وإنما في بعض المجلات الادبية ، ولا سيا « الاديب » اللبنانية . وميزة جميع هذه الاقاصيص تكمن في خلق « الجو النفسي » للبطل ، وهو جو يعتمد قبل كل شيء على « المحاورة الداخلية » Monolgue Intérieur ، وعلى استغلال تفاصيل الاحداث لتصوير نفسية البطل عبر موقفه منها . والصفه العامة لنفسيات هؤلاء الابطال هي القلق ، هـذا القلق الذي اصبح عنواناً لجميع شخصيات هذا الجيل الجديد من الشباب الذي يعيش في واقع مؤلم يحمل طابع العذاب المادي والروحي .

على ان بعض اقاصيص عبد الملك نوري تفتقر الى التركيز الذي ينبغي ان يستقطب الاحداث ليخلق من الموضوع وحدة معبرة مكتملة الاجزاء . وانتفاء هذا التركيز هو الذي يكسب قصتي « عبود »[1] و « ريح الجنوب »[2] مثلاً ، ضعفاً تركيبياً ظاهراً . فالقصة الاولى هي قصة فقير معدم تتجمع دنياه كلها في حبه لكلبته ، وهو في خلال ذلك يعيش من استجداء الخبز والسكاير . وقد اوشك ان يعتقل يوماً لأنه طلب سيكارة من مأمور بلدية حسبه الحاكم .. واحداث هذه الاقصوصة ضعيفة الرابطة لأنها لا تتجه الى عقدة معينة ، فهي

(١) « الاديب » ، عدد سبتمبر ١٩٥١

(٢) « الاديب » ، عدد ابريل ١٩٥٢

مجموعة صور مبعثرة تدل حتماً على نفسية ، غير ان هذه النفسية تظل ناقصة اذا شئنا ان نضعها في اطار « القصة الفنية الكاملة » . وكذلك القول في « ريح الجنوب » التي تحلل نفسية ام تقود ابنتها العمياء في القطار الى حيث ترجو ان تؤمن لها الشفاء على يد ولي كبير . ونرى المؤلف يستغل فرصة وجود ديك مع هذه الام وابنتها ، فيحلل نفسيته تحليلا عميقاً .. ولكن رابطة الحوادث تظل مع ذلك من الضعف بحيث تحرم القصة من بناء مكتمل الاركان .

ومن روائع نوري قصته « الرجل الصغير » [1] التي يعزل فيها فترة من حياة صبي تحتضر فيها أمه ، فترسله الى استدعاء اخته . والقصة تدور حول هذه الفترة التي يقضيها الطفل في انتظار سيارة تقله بعشرة فلوس ، ومن هذا الانتظار تنبثق رؤى الطفل واحلامه وحياته كلها وتعلقه بأمه التي تحتضر : نفسية شديدة الارهاف ، على سذاجتها ، وتصوير لها يبلغ ذروة الروعة ، ولا سيما حين تاه الطفل عن بيت اخته فجعل يبكي . ان تحليل عبد الملك نوري هنا يذكرنا بفن دستويفسكي الخالد . ولكن القاريء يظل ، في معظم قصص الكاتب ، على ظمأ وجوع من حيث الخاتمة . وقد يكون طبيعياً ألا يُعنى نوري بالخاتمة ، ما دام لا يُعنى أصلا بالعقدة . على اننا لا نستطيع ان نجد في ذلك إلا نقيصة في قصص هذا الكاتب العراقي الممتاز الذي يحملنا حرصه على إنهاء قصصه دون ان يُنهيها على الاعتقاد بانه يتكلف هذا الأمر تكلفاً ، وفي ذلك ما فيه من مخالفة لطبيعة الحياة وتلقائية الفن الذي يصوّرها .

ونقف اخيراً معجبين شديد الاعجاب بقصتي « فطومة » و « غثيان » [2] . وفي هذه الاخيرة تحليل نافذ لشكوك قتالة وحيرة معذبة تتناول شاباً كان يحب امرأة سافرت وخلفته في جحيم حبها وجسمها ، فقادته قدماه بغموض الى حيث يطفيء الشباب نار اجسامهم ، وحين اختلى باحدى تلك النساء أتاه الغثيان ، فاتضح لذهنه ان « ذلك » مستحيل ، فعاد الى ذكرى حبيبته البعيدة ووجد في هذه الذكرى أمن روحه ودفء قلبه .

وقاريء عبدالملك نوري يُدرك انه متأثر بكتّاب الروس الحدسيين امثال دستويفسكي وغوغول وتورغنيف ، كما أنه متأثر بالكتّاب الانكلوسكسون ، وخاصة بروايات جيمس جويس وفرجينيا ولف ؛ وهو شديد الاهتمام بسبر اغوار منطقة اللاواعي ونصف الوعي وتداعي الافكار بل تداعي الكلمات احياناً ، وكل هذه من مقوّمات خلق « الجو النفسي » و « المحاورة الداخلية » .

•

ويماشي هذا القصاص في براعة خلق الجو النفسي كاتب آخر هو نزار سليم الذي تكشف اقاصيصه عن غنى شعوري وذهني ، والتوتر النفسي الذي تتميز به اقاصيص مجموعتيه « اشياء تافهة » (١٩٥٠) و « فيض » (١٩٥٢) يتكون من اشتات التأثرات والعواطف واللمعات ، شأنه في ذلك شأن عبد الملك نوري ، ولكن يضاف الى ذلك تركيز محكم غالباً ، إلا في أقصوصة « اشياء تافهة » التي يدرك القاريء ادراكاً غامضاً جداً انها تود ان تعبر عن فكرة العبث في الحياة . ومن قصص نزار سليم الناجحة « الفأر » وهي قصة شاب مثقف يراقب في غرفته حركات فأر يخرج من مخبأه اذا اطمأن الى ان الغرفة خالية ، ويعود اليه اذا سمع اي صوت . وقد بدأ الشاب يتربص به ليقتله فأعجزه ذلك ، واذا شعوره يحول الى اعجاب بحركات الفأر وجمال خلقته ودقة تكاوينه . وتظل هذه الفكرة راسخة في ذهنه ، حتى يقصد بيت الفتاة التي كان يعطيها بعض الدروس ، وكان يحبها دون ان يبوح بعاطفته ، وكانت هي تنتظر كلمة منه في هذا المعنى . فلما رآها يومذاك فاض حبه لها ، واذا هو يعبر عن عاطفتها بالفكرة التي كانت مطبوعة في ذهنه ، فيبادرها بأنها تشبه بجمالها الفأر الجميل الذي كان يراقبه في غرفته ... وكان من الطبيعي ان تغضب الفتاة وتثور عليه وتشعر له بالمقت دون ان تدرك ان تذوقه للجمال ، ولو كان في صورة فأر ، هو الذي دفعه الى ذلك التعبير .

وقصة « نصيب » قصة رائعة بنزعتها الانسانية : قصة فتاة تعاني كثيراً من صفاقة الناس وسماجتهم حين تقوم بمهمتها في بيع اوراق اليانصيب ، ولكنها تتحمل كل شيء في سبيل الحصول على لقمة العيش ، الى ان باعت ذات يوم شاباً متواضعاً معذباً في حياته الورقة التي ربحت الجائزة الكبرى . وقد أقبل عليها الشاب فوراً يطلب اليها ان تقبل به زوجاً ، فشعرت بان السعادة قد هبطت عليها اخيراً وانتزعتها من براثن الشقاء الذي كانت تعيش فيه ، واحست بان حبها لهذا الشاب يملأ كيانها كله ، وراحت تحلم بايامها القادمة وتبني عليها كثيراً من آمالها .. ولكن ها هو الشاب يعود اليها في اليوم التالي ليبلغها في كآبة عظيمة بانه اضاع الورقة الرابحة ، وان ذلك يثبت له انه لاحظ له في حياته ، ثم رجاها ان تنسى انه طلبها للزواج .. ولكن الفتاة لا تتردد في مصارحته بأنها لن تتخلى عنه ، وان حياتها قد انصهرت في حياته ، وانه لا تأثير للمال الذي ربحه ثم فقده ، فقد كتب عليها ان تعيش الى جانبه تجاهد معه في معركة الحياة ، وتصارع وإياه هذا القدر الذي جمعها بالشقاء . انها قصة مؤثرة بانسانيتها وبما فيها من نزوع الى مثالية رائعة لا تني تتهدد احلام الشباب المكافح .

ولا شك في أن أروع أقاصيص المجموعة هي « اشباح بلا ظلال » التي تجمع حالات نفسية متفرقة في وقفة وقفتها فتاة فلسطينية امام مذياع دمشق لتطمئن أهلها البعيدين عن صحتها ، فتتواتر امام ناظريها رؤى كثيرة تحمل كلها طابع الفجيعة التي خلقتها في نفوس العرب كارثة فلسطين وفرار اللاجئين . قصة تهتز بالعصبية والسخرية وتفيض دموعاً ونقمة ، وفيها شابان يضربان امثولة في البطولة الفذة حين يأبيان مغادرة الارض التي « تحمل ذكرياتها ومجدها » ويؤثران ان يموتا فوق تربتها قريري العين . والحق ان موهبة نزار سليم في خلق الجو النفسي المتوتر تتجلى في هذه القصة خير ما تتجلى ، فضلاً عن انه يتابع فيها فكرة نبيلة هي في صميمها رسالة .

(١) « الاديب » ، عدد يناير ١٩٥٢ .
(٢) « الاديب » ، عدد مايو ١٩٥٢ .

وتنطوي مجموعة المؤلف الثانية « فيض » على بضع اقاصيص تشعر بالظلم الاجتماعي الذي يعانيه كثيرون في البلاد العربية ، كـ « اربعة فلوس » و « فيض » . وفي قصة « دجاجة المسعدة » تصوير ممتع وسخرية ظريفة تنبض بها كثير من قصص المؤلف . ولعل قصة « البيت على اليمين » خير اقاصيص هذه المجموعة ، وهي تصور نفسية شاب يتبع بالمصادفة شاباً يتقدمه في الطريق ، فيخيل اليه انه يريد به شراً ويتربص به فرصة ملائمة . وترسخ هذه الفكرة في رأسه رسوخاً شديداً الى ان يدرك الشاب الذي يجري امامه فيدفعه الى النهر ، وتنتهي بذلك وساوسه : قصة نفسية عميقة تذكرنا بمقاطع من رواية كامو Camus التي عنوانها « الغريب L'Etranger » .

★

ويأتي في هذا الموكب بعد ذلك شاكر خصباك بمجموعتيه القصصيتين « صراع » (١٩٤٨) و « عهد جديد » (١٩٥١) وهما تضمان صوراً جديرة بالتقدير . ولا شك في ان المؤلف قد حقق تقدماً طيباً في مجموعته الثانية ؛ ذلك ان معظم اقاصيص المجموعة الاولى سطحية ولا تهتم الا بالضخم والغريب والشاذ من الاحداث . وبعضها يكتفي بتصوير تفتح غريزة كقصتي « صراع » و « بداية النهاية » ، وبعضها يخلو من الاهمية كـ « عجيب » و « خبر في جريدة » و « بطل الحرية » . وفي « ضحية » طرف من التصوير الاجتماعي ، على ان هناك قصتين ناجحتين « عذاب » التي تصف آلام شاب امتنع عن انقاذ طفل غريق كيلا يفسد بزّة جديدة كان يرتديها ؛ ولكن يضعف هذه القصة نصائح صديقه الثقيلة . اما « احلام الشباب » فتصور بفن اوفر نضجاً وساوس شاب يلتقي بفتاة في أوتوبيس .

ولكن النزعات التي تظهر في المجموعة الثانية ، سواء كانت فنية ام فكرية ، اشد وعياً وابرز خطوطاً من نزعات المجموعة الاولى ، ففي عدد من القصص نقف على تعبير عميق لبعض مظاهر المجتمع العراقي الراهن : ففي « عهد جديد » تقدم لنا اسرة متواضعة في إطار بين الملامح ذي لون محلي فاقع ، وشخصية الاب الجزار متميزة تمام التميز . وموضوع « اعوام الرعب » ، وهي من خير قصص الكتاب ، يتناول البطولة التي تضطرم بها نفوس الجيل الطالع الذين يثور بين وقت وآخر ضد الارهاب ، والقصة تحلل خوف والدي شاب يلاحقه رجال الشرطة بتهمة إثارة الشغب . وتصف قصة « صديقي عبد علي » تطور شعور وطني قومي اصيب بالانحراف واللاوعي . والواقع إن إيمان البطل الذي لا يتزعزع بانتصار هتلر في الحرب الماضية ليس الا نتيجة قلق كامن معزو الى استياء السكان من العهد الذي كانت تعيش فيه البلاد آنذاك ، فان هذا الايمان الذي يفقد وجهته يتحول الى وهم راسخ لا يزيله شيء : إن عبد علي لا يصدق مطلقاً ان هتلر قد مات ، وانما هو قد اختفى ليظهر فيما بعد ، ويكسب الحرب ويحرر العراق ...

اما الظلم الاجتماعي فيجد خير تعبير له في « الرهان » وهي قصة انسانية مؤثرة : اب شيخ يقبل بأن يقطع النهر سباحة في زمهرير الشتاء ليحصل على جائزة مالية كان يطمع بها ليداوي بثمنها عيني ابنته التي كان يرغب في تزويجها لخير صديق له . ولما كان جسم هذا الاب ضعيفاً متهدماً ، فقد حكم على نفسه بالموت ساعة ارتضى ان يقوم بهذه التجربة القاسية ... ولكنه مع ذلك مات مطمئناً لاعتقاده بأنه ضمن لأبنته الوحيدة حياة لا هم فيها . ولئن كانت خاتمة قصته « المنزل رقم $\frac{4}{5}$ » لا تخلو من تصنع ، فان اللهجة الصميمية الصريحة التي يصف بها البطل حبه القلق لجارته تكسبها قيمة خاصة ، ويضمن المؤلف قصة « الدخيل » تحليلاً نفسيا دقيقاً لروح فتاة صغيرة تنتظر عودة ابيها الذي مات حديثا ، وقد بدأت تحب رجلاً كان يتردد على البيت في تلك الاثناء ، ولكنها ما لبثت ان كرهته وتمنت ذهابه نهائيا اذ ادركت انه لم يأت إلا ليحل محل ابيها ، فسقطت من اجل ذلك مريضة . وحين غاب الدخيل ، لم يكن لديها إلا سؤال واحد طرحته على امها : «متى يعود ابي ؟» . قصة تذكرنا بأجل اقاصيص تشيكوف . وقد نشر شاكر خصباك اخيراً قصة بعنوان «الكسيح»[1] تشهد بأنه ماض في تركيز فنه القصصي على دعامتين متينتين من تصوير صادق للظلم الاجتماعي وتحليل بارع للنفسيات .

★

اما عبدالرزاق الشيخ علي فيعد في مجموعته « حصاد الشوك » (١٩٥٠) وعوداً كثيرة . وقصته « رباب » تجلو مظهراً من مظاهر العاطفة الوطنية المتأججة في العراق ، وتؤثر في القارىء تأثيراً شديداً ببطولة أشخاصها المعذبين . ومثل ذلك يقال في قصته « على الحديد » التي تقدم شاباً زاخر العواطف بالنبل ، ولكنه محتقر ومطرود من بيته ومهجور من زوجته بسبب عاطفته الوطنية المجاهدة . وقد انتهى به الأمر ، إزاء هذا الضغط المعذب من قبل محيطه ومجتمعه ، الى استشعاره مركب النقص وإحساسه بانه اقل من ذبابة . وفي « زوجة الفنان » تصوير دقيق لهذا القلق الغامض الذي يستولي على الشبيبة العربية والذي يصعب التعبير عنه . ولا شك في ان خير اقاصيص الكتاب هي « في منتصف الليل » ، فقارئها يشعر في كل سطر فيها بحيرة عميقة تتألم لها روح ذلك الطالب الذي يعيش في باريس باحثا عن مثله وخطة مسلكه في الحياة . وقد كان من اولئك الذين يهتزون لادنى مظهر انساني ويرتبطون بكل شقاء بشري ، وهذا ما جعله يتعلق بروح مارتينيكي اسود أرعبه حين اقتحم عليه غرفته لدى منتصف الليل . ولكن الاخوة في شعورهما بالشقاء البشري ما لبثت ان ربطت بين روحيهما ، فاذا به يقاسم ذلك الزنجي الجائع رغيف الخبز الذي كان يحتفظ به لفطوره ، ثم يشاركه الفرنكات القليلة التي كان يقتر على نفسه بها لتكفيه نفقة للشهر كله ... وحين

(١) العدد الاول من « الآداب » ، كانون الثاني ١٩٥٣

غادره الزنجي اخيراً ، شعر بأنه يود ان يبكي لذهابه ... قصة تهتز بالرهافة ، وتفقد بهذا التلخيص القيمة الانسانية التي تنبض بها .

★

واما صلاح الدين الناهي فيحمّل قصصه في مجموعتي «اقاصيص شتى» (١٩٤٩) و «تثنية الاقاصيص» (١٩٥٢) جواً من السخرية المرحة ، ولكنها سخرية لا عمق فيها . والحقيقة ان ما تحويه هاتان المجموعتان اقرب الى ان يكون مقالات وتعليقات وصوراً ، لا أقاصيص فنية . فالحادثة معدومة في معظمها ، والفكرة طاغية إجمالاً ، والمؤلف يتدخل غالباً بتعليق او انطباع او تأثر ، وكل هذه من شأنها ان تضعف كثيراً فنية الأثر القصصي ؛ وهذا ما نلاحظه مثلاً في « القصصي المجهول » و « الشاعر الفيلسوف » و « ذكر الصبا » و « على رسلها » و « تصلي في المقهى » الخ .. وما رأيناه إجمالاً في اقاصيص المؤلفين السابقين من تصوير اجتماعي وتحليل نفسي وعقد هامة ، لا نجد منه في هاتين المجموعتين إلا ظلالاً باهتة ، فضلا عن ان اسلوب الناهي يفتقر الى تلك العصبية المتوترة التي تحيي القصة وتبث فيها الهزة الشعورية النابضة . وفي المجموعة الثانية قصص تلعب فيها « المصادفة » دوراً كبيراً فتنزع عنها صفة « احتمال الوقوع » وهذا واضح في « آلام مبرحة » و « واحة في الصحراء » مثلا .

وهذه المصادفة هي عماد اقاصيص خليل رشيد في مجوعته « الحياة قصص » (١٩٥٢) ، وهي في الحقيقة روايات ملحصه ترتكز على الحادثة التي تمر دون ان تؤثر . ومثل ذلك القول في رواية « شيخ القبيلة » (١٩٥٢) من تأليف حمدي علي ، ومجموعة « صرعى » لمحمود الحبيب ، و « نهاية حب » و «همس الايام » و« شجن طائر » و « بقايا ضباب » وكلها من تأليف عبدالله نيازي . واما محاولة عبد الصمد خانقاه في مجوعة « في الغاب » (١٩٥٢) فتبشر بالنجاح بالرغم من ضعف الحبكة القصصية التي تجعل من بعض القصص مجوعة تأثرات وانطباعات ، وبالرغم ايضا من ضعف التعبير وقصوره احياناً عن تأدية المعنى المقصود. والحق ان لهذه المجموعة مزيتين : اولاهما انها تنجح في تصوير القلق والحرمان اللذين يعيشها شبان الجيل الطالع (انظر مثلا قصص « ككل الناس » و « دخان » و « طنين ») فيحاولون الخروج منها في التماس المتع الجسمية والاغراق في الشراب ، والثانية انها تعيش في صميم المجتمع ، لا على هامشه (قصة « موعد مع العيد ») ولعل خانقاه بحاجة الى مران وصقل وبلورة ليتمكن من اللحاق بالمتقدمين في الموكب .

بقي ان نعبر عن اعجابنا بما ينشره بعض الكتاب الذين لم نقرأ لهم في كتب ، وانما في مجلات ، امثال جبرا ابراهيم جبرا ، وفؤاد التكرلي ، ومحمد روزنامجي وسواهم (١).

★

وبعد ، فان هذه النظرة في القصة العراقية الحديثة كافية ، بالرغم من انها موجزة ، لان تثبت بان النتاج القصصي في العراق يحتل مركزاً هاماً في مجموع الآثار القصصية في الادب العربي الحديث . إنه ادب صراع ومقاومة وثورة يستجيب اكثر من اي ادب آخر في البلاد العربية الى الحاجات الحيوية التي يتطلبها مجتمع في إبان نموه . وهذا الادب الذي يعي المهمة التي ينبغي له ان يضطلع بها في حياة البلاد ، لا يجتزيء مطلقاً بايراد واقع جاف خام ، وانما يخلق ويصنع نماذج من الابطال يسهم بواسطتهم في نصب مثل عليا تتيح للجيل الجديد ان يخط لنفسه دربه الخاص ، وان ينتقل من وعي حقيقته الى العمل البناء المثمر في سبيل تحسين اوضاعه الاجتماعية والسياسية .

ومقابل هذه النزعات المعنوية القوية في القصة العراقية ، تبقى النزعة الفنية ضعيفة نسبياً ، ولعل هذا طبيعي في وعي جيل من الادباء تشغلهم اوضاع بلادهم وحاجاتها عن ان يرعوا الجانب الفني من نتاجهم الرعاية الكافية . على اننا نرجو ان تصيب التقنية (Technique) القصصية على ايدي هذا الجيل ما هي بحاجة اليه من تعزيز وتركيز سيكسبان القصة العراقية ، يوم يتحققان ، قيمة عالمية دون شك . (٢)

سهيل ادريس

(١) لا شك في ان هناك آثاراً قصصية اخرى في العراق جديرة بالدرس والتحليل، ولكنها لم تبلغنا او لم يصل الى علمنا شيء عنها. فلعل اصحابها يرسلونها الينا مشكورين لنستوفي بها هذا البحث .

(٢) لا بد لنا هنا من ان نحذر بعض القصصين المبدعين من المضي في استعمال اللغة العامية في الحوار . فهم لا يدركون حقاً مبلغ الاساءة التي يلحقونها بقصصهم في ذلك ، وهم ينسون قبل كل شيء انهم لا يكتبون لقرائهم المحليين وحدهم ، ثم لا يقدرون ما في ذلك من مساس بالروح القومية العربية.

الابتداعية في الفكر الاسلامي

بقلم جعفر آل ياسين

إن الفكر الانساني – كما اعتقد – لن ينهض على «إبداعية» خالصة من التأثر بابداعية اخرى قديمة أو حديثة ... وليس الابداع هنا « خلق » افكار من عدم لا أصل له ، بل الابداع ان تضيف الى ما تقدم جديداً يستند في بنائه وقيامه على أصول سابقة وأصول محدثة ... ولهذا فليس « الانتاج » – بصوره المتعددة – إبداعاً ، لأن الأول يقوم على «الكمية» في الحصر ، وينهض الثاني على « الكيفية » في الفكر .

ولا ضير على العقل – أي عقل – أن يتناول أموراً تناولها غيره فيضيف إليها،ويظهرها بصور تتباين في منهجها مع سابقتها ما دام « الاعمــال » الذهني قائماً يتساوق في سيره والاصول العلمية في البحث والايجـاد ، وما دام الفكر وابداعه ملك الأنسانية وحدهـا وهي الموكلة بان تعمل على شاكلة نوع منه او تخالفها..ولا يدعو ذلك الى استرقاق او عبودية للمتقدم على المتأخر اطلاقاً .

والفكر الاسلامي باديء ذي بدء – تــأثر بالكتاب والسنّة ، ودرج يستمد منها مــا أُثر عن النبي والصحابة من أقوال وأحاديث تتصادى وهدفه الأول في التوحيـد ، وتتفق وخياله العاطفي والميثولوجي .

ومجال هذا التأثر أنه أطلق للعقل سراحه في «الاداء النفسي» في النظر إلى كائنات الطبيعة واستمداد العبرة منها عـلى وجود « الحق » المطلق الخالد . ثم لحق تلك ما أُثر عن الفكر الهندي والفارسي والأغريقي من « مبتدعــات » أضيفت الى تراثه ، وتغلغت بين نتاجه وإبداعه .

ولا يهمنا من اصالة الفكر – في بحثنا هذا – ما أعــوز المتقدمين البرهان عليه ، إنما تدفعنا لذلك دعوى ارسلها بعضهم ولا يزال يرددها آخرون ؛ من ان الفكر الاسلامي لم يكن (ولن يكون) أصيلا بما جاء في فلسفته وحكمته ، واشراقيته وصوفيته ، وما هو إلا صورة تلبست أثواباً غريبة عنها لا تحمل « الاصالة » فيما اعقبت من علوم وفنون .

ودليلهم القائم عـلى هذه الدعوى أن العــرب – بطبيعتهم الصحراوية المنبسطة – كانـوا قوماً لا يعرفـون من الحياة غير جانب الشظف في العيش والخشونة في الملبس والمآكل،ومادون ذلك – في رأيهم – ترف مزدول ، وعمـل مرغوب عنه .

فلما دفعت بهم الحياة الى خضمها المـديد ولجوها ، بسذاجتهم المعهودة، فـلم تبرز لديهم مقومـــات « التشخّص » الذاتي التي تنهض عليها الحضارات الفكرية والتطورية في كل زمان ومكان ، فاضطروا – حين فتحوا الأمصار – ان يجعلوا من لغات الاقوام الغريبة عنهم لغة لدواوينهم ، وعرّبت بعد حين ... ثم جاءتهم بضاعات الاغريق فنقلها السريان الى لغتهم ثم الى لغة العرب ، فلم تكن « مادة البحث » اصيلة وافية لديهم كما كانت عليه يوم ظهرت في بلادها ، ونبتت وترعرعت بين أفيائها .

وحينذاك نظر العربي ، فلم يجد بدّاً من تبني هذه الافكار، فتبناها وأقام عليها صرح كيانه الفلسفي، وقدمها لمجتمعه كبنات أفكاره سواء بسواء .

* * *

ويجمل بنا ان نلحظ – في نقد الدعوى الآنفة – أمرين يُبنى عليهما البحث القائم : (١)دراسة الحضارة – أيّ حضارة – لا يقوم على « التجريد » و « التنصل » لأن الفكر الانساني على اختلاف مراميه وتباين اهدافه ، ليس « كلًا » يقوم بذاته دون سائر المؤثرات الاخرى ، ولا احسب ان عقلًا فكرياً – مهما بلـغ من درجات الكمال والرقي – يمكنه التخلف عن مشاركة البيئة والتقاليد والامور الاصطناعية والحياتية ، ان كانت من حوله أو في آفاق وبقاع دونه في المدى والاتساع ..

ومن ثمة فإن نقد الفكر لا يقوم عـلى « اطلاقية » حتمية بعيدة عن الواقع الاجتماعي لبيان وجه الحسن والقبح فيه ، ما دامت الحياة الحق لا تنهض على « السكون » و « الثبات » بل عـلى « الديناميكية » و « الاستمرارية » في التطور المتلاحق بعضه بالبعض الآخر ... وهـــذا ما نلحظه بيّناً في حضارات اليونان والرومان ، خاصة اذا تعمقنا تلك السمات التي اتسمت بها المدارس الفكرية القديمة : كتأثّر الفيثاغورية بالثقافة المصرية – مثلًا – من ناحية العدد والفلك ودورة العـــالم .. وكتأثر السقراطية والافلاطونية بالاساطير القديمة كعالم النور والظلمة والآلهة المثلى .. !

٢ – ان الفكر الاسلامي نهض في ظل دين منزّه يدعو الى « الوحدانية » في العقيدة ، ويؤمن إيماناً قاطعاً بان المادة (او الهيولى كما سماها الفلاسفة) هي من مبدعات الرب الذي خلق

الاشياء كلها . فلمْ يكن للفلاسفة – يومذاك – ان يجهروا بآرائهم التي بها يؤمنون – وتعاقبت الاعوام فبرز ظرف غزت فيه الثقافة الاغريقية والمسيحية حواضر العالم الاسلامي، فتوسعت الذهنيات وأعقبت نوعاً من حرية الفكر ما زلنا منها عـلى إعجاب وإكبار .

يُضاف الى هذا ان الفكر الاسلامي ليس عربيـاً خالصاً كما ينعته بعضهم -- بل هو عصارة أخلاط وأنماط منوّعـة ، عديدة مختلفة ، تجمعت تحت إطار واحد – هو الاسلام – بلورَها بعقيدة واحدة ، ولا اهمية للعنصر بقيامها ، قدرَ اهمية الروحانية الدينية الجامعة بين اطرافها ..

وغبرّ عشرات السنين شُرحت كتب افلاطون وارسطو، ولم يكن شرحها بالغ النضج وانما شابهُ تعقيد وغموض تعمدهما الشرّاح كي تخفى معانيها على « طبقة » المحدّثين التي انتشر ظلها على الحواضر الاسلامية والتي كانت تستمد سلطتها الزمنية من الحاكمين يومذاك .

وبعد حين من الزمن ادلى مفكرو الاسلام بآرائهم الجديدة فألّفوا في الميتافيزيقا والطبيعة والاخلاق والمنطق والطب ، فظهر الكندي والفارابي وابن سينا واخوان الصفاء وابن رشد وكثير غيرهم .

ولمْ يخلص هؤلاء من التأثر بالفلسفات القديمة والنهل منها والاعتماد عليها ... على اننا لا نؤيد القول باضافة هذا التراث الى « إبداعية » خالصة ، بل هو « مؤثر ومتأثر » ولا يدعو هذا الى نفي الاصالة عن الفكر الاسلامي – بمعناها الذي اسلفنا .

فمن المبالغة – إذن – ان ندعي ان الفلاسفة الاسلاميين لمْ يأتوا بشيء جديد .. خاصة إذا رجعنا فاستوعبنا ما دوّن اولئك من رسائل منسّقة لا تقل اهمية من الناحية العلميـة والمنهجية عن تراث اليونان وفلسفتهم .

ويجب ان لا ننسى ان الاسلام اقام بوجه الفلسفة حواجز وحوائـل كثيرة لم تدع لها الفرصة في الظهور والبروز والاستكمال .

ولعل في كتب الامام الغزالي وتلاميذ مدرسته ما يدل دلالة واضحة على هذا الاستقطاب الذي قاوم الفلسفة ودارسيها. وهو ما يدعونا الى نعته « بالفكر الديني الخالص » البعيد عن التلفيق ، ويستحق – على هذا الوجه – العناية والاهتمام..

ونعتقد ان هذه الحوائل ذاتها هي التي ساعدت وعملت على ظهور « نوعية » الاصالة في الفكر الاسلامي ، لانها غالباً ما كانت اداة إغراء وتحفّز نحو التطور والبناء والتجديـد في الحضارة المتفتحة . ولعلها كذلك في الثقافات الانسانية كافة.

بغداد — **جعفر آل ياسين**

تسابيح..

حبيبي ملني صبري ، وأضنتني التباريحُ
أنا البلبلُ ترتيلي بهجرانك مذبوحُ
نشيدي وابتهالاتي لذكراك التسابيحُ
فلا تبخلْ فأنتَ الراح ، والريحانُ ، والروح
أ أنسى فيك أوطاري وأسراري واسرارك ؟
وهل تشجيك اشعاري وإلهامي قيثارك ؟

* * *

شبابي أفُقٌ غامَ فآمالي آلامُ
وما غنتهُ قيثارةُ احلامي اوهامُ
فحتامَ تمنيني ؟ وما تصدقُ احلامُ
أ أبقى عابد الوهم كما تعبدُ اصنامُ ؟
سئمتُ الصمت والوحـدةَ يا حانَ المحبينا
فهيا يا صدى اللهفـة فالأشواقُ تدعونا

* * *

بلى قد ملني الصمتُ وعافتني الخيالاتُ
وافراحي مذ ولتْ جرتْ بالهمّ كاساتُ
حبيبي عمري جرحٌ ، واياميَ آهاتُ
إلى كم بالمنى أحيا ، وبالاوهام أقتاتُ
كأني دمعـةُ اليتم باجفانِ المساكينِ
او اني حـلمٌ طافَ باوهام المجانـين

* * *

سلي عن حاليَ الليلَ ، فليلُ الحبّ أسرارُ
وليلُ الحبّ يا « شقراءُ » أحلامٌ واشعارُ
سلي ينبيكِ اني في الهوى يا فجرُ مزمارُ
واني قدحٌ ظامٍ ، وأحزانيَ خمّارُ
واني فكرةٌ فرّتْ من اليقظـةِ والحسّ
أ أصحو ورحيقُ الحبّ يا « شقراءُ » في كأسي

بغداد — **عبد القادر رشيد الناصري**



ثمن التابوت ...

للقاصة الاميركية بيرل باك

مترجمة بقلم **منير البعلبكي**

تتمتع بيرل باك Pearl S. Buck ، القاصة الاميركية ، بشهرة عالميـــة مرموقة . وُلدت في هيلزبورو ، بفرجينيا الغربية ، سنة ١٨٩٢ ، ولكنها عاشت اكثر حياتها في الصين حيث عملت أول الأمر بوصفها احدى مبشرات الكنيسة المشيخية (البرسبتيرية) ثم انصرفت الى تأليف الروايات والقصص القصيرة . وفي آذار سنة ١٩٣١ اصدرت روايتها العظيمة « الأرض الطيبة The good Earth » ، فتلقاها النقاد بعاصفة من الترحيب ورفعت اسم بيرل باك الى الذروة بين كتاب القصة في اميركة ، وأقبل عليها جمهور القراء اقبالاً جعلها في طليعة الكتب الاكثر رواجاً طوال سنتين كاملتين . وجميع روايات بيرل باك وقصصها القصيرة تدور على الصين والحياة الصينية . وهي تمتاز على الجملة بقوة العنصر الانساني وبراعة التصوير على ما ترى في قصة « ثمن التابوت » التي نقدمها اليوم الى القراء ، والتي نالت احدى جوائز أو. هنري O. Henry التذكارية عام ١٩٣٣ .

م . ب

« ان الطريقة الوحيدة لتطويع هؤلاء الخياطين الوطنيين ، يا عزيزتي تتلخص في ان يكون المرء حازماً ! »

قالت مسز « لو » ، زوجة مدير البريد ، ذلك وهي تحشر جسمها بشيء من الصعوبة في الكرسي الهزاز ، فوق شرفة بيتها الواسعة . كانت امرأة بدينة ، ذات وجه يشيع فيه الدم بسبب من الافراط في الطعام والانصراف عن الرياضة طوال هـــذه العشر السنوات الغريبة التي قضتها في احد المرافيء القائمـــة على الساحل الصيني ، وهوذا وجهها المربّع الجافي يزداد الآن ، وهي تتطلّع الى زائرتها ثم تتكلم ، حمرةً على حمرة . وكان يقف الى جانبها خادم صيني أعلنها منذ لحظة ، في صوت وديع ، ان الخياط قد حضر .

وتطلعت مسز « نيومان » الى مضيفتها في إعجاب غامض ، ثم زفرت قائلة ، وهي تحرك مروحتها المصنوعة من سعف النخل ، في تؤدة ورفق :

ــ ما اكثر ما اتمنى اصطناع طريقتك معهم يا آدلين . فأنا أزهد في الثياب الجديدة ، في بعض الأحيان ، على الرغم من رخصها هنا ، وبخاصة إذا اشترى المرء الحرير الوطني ، ولكن المشكلة هي دائماً مشكلة الخياطين ، فان خياطي يعدني ، كل مرة ، بانجاز الفستان في مدى ثلاثة ايام ، ثم لا يعود الا بعد اسبوع او اسبوعين !

وهنا خفت صوتها فما يكاد يبين وتنهدت تنهدة عميقـــة واسرعت يدها في تحريك المروحة بأقوى مما كانت تفعل من قبل .

وفي لهجة شبه آمرة قالت مسز « لو » : « راقبيني الآن ! » ثم حوّلت عينيها المدورتين القاسيتين الرماديتين الى الخادم الصيني الواقف أمامهـــا في خضوع وقالت : « قل للخياط ان يأتي الى هذه الجهة ! »

فهمهم الخادم : « نعم ، يا سيدتي » وانصرف .

ودخل الخياط على السيدة الاجنبية مقتفياً آثار الخادم . كان رجلاً فارع الطول ، اطول من الخادم ، كهلاً ذا وجـه وديع ينضح بضرب من الهدوء المنقبض . وكان يرتدي ثوبـاً طويلاً أزرق اللون حائلاً ، مرقعاً عنـــد المرفقين ولكنه بالغ النظافة . وكان يتأبط بقجة من قماش ابيض ، حتى إذا اقترب من

السيدتين البيضاوين انحنى في احترام، ثم جلس القرفصاء، ووضع الصرة على ارض الشرفة وطفق يحل عُقدها ... كان في داخلها عدد متهريء من احدى مجلات الأزياء الأميركيـــة ، وثوب نصف مخيط من الحرير المبقع بالأزرق والأبيض. وحمل الخياط الثوب في عناية بالغة ورفعه إلى مسز « لو » لتراه . كان واضحاً من اتساع تقاطيعه أنه مفصّل لها . فألقت عليـــه نظرة باردة وشرعت تقلّب البصر في أجزائه كلها بروح عدائية ترشح لؤماً.

وفجأة قالت مسز « لو » في صوت عال : « انا لا أريدهذه القبة » . لقد اخبرتك اني اريد « كَشكَشاً » ... انظر الى الزي في الكتاب » . وقلبت صفحات المجلة في سرعة حتى انتهت إلى القسم المخصص لفساتين النساء البدينات : « انظر ! إني اريد مثل هذا الزي . لماذا صنعت لي «قبة» مسطحة ؟ انا لا اريدها ! انا لا اريدها ! ابعدها عن عينيّ ! »

وتفصّد العرق من جبين الخياط الهاديء الصبور ، وقال في صوت يخنقه الأسى : « كما تريدين يا سيدتي » . ثم انه أخذ نفساً وأضاف : « سيدتي ، لقد طلبت مني أول الأمر ان اعمل لك كشكشاً ، ثم قلت انك لا تريدين الكشكش وانما تريدين قبة ملساء ... » ونظر متضرعاً إلى المرأة البيضاء ، ولكن مسز لو أبعدته عنها بيد سمينة تزينها الخواتم ، وصرخت مقطّبة : « لا ، إنك تكذب . فأنا لم أقل قط إني اريد قبة ملساء . لا لم أقل قط . فليس ثمة سيدة ترضى ان تلبس اليوم قبة ملساء ، تلك هي الموضة الشائعة في هذا الموسم ؟ »

— « نعم يا سيدتي » قال الخياط . وكأنما لمعت في ذهنه فكرة فتساءل : « هل عندك فضلٌ من القماش نفسه يا سيدتي ؟ فقد أعمل لك كشكشاً للقبة .. »

ولكن مسز « لو » لم تكن من اللواتي يمكن استرضاؤهن في سهولة ويسر . فقالت : « حسناً ، لا بأس . ولكنك بهذه الأساليب تتلف كثيراً من القماش . ماذا تظن ؟ هل اشتري انا القماش من غير دراهم ؟ انك تخسّرني كثيراً من المال باعمالك هذه ! » وهنا التفتت الى زائرتها واستطردت : « كنت اعلّق آمالاً كبيرة على هذا الثوب ، يا مينّي ، وها هو ذا بين يديك فانظري اليه ! كنت أودّ أن البسه في حفلة السّمر التي ستُحيا في القنصلية بعد غدٍ ، وقد قلت له ان يصنع لي كشكشاً ،فصنع لي قبة ملساء. عزمتُ عليكِ إلاّ نظرتِ إلى هذه القبة السخيفة! »

— « أجل انا أدري . ذلك ما كنت اقوله تماماً . » قالت مسز نيومان ذلك ثم اضافت بصوتها الضعيف : « ولكن كيف السبيل الى تدبير المسألة الآن ؟ »

— لا عليكِ ، سأدبرها !

ثم انها تجاهلت الخياط لحظة ، وأنشأت تحدّق الى جنينتها الوارفة الانيقة ، وقد تألقت ازاهرها تحت وهج الظهيرة من ايلول . وتطاول صمتها ، والخياط واقف لا يريم وقد استبدّ به القلق والجزع . وتحدّرت على وجنتيه قطرتان من عرق ، فرطب شفتيه الجافتين ثم قال في صوت مرتجف :

— ألا تريدين ان تقيسي يا سيدتي ؟

فنبرت بـــه مسز لو : « لا ، لا اريد . ولمـاذا أقيس ؟ الفستان كلـه غلط ، والقبة كلها غلطٌ فما الفائدة من القياس . » قالت ذلـك وهي ما تبرح تحدّق الى الجنينة المشتعلة ازهارها تحت اشعة الشمس الوهاجة .

فما كان من الخيـــاط إلا أن أجابها بلهفة وتضرّع : « إني مستعد لأن اصنع لك الكشكش الذي تريدين . اجل . اجل يا سيدتي . سأعمل لك ذلك الكشكش . فمتى تريدين ان يكون الفستان جاهزاً ؟ »

فقالت المرأة البيضاء : « أريده غـداً . اريد ان تحضره الي في الساعة الثانية عشرة . امـا اذا لم تأت به في ذلك الموعد فعندئذ لا أدفع لك فلساً ! أفهمت ؟ انت دائماً تسألني مـتى أريد ان يكون الفستان جاهزاً ؟ ولكنـك تخلف في كل مرة الميعاد المتفق عليه . »

وهنا أجاب الخيـــاط : « سآتيك به غداً في الثانية عشرة يا سيدتي » وجلس القرفصاء ، وأعاد الفستان الى البقجة البيضاء ، وعقدها في رفق وكأنما هو يخشى ان يحطم شيئاً . ثم انه نهض ووقف ينتظر ، وقـــد طغت على وجهه موجة من ابتهال . والواقع ان روحه كلها تفجّرت في هذا الابتهال الضامت فاذا هي منطبعة على وجهه الهاديء، المرتفع عظم الوجنتين. وتصبب جبينه عرقاً ، كرّة اخرى، وحتى مسز لو لم يفتها ان تقرأ مأساة تلك الروح على وجهه ، فوقفت كرسيّهـــا الهزاز عن الحركة وتطلعت اليه . متسائلة بحدة :

— ماذا دهاك ، هل تريد شيئاً بعد ؟

فبلل الخياط شفتيه من جديد وقال في صوت تخنقه اللوعة: « سيدتي ، هـل تستطيعين ان تعطيني قليلاً من المال — دولاراً مثلاً او دولارين ... » حـتى اذا رأى الى نظرتها الهائجـة غار

صوته باكثر من السابق وازداد اختناقاً . « إن ابن اخي سيموت اليوم في ما اظن . وان له لثلاثة اطفال وزوجة وليس عندنا مـال نشتري به التابوت – لا ليس عندنا شيء – إنه مريض جداً اليوم ... »

ونظرت مسز لو الى ضيفتها ، وقد اخذتها حيرة حقيقية . فأجابتها مسز نيومان عن نظرتها قائلة : « ذلك ما قلته بالحرف . إنهم مزعجون اكثر منهم ذوي فائدة : ومع ذلك فهم لا يفكرون بشيء غير الدراهم ! »

وحوّلت مسز لو عينيها الرماديتين نحو الخياط . فلم يرفع بصره عن الارض ، ولكنه مسح شفته ، خلسة ، بردن ثوبه . وحدقت مسز لو اليه لحظة ثم انفجرصوتها في هياج بالغ : « لا . لا . عندما تنجز الفستان والكشكش ادفع اليك الاجرة . اما اذا لم تنجزها فلن تقبض شيئاً . أفهمت ؟ »

« نعم يا سيدتي ! » قال الخياط ذلك ، وامحى من وجهه آخر اثر من آثار الامل ؛ وران عليه يأس مرير اشبه ما يكون بحجاب صفيق . ثم اضاف : « سأنجزه غداً في الساعة الثانية عشرة يا سيدتي » ومضى لسبيله .

فصاحت مسز لو من ورائه ، وهي ترمقه بازدراء : « حاول ان تفعل ! » ثم التفتت الى زائرتها وقالت : « لقد قلت له غداً رجاة ان أحصل على الثوب بعد غد » وكأنما جال برأسها خاطر ، فقرعت الجرس بقوة ، فاذا بالخادم بين يديها .

– « راقب الخياط جيداً ... وتأكد من انه لم يأخذ شيئاً ... »

واخترق صوتها المرتفع البيت ، فأجفل الخياط ، وكان لا يزال في أقصى القاعة ، بعض الشيء ، ثم غاب عن البصر .

عندئذ وجهت مسز لو الكلام الى ضيفتها : « انك لا تستطيعين ان تعرفي ما اذا كانوا يخترعون هذه القصص اختراعاً أم لا . إنهم محتاجون دائماً الى الدراهم ... انا لم أر قط مثل هؤلاء الناس . وليس من شك عندي في أنهم يجمعون مـالاً وفيراً من الخياطة لجميع هؤلاء الأجانب المقيمين في الثغر . ولكن هذا الخياط أسوأ منهم جميعاً . فهو دائماً يطلب منك شيئاً من المال قبل إتمام العمل . وأذكر انه جاءني ثلاث مرات مختلفات وزعم ان طفلاً يموت او ما أشبه ذلك . اني لا أصدق كلمة مما يقول . ولا يبعد ان يكون من مدمني الافيون او من صرعى القمار . إنهم جميعاً يقامرون ، وليس في استطاعة المرء ان يصدق حرفاً مما يزعمون ! »

فتنهدت مسز نيومان وقالت وهي تنهض للمسير : « أوه ، اعرف ذلك جيداً ... »

ونهضت مسز لو لتوديعها واختتمت البحث بان أعادت ما سبق لها ان أكدته : « على كل حال ، يتعين على المرء ان يكون حازماً مع هؤلاء الناس ... »

●

لم يكد الخياط يغادر البيت الاجنبي الكبير حتى اتخذ سبيله في خفة ورشاقة عبر الشارع القائظ . حسناً ، لقد سألها ان تسلفه بعض الدراهم ولكنها لم تعطه شيئاً . لقد كان الثوب نصف مخيط وكان ينقصه الكشكش ايضاً . وقد دفعت اليه القطعة الحريرية منذ يومين ليس غير ، ففرح بها فرحاً عظيماً لأنها ستعود عليه ببعض الدولارات ينفقها على ابن اخيه الذي كان بمثابة ولده بعدان حرمته الآلهة أطفاله الصغار ، اطفاله الثلاثة جميعاً .

وإذن فقد كان طبيعياً ان يزداد كلفاً بهذا الابن الوحيد لأخيه الأصغر المتوفى ، وهو شاب يعمل في دكان احد الحدادين ، وله ثلاثة اولاد صغار ايضاً . ومثل هـذا الشاب القوي – من كان يخطر بباله ان الموت سيفترسه على هـذه الشاكلة ؟ فمنذ شهرين اثنين أفلت عمود الحديد الحامي ، وكان يطرّقه على هيئة سكة محراث ، من بين كلابتيه ، فسقط على رجله وقدمه وكوى لحمها كياً حتى العظم . لقد سقط على لحمه العاري لأن الدنيا كانت صيفاً وكان الدكان الصغير حاراً جداً ، فلم يكن على جسده غير بنطلونه القطني الرقيق ملفوفاً الى فخذيه .

ومهما يكن من امر فقد عالجوه بمختلف ضروب المراهم ، ولكن ايّ مرهم ذاك الذي يُطلع اللحم السليم كرة اخرى ، وهل ثمة بلسم لمثل هذا الجرح المخيف ؟ لقد تورمت الرجل كلها ، وها هو ذا الفتى المسكين يتقلب على فراش الموت في هذا اليوم القائظ من ايام الشهر التاسع . كانت ثمة طبقة من الجص الأسود تمتد من وركه حتى قدمه ، ولكنها لم تكن لتجدي او تفيد .

أجل ، لقد رأى الخياط الموت جاثماً على البيت ، هـذا الصباح ، حين قصد لزيارة ابن اخيه . كانت الزوجـة الشابة جالسة تبكي في مجاز الغرفة الوحيدة التي يتألف منهـا بيتهم ، وكان الطفلان الاكبران يحدقان اليها في جزع ، وقد أقعدهما الهم عن اللعب . اما الطفل الثالث فكان رضيعاً تضمه امه الى صدرها .

واستدار الخياط نحو زقاق من الأزقة ثم اجتاز فناء يعجّ

باطفال عراة كان بعضهم ينتحب ، وكان بعضهم يتشاجر، وكان بعضهم يصيح صيحات اللهو واللعب .

وفوق رأسه تمتد اعمدة من خيزران تتدلى منها ثياب رثة بالية غسلت بمقادير من الماء مطففة ومن غير ما صابون البتة. وهنا حول هذه الافنية كانت تقطن في كل غرفة اسرة، وكانت ربة الاسرة تصب المياه القذرة في الفناء فهو موحل تجري فيه جداول من الماء برغم الجفاف الشديد الذي اصطلت بناره المدينة منذ شهور او يزيد .

ولكنه لم يلحظ شيئاً من هذا . واجتاز ثلاثة أفنية اخرى ثم انعطف نحو باب مشرع الى اليمين وولج الغرفة المظلمة التي لا نوافذ لها . كانت ههنا رائحة من نوع آخر ، إنها رائحة اللحم العفن الذي يموت ... وارتفع صوت امرأة تندب وتعول من جانب الفراش المحجّب . والى هنا قصد الخياط ، ووجهه لا يزال يحمل الانطباعة نفسها التي طفت عليه منذ غادر بيت السيدة البيضاء . ولم ترفع الزوجة الشابة بصرها اليه وهو يدخل. كانت جاثية في انكسار ، قرب الفراش، وقد تندى وجهها بالدموع . وكان شعرها الاسود الطويل مسبلاً على كتفيها فهو يكاد يمس الارض. وكانت لا تني تندب زوجها وتقول : « وازوجي!.. وارجلي !.. لقد تُركت وحيدة في هذا العالم ... وازوجي..»

كان طفلها الرضيع ملقى أمامها ، على الارض ، يصرخ وينتحب ، بين الفينة والفينة . اما الطفلان الاكبران فجلسا بحذاء امهما ، وقد تعلق كل منهما بزاوية من ردائها . لقد كانا ينتحبان ايضاً ، ولكنهما أخلدا الآن الى الصمت ، ورفعا وجهيهما المخططين الى عمها .

ولكن الخياط لم يلق اليهما بالاً ، وتطلع الى ستر الفراش القنبية وقال في لطف :

— ألا تزال حياً يا بني ؟

وأدار الفتى المحتضر عينيه في عسر . كان كل جزء من جسمه متورماً تورماً مخيفاً : يداه ، وصدره ، وعنقه ، ووجهه، ولكن هذا كله لم يكن شيئاً بالقياس الى تورم رجله المحروقة التي أمست اشبه شيء بقطعة من الحطب ضخمة . كانت منطرحة هناك ، وقد بدا الفتى بسبب من ضخامتها وكأنه هو المتصل بها وليست هي المتصلة به . وتسمرت عيناه الجامدتان البارقتان بريق الموت على عمه ، وفتح شفتيه المنتفختين . وبعد فترة طويلة ومحاولة جاهدة لاستجماع الذهن وتركيزه انبعث صوته في وشوشة مبحوحة :

— هؤلاء الاطفال ...

واخذت الخياط رجفة خاطفة ، وانعكست أمارات الألم المرير على وجهه . فجلس على حافة الفراش وطفق يتحدث في صدق واخلاص :

« لا داعي لأن تجزع على ابنائك يا بني ؛ فهم في سلام واطمئنان ، ان زوجتك واولادك سوف ينتقلون الى بيتي ويملأون فيه الفراغ الذي تركه ابنائي الثلاثة ، وستكون زوجتك بمثابة بنت لي ولزوجتي ، في حين سيكون اولادك حفدة لي . ألست انت ابن شقيقي ، وقد توفي ايضاً ، ولم يبق على قيد الحياة ، الآن ، غيري ؟ »

واخذ ينشج . وكان من الميسور أن يلاحَظ ان الخطوط التي انطبعت على وجهه انما رسمتها ساعات ماضية من هذا البكاء الصامت المكبوت . ذلك بان وجهه لم يتغير البتة ، حين اندفع يبكي . كل ما في الامر ان الدموع اخذت تتدحرج على خديه سخينة كبيرة .

وبعد فترة طويلة انبعث صوت الفتى المحتضر ، كرة اخرى، بالجهد المضني عينه ، وكأنما يقتلع نفسه من غيبوبة ثقيلة ليقول ما يجب ان يقال :

— أنت ... فقير ... أيضاً ..

ولكن العم سارع الى الاجابة ، مائلاً نحو ابن اخيه ، بعد ان رأى الى عينيه المنتفختين تغتمضان ولم يعد واثقاً من ان كلامه سيُسمع : « لا تُقلق نفسك ، ان عندي عملاً ، وهؤلاء النسوة البيض في حاجة ابداً الى ثياب جديدة ، وبين يديّ الآن ثوب حريري يكاد يكون جاهزاً لزوجة صاحب البريد — اجل انه جاهز تقريباً وليس ينقصه غير الكشكش ، وعندئذ تدفع اليّ اجرته ، وقد تكلفني ان اخيط لها اثواباً اخرى . لا ، إننا سنعيش في بحبوحة ... »

ولكن الفتى لم يُجب بكلام ما ، لقد غرق في تلك الغيبوبة الثقيلة الى الابد ، فلم يعد في ميسوره ان يقتلع نفسه منها مرة ثانية .

ومع ذلك فقد ظلّ يتنفس قليلاً قليلا طوال ذلك النهار القائظ الذي ما ينقضي . ونهض الخياط ليضع بقجته في زاوية وليخلع ثوبه، ثم رجع الى مجلسه قرب الفتى المحتضر ولبث جامداً لا يتحرك ساعات بكاملها . وواصلت الزوجة عويلها من غير

انقطاع ، ولكنها ما عتمت ان نهكها التفجع فأسندت جسمها الى مؤخرة الفراش ، واغمضت عينيها ، وطفقت تتنهد بين الفينة والفينة تنهدات هادئة . اما الولدان الاكبران فقد ألفا المشهد ، بل لقد ألفا احتضار ابيهما فانطلقا الى فناء الدار يلعبان . ومرة او مرتين اقبلت جارة شفيقة وأطلت على الفتى من شق الباب ، لتعود في المرة الاخيرة فتنقذ الرضيع من هذا الجو ضامة اياه الى صدرها الممتلىء . حتى اذا خرجت به الى الهواء الطلق سمع صوتها يرن في اشفاق مبتهج :

— حسناً ، لقد جاء اجله ، وانه ليبدو وكأنما قد انقضى على موته شهر كامل .

وهكذا أشرق النهار القائظ ، آخر الامر ، على غايته ، حتى اذا هبط الغسق لفظ الفتى انفاسه الاخيرة ومات .

عندئذ فقط نهض الخياط من مجلسه ذاك . نهض ولبس رداءه ، وتناول بقجته ، وقال للمرأة الجاثية : « لقد توفي . هل بقي عندك شيء من المال ؟ »

وعندئذ نهضت المرأة الشابة ايضاً وتطلعت اليه في لهفة ، مزيحة شعرها الطويل عن وجهها . كان من اليسير ان يلاحظ الآن انها لا تزال في ريعان الشباب ، فلا يزيد عمرها على العشرين . هي مخلوقة صغيرة عادية كالتي يراهن المرء في كل مكان ، وكل شارع ، في أيما يوم من الايام . انها ليست بالجميلة ولا بالقبيحة ، وانها لهزيلة ، مستديرة الوجه ، واسعة الفم نافرته ، بلهاء العينين بعض الشيء . كان واضحاً انها عاشت تلك المدة كلها من يوم الى يوم ، فلم يخطر لها ببال ان مصيبة كهذه سوف تقصم ظهرها ... تطلعت الى الخياط في ذلة وقالت :

« لم يبق عندنا شيء . لقد رهنت ثيابه وثيابي الشتوية والطاولة والكراسي ، فلسنا نملك منذ اليوم غير ذلك الفراش الذي يتمدد عليه . »

وازدادت انطباعة اليأس الطافية على وجه الرجل شدة وعمقاً . وتساءل : « أليس ثمة من تستطيعين ان تستديني منه بعض المال ؟ » فهزت المرأة رأسها وقالت : « لست اعرف احداً غير هؤلاء الناس الذين يضمهم فناء الدار ، وماذا يملك هؤلاء ؟ » وتمثل لها هول موقفها كاملاً ، فصرخت في صوت جهوري :

— عمي ، ليس لنا احد غيرك في هذا العالم !

فأجابها : « اعرف ذلك » . وتطلع كرة ثانية الى الفراش وقال في صوت خافت : « غطوه ! غطوه حتى لا يقربه الذباب . »

ثم انطلق عبر الفناء ، فسألته الجارة التي كانت ما تزال تحمل الرضيع : « هل مات اخيراً ؟ » ،

فقال الخياط : « لقد مات . »

واندفع الى الشارع مستديراً نحو الغرب حيث كان منزله .

لقد بدا له ان هذا اليوم كان احر يوم في ذلك الصيف كله . وكان من المنتظر ان تخف الحرارة بعض الشيء عند المساء ولكن الليل لم يكن أرأف بالناس من النهار . كانت الشوارع غاصة بالرجال نصف العراة ، وبالنساء اللابسات أرق الأردية ، وقد جلسوا جميعاً على المقاعد الخيزرانية الصغيرة الواطئة التي اخرجوها من منازلهم ، في حين انطرح بعضهم على حصر من القصب وغيره . وكان الاطفال يعولون في كل مكان ، والأمهات يهوين لصغارهن بالمراوح وهن جزعات من ذلك الليل الطويل .

وشق الخياط طريقه وسط هذا الزحام ، وهو مطرق الرأس مكلوم الفؤاد . كان التعب قد بلغ منه مبلغاً عظيماً ولكنه لم يحس بالجوع ، على الرغم من أنه لم يطعم شيئاً سحابة ذلك اليوم . والواقع انه ما كان يستطيع ان يأكل ، حتى عندما بلغ تلك الغرفة الوحيدة التي تؤلف منزله ، وحتى بعد ان اقبلت زوجته المسكينة البلهاء — التي لم توفق الى ابقاء اولادها على قيد الحياة — من الشارع متثاقلة لاهثة ووضعت على المائدة إناء من

مسابقة « الآداب » للقصة

تقيم مجلة « الآداب » مسابقة للقصة يحق لجميع ادباء البلاد العربية ان يشتركوا فيها بالشروط التالية :

١) ان تكون القصة موضوعة غير مترجمة ولا مقتبسة ولا منشورة .

٢) ان تعالج موضوعاً يهم الجماعات العربية او الفرد العربي .

٣) ان تكتب كلها باللغة العربية الفصحى .

٤) الا تتجاوز ثماني صفحات من « الآداب » .

اما الجوائز فثلاث :

الاولى : ٣٠٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها
الثانية : ١٥٠ » » » »
الثالثة : ٥٠ » » » »

تقبل القصص حتى اول شهر آب (اغسطس) من العام الحالي ١٩٥٣ .

وستتألف لجنة محكمة تعلن اسماء اعضائها فيما بعد . اما القصص الثلاث الفائزة فننشر ابتداء من عدد تشرين الاول (اكتوبر) من « الآداب » .

حساء الارز البارد ليأكله . كانت تلك الرائحة تفوح من ثيابه ، فهي تملأ خياشيمه ما تزال . وفجأة خطر بباله الثوب الحريري ، وافترض ان المرأة البيضاء وجدت هذه الريح الكريهة عليه . . ! فما كان منه الا ان نهض وفتح البقجة وجعل ينفض الثوب نفضاً ليعرّضه بعدُ للهواء على تمثال خشبي عجوز من تلك التماثيل المقطوعة الرأس والرجلين التي يستعين بها الخياطون على إحكام الصنعة وتجويدها

ولكنه ما كان ليقدر على إبقائه على هذا الوضع فترة طويلة. كان عليه ان يتمه ليقبض اجرته . فخلع رداءه وقميصه الداخلية وحذاءه وجوربه وجلس على الارض ببنطلونه . وكان عليه ان يحاذر ، في مثل هذا اليوم القائظ ، ان يصيب عرقــه الثوب فيلطخه . من اجل ذلك احضر منشفة رمادية ولفّ بها رأسه لتلتقط حبات العرق المتصبب منه ، ووضع خرقة على الطاولة ليمسح بها يديه بين الفينة والفينة ...

وفيما كان يخيط الثوب في تؤدة ورفق ، خشية ان لا ينال رضا السيدة البيضاء، استغرق في التفكير في الذي يستطيع ان يفعله . كان عنده مساعد في العام الماضي ، ولكن السوق كانت كاسدة الى درجة حملته على تسريح الغلام ، ومن ثم لم يبق له غير أنامله العشر يخيط بها . ولكن ذلك ما كان شراً كله ، لان الغلام ارتكب من الاخطاء ما جعل السيدة البيضاء تلح قائلة : « يجب ان تخيط الثوب بنفسك ، لا ان تدفع به الى ولد صغير ليتلفه . » اجل ، ولكن أيستطيع بهذه الانامل العشر وحدها ان يطمع في انجاز ثوب لها جديد في ثلاثة ايام — على افتراض ان عندها مشروع ثوب حريري آخر — وبذلك يتقاضى عشرة دولارات اجراً على الثوبين ، فيشتري بها تابوتاً وينتزع وعداً بالحصول على عمل جديد ...

ولكن لنفرض انه لم يكن لديها فستان جديد تعهد اليه في خياطته الآن ، فما الذي يستطيع ان يفعله في تلك الحال ؟ ما الذي يستطيع ان يفعله غير اللجوء الى احد المرابين ؟ ومع ذلك فانه لا يجرؤ على هذا . إن اللجوء الى المرابين يفقد المرء صوابه، لأن الربا يهجم عليــه باسرع مما يهجم النمر ، فاذا بالمبلغ الذي استدانه يصبح مثليه او ثلاثة امثاله بعد اشهر قليلة . ثم انه بعد أن يدفن التابوت يتعيّن عليه أن يأتي بالمرأة الثكلى واولادها الثلاثة الى هنا . وليس ثمة غير هذه الغرفة المفردة لهم جميعــاً . وفرك قلبُه بعض الشيء عندما ذكر الاولاد ، ولكن رعدة عنيفة ما لبثت ان اخذته عندما فكر في انه امسى مسؤولاً ، منذ اليوم ، عن إعالتهم ...

وانتصف الليل ولمّا ينجز الفستان . لقد بقي عليه ان يصنع عقدة العقد : الكشكش اللعين . وبحث عن كتاب الازياء وأمعن النظر فيــه على أضواء قنديل الكاز التنكي الصغير المرتعشة . وإذن فهكذا يجري الكشكش ، وههنـا يستدير . انه كشكش طويل واسع ذو مثانٍ ملزوزة لزاً . وانبرى لعمل الكشكش بثمانيه الدقيقة ، ويداه ترتعشان من التعب . إن زوجته لتغط في فراشها الآن ؛ وليس في ميسور شيء ان يوقظها من سباتها ، حتى ماكينة الخياطة ذات الصوت المزعج التي كان يثبت بواسطتها الكشكش في عناية وحذر . وارتفع الضحى ، ولم يبق عليه غير لفق الحاشية بيده ، وإعداد مكواة الفحم لكي ّ الثوب نهائياً . وإذن ففي استطاعته ان ينام فترة قصيرة من زمان ، فيريح عينيه المجهدتين ، لينهض بعدُ فيتمّ عمله . وكذلك علق الثوب على التمثال الخشبي ، واستلقى الى جانب زوجته ، وغرق لتوّه في نوم عميق .

ولكنه لم ينم طويلا . فنهض في الساعة السابعة واستأنف عمله حتى الظهر تقريباً عندما توقف ليتناول طعامه الذي عافته نفسه مساء البارحة . وهكذا أنجز الفستان آخر الامر . لقد استغرق إنجازه وقتاً أطول مما احتسب ... وتطلع الى الشمس بنظر شزر . أجل ، إن في إمكانه ان يبلغ البيت مع الظهر . فليسرع ما استطاع الى الاسراع سبيلا . ذلك بانه يريد ان يتفادى غضب السيدة خشية ان ترفض تكليفه عمل الثوب الآخر . لا . ينبغي ان يحصل على هذا الثوب بأيما وسيلة . وعندئذ يفرغ لخياطته بعد ظهر اليوم وطوال ساعات المساء فينجزه في اليوم التالي . واستروح الثوب المخيط في قلق واضطراب . لقد علقت به بقية من رائحة ... فهل تنتبه السيدة اليها ؟ ...

ولكنها لم تنتبه لحسن الحظ . كانت غارقة في ذلك الكرسي الغريب المتحرك على الشرفة ؛ فألقت على الثوب نظرة فاحصة ثم تساءلت بصوت عال مفاجيء ، على طريقتها : « انتهى كله ؟ »

فأجاب الخياط في ضعة : « نعم ، يا سيدتي . »

— حسناً ، سأذهب وأقيسه .

وقصدت السيدة الى غرفتها ، فأمسك الخياط انفاسه ووقف ينتظر . لعلها وجدت رائحة ما ، تفوح منه ؟ ولكنهـا رجعت اخيراً ، لابسة الفستان ، وعلى وجهها انطباعة من الرضا، ولكنه رضاً متحفظ ، غير مغالىً فيه . وسألت في غير ما مجاملة « كم؟ »

فتردد باديء الامر. ثم قال: « خمسة دولارات، يا سيدتي، اذا سمحت . » حتى اذا رأى عينيها الغاضبتين اضاف مسرعاً : « فستان حريري... خمسة دولارات... اذا سمحت يا سيدتي. إن اي خياط يتقاضى على الفستان الحريري خمسة دولارات ! »

فقالت السيدة : « كثير جداً، كثير جداً . لقد اتلفت قماشي ايضاً. » ولكنها دفعت اليه الدولارات الخمسة في امتعاض. فتناولها منها، محاذراً ان يمس بيده يدها، وقال في ادب بالغ: «اشكرك، ياسيدتي.» ثم إنه جلس القرفصاء، واخذ يربط بقجته، واصابعه ترتجف. يجب ان يسألها الآن. ولكن كيف السبيل الى ذلك؟ ما الذي سيفعله إذا رفضت؟.. واخيراً استجمع شجاعته، ونظر إلى أعلى في ذلة وضعة، ولكنه تحاشى ان تقع عيناه على عينيها، وقال: « هل عندك اثواب أخرى أستطيع ان أخيطها لك، يا سيدتي ؟ »

وأمسك أنفاسه في انتظار الجواب، وشرع يحدق الى الجنينة المنوّرة. ولكن السيدة كانت قد استدارت في اتجاه غرفتها لتنزع الفستان عن جسمها. حتى إذا رجعت اجابته في جفاء: « لا. ليس عندي جديد! إنك تسبب لي متاعب كثيرة. لقد أتلفت قماشي. وعلى كل حال فما اكثر الخياطين الذين يتقاضون اجوراً أرخص ولا يزعجون الزبائن مثل هذا الازعاج.. »

وفي اليوم التالي التقت مسز « لو » صديقتها مسز نيومان في حفلة السمر بالقنصلية، وكانت مستوية على كرسيها تراقب الوجوه البيضاء وهي تلعب على المرج لعبة الكرة والصولجان. فلمعت عينا مسز نيومان الزرقاوان الباهتتان، بعض الشيء، لدن رؤيتها الثوب الجديد وقالت في شوق واهن: «لقد حصلت على ثوبك الجديد آخر الأمر. الحق اني لم اعتقد لحظة انك ستوفقين الى ذلك. لقد عمل لك الكشكش في براعة وفن، أليس كذلك؟ »

وخفضت مسز « لو » بصرها متأملة صدرها الضخم. كان الكشكش يبدو آية في جمال الصنعة، وحسن الكيّ، فأجابت في ارتياح: « أجل انه رائع، اليس كذلك؟ والواقع اني سعيدة بما استقر عليه رأيي آخر الامر، في ما يتصل بالكشكش. ثم ما هذا الرخص ؟! تصوري يا عزيزتي ان اجرة الفستان مع هذا الكشكش كله لم تتجاوز خمسة دولارات! يعني اقل من اجرته في اميركا بدولارين اثنين! وماذا بعد؟ أوه، نعم؛ لقد أتاني به عند تمام الساعة الثانية عشرة كما فرضتُ عليه ان يفعل!... أليس في ذلك مصداق لما قلته لك سابقاً : يجب ان يكون المرء حازماً مع هؤلاء الخياطين الوطنيين!... »

من القراء وإليهم ...

هذا باب جديد تفتحه « الآداب » وتنشر فيه مقتطفات مما يوافيها به قراؤها الكرام من مقالات وقصائد ، بقدر ما يسمح المجال .

شجرة التوت

[اجتثتها يد القدر فجأة ذات مساء]

أهكذا انت؟ لا زهرٌ ولا ثمرُ ولا ظلال على المكدود تنهمر
ولا غصون يزقّ القلب قبلتها ولا الحمائم بالأوراق تستتر
كم لي بقربك أفراح معربدةٌ والف صبح وليل ضاحك نضر
وهمسة من شفاه كدت اعبدها وكم ترنَّح في آهاتها وتر
ماذا دهى «التوتة» العذراء هل شربت
كأس المنيــة اذ طافت بها الغير
ام انها سئمت ليـــل الوجود فلا
ترجو الصبـاح ولا الاشراقَ تنتظر
اين المفرّ اذا ما عضّني ألمٌ وسال دمع المآقي واعتدى البشر
بمن ألوذ؟ وجرح فيك يجرحني وما السبيل وقد أودى بك القدر؟

زحله — محمد شمس الدين

غريب

ايتهـــا الحسناء يا ساحره ! ما انت الا روحي الشاعرهْ
فاستلهمي الحانك الثــائره لتهتدي اسماعنـــا الحائره
وتصرعي هذا الأسى والنحيب وتطربي في الروضة العندليب

☆

قدمات في حلق الوجود الصداح وجفت الأزهار حتى الأقاح
وارتقب الكون شعاع الصباح لكنه لم يَبْدُ فيه فصاح :
« اين النهار الحلو يا عندليب؟ فقد سئمت الآن ليلي الكئيب»

جبله — سوريا — محمد عدنان حسين

لمياء ...

لمياء يا جارتي كفّي ، فقد عصفت
بي الشجون أسىً والبوح أبكاني
ان تسأليني فلي قلبٌ أضرّ بـه
فيض الحنين الى ربعي وخلاّني
اندى ليالي الصبا ضيّعتها ... وأنا
أطوي على الحلم المعسول أجفاني

حماه — وحيد عبود

عرفان

بادت كل القلوب معفرة في الرماد رغم اسمها المقدس .

إن أجنحة العذاب ترفرف حول قلبي الجريح

أيها الصديق ! هل يمكنك انْ تعرف كم بقي من حياتي ؟ فان قلبي يحترق

ما أبدع منظر الحريق عن بعد ، حين يكون الليل ساجياً !

ايها الصديق ! ارفع عن رأسها تاج الزهور ، فان النار التي تحرق قلبي ، أخشى ان تفسد براعمه .

ايها الصديق ! ابعدها عني ، فاني جبان ، وفي نظراتها العميقة ، قوة جبارة كنشوة النصر للجندي البطل .

ايها الصديق ! اطلب لي منهـا الغفران ، دعها تسامحني فاني تائب ، وفي توبتي ايمان وخشوع .

لن اعود بعد الآن حجر عثرة في طريق سعادتها ،

انما سأكون صخرة ترقى إلى سماواتها المنشودة

سأكون تمثالاً خالداً يمجد فيها العظمة والأنوثة .

وكسرب من القطا ، ألحّ عليه الحنين ، فآب إلى اعشاشه طائراً لا ينام

لأضربنّ بقلبي في مجاهل البيد دون ان أحط الرحـال

تحية وعرفانا .

حلب — خلدون كرزون

ثم لاح الصباح ...

وجمعنا في مقلتينا رذاذ الأنجم الخضر أدمعاً من ضياء
نمضغ الصمت في يدينا نشيداً ذهبياً مرقق الأصداء
كم غسلنا بها دروب لقانا من بقايا حوالك دكناء

☆

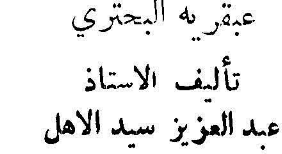
ومشطنا جدائل القمر الشقر بأضواء فجرنا الأرجواني
وعلى أضلع الصباح نشرناها مخدّات زنبق وسنان

☆

ورجعنا في راحتينا ادكارٌ من عبير، هيا سلال الربيع!
حملتها مباخراً موقدات في فتات من النهار الصقيع
تلفظ العطرَ أنهراً من بخور خاثرات ورواسباً من شموع

العراق — كاظميه — عبد الرضا السطعان

النتاج الجديد



عبقرية البحتري
تأليف الاستاذ
عبد العزيز سيد الاهل
منشورات دار العلم للملايين

سبق لي ان قرأت للاستاذ عبد العزيز سيد الأهل كتاب « عبقرية ابي تمام » وودت آنذاك ان اسجل خواطري ولكن اسباب العيش اليومي حالت دون ذلك .

اما وقد صدرت عبقريته الثانية فقد وجدتني مدفوعاً الى الكتابة بغمرة من هذا الاحساس الحلو الذي ترف به النفس والاعطاف حين تقع العين على مثل ما وقعت عليه في هذا الكتاب .

لقد حاول المؤلف ان يستعرض في صفحات قليلة حياة الشاعر وفنه ثم مشهوراته فوجد من قلمه وجودة اختياره وحسن تنسيقه ما ساعده على تركيز هذا كله في نحو عجيب معجب .

حدثنا عن مغامرات البحتري في حقل الشهوات والمتع ثم مزاجه واحتياله على اسباب الشهرة والعيش وعلاقته باستاذه ابي تمام ثم إجماع الناس على تقديره . وقد وفق في هذا كله ؛ الا انني اخالفه فيما ذهب اليه من تعليل لتقلب الشاعر في علاقاته بالخلفاء والممدوحين وشدة اعجابه بنفسه . فوجد ذلك فيما اسماه « بالمزاج الحاد » وقد كنت احب ان يتعمق الاستاذ في دراسة مجتمع البحتري والاوبئة النفسية العامة التي طغت على الناس آنذاك . انه مجتمع تعاقبت عليه الهزات السياسية والغزوات الفكرية والاجتماعية حتى كاد يصيب الناس من ذلك انشداه متتابع . فلا يضيقون من آثار هزة يُغتال بها خليفة ويعزل آخر حتى تستشري فيهم مفاتن المجون ومتارف الفسق ومذاهب الفلسفة المتطيرة المتشائمة . ولا غرابة في ذلك فقد كان مجتمع البحتري يصطخب باشتات من الافكار والشعوب والانقلابات السياسية وهي ميزة القلق النفسي والخلقي الذي يحسّ به ابناء الحضارة حين يشعرون بفشل القيم الاتباعية التي كانوا بها يؤمنون . ومن نتائج هذا النوع من القلق ما اسماه احد الكتاب الفرنسيين « مرض العصر » . والبحتري من بين معاصريه واحد من هذه الآلاف التي تزحف من الارياف والملحقات وفي خيالها ثروات العواصم والحواضر الكبرى وامجادها وشهرتها . فاذا ما استقر افرادها فيها ضاع اكثرهم في غيابات مدها وجزرها وبقي اقلهم مرتكزاً الى طرف هيأه لها حظ او وفرتها له عبقرية . ولكن هذا او ذاك يخسران سذاجة الريفي وجمال نفسه ويغزوها تشاؤم المثقف وقلقه وطماعيته ثم استخفافه بالقيم الاخلاقية .

كذلك نستطيع ان نفسر موقف البحتري في تقلبه وتلونه . انه ظاهرة نفسية خلقية . اما ما يسميه المؤلف « وفاء للمتوكل » فانني اجد فيه تريث المتربص وضعف ثقته بقدرة المتآمرين على الامساك بزمام الحكم . لا سيما وان مثل هذا الحادث لم يكن قد عُرف بعد في تاريخ السياسة العباسية . ولما وجد البحتري ان الاحداث قد استقامت للحكام الجدد ، وان ردة الفعل لم تحدث كما كان ينتظر ، سار مع السائرين غير متحرج ولا متأثم . ثم تتابعت الحوادث بعد ذلك ممكنة لهذا اللون الجديد من الحياة ومساعدة على إضعاف القيم الاخلاقية وابعادها عن حساب الناس وظنونهم في حقل المعاملة والعلاقات الاجتماعية والسياسية . وكيف لا يكون ذلك وقد عاصر البحتري تسعة من الخلفاء خلال نيف وثلاثين عاماً ، بين معزول ومقتول ومبعد عن السلطان الفعلي .

ثم انتقل المؤلف الى الفصل الثاني فحدثنا فيه عن مسالك طريقة البحتري . فكان حديثاً ممتعاً ودالاً في الوقت نفسه على عميق ادراك المؤلف الجليل للقيم التعبيرية واللفظية ، وقد اوفى على الغاية حين بحث في تنضيد المعاني ومعراج الرقي وما اسماه « باللنظ مع اللفظ » .

ورجائي ان يسمح لي بمشاركته في وضع البحتري موضعه من هذه الناحية ، فالبحتري شاعر الحضارة المترفة التي تتجسم في اللفظ السمح والتعبير المونق والصورة الواضحة الحلوة كما تتجسم في جمال العمران وتنسيق الغدران وملاعب الفتيات والفتيان وقصور كأنها بناء الجان . والى جانب هذا الجمال الذي يظهر في حقل الادب تجانساً جميلاً وتنضيداً للمعاني موفقاً ، نجد السطحية في التفكير والرتابة والسذاجة في الطباق والتجنيس ، ولا سيما الطباق الذي هو في نظري محك الالتماع في خيال الشاعر وذهنه . وطباق البحتري يخلو من التجديد

والعمق والتعقيد الذي يمليه فكر نير وثقافة غنية ويحيطه بما أسماه الدكتور شوقي ضيف « بالغموض الفني » .

والمعروف ان البحتري قد حاول تبرير عجزه والدفاع عن طريقته بان صب هجومه على ناقديه وخصومه في قوله :

كلفتمونا حدود منطقكم   والشعر يغني عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق   ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي إشارته   وليس بالهذر طولت خطبه

فاستشهاده بذي القروح حجة عليه لا له . فقد كان امرؤ القيس يصور بيئته وقد نجح في ذلك نجاحاً أثار الناس وأعجبهم. اما البحتري فقد عاش في بيئة غير بيئة سابقه ، وأحاطت به ملابسات جديدة كان من المفروض فيه ان يرتكز اليها في نظم شعره وإبراز أصالته الفنية المتحضرة المثقفة . ولئن جاز ان اقارن البحتري في شعره السهل الممتع الذي يثير به اعطاف القارىء ويغزو خياله في سرعة ويسر ، بأبي تمام في شعره الذي جعل الفلسفة والثقافة مرتكزاً اساسياً له واستغلها وسيلة إلى تعقيد نتاجه وتعميقه وتسجيل القيم الفكرية في صوره اللونية والتجسيمية وفي طباقه وجناسه ، إذا جاز لي ان اعقد مثل هذه المقارنة فمن الممكن ان اعتبر فن البحتري شبيهاً بهذه الموسيقى الراقصة الحلوة التي يستجيب لها الجسد في حركات موقعة تثير في النفس روحاً وطمأنينة وخيالات مسلية لذيذة ، ولكنها لا تنمي الشخصية او تعمقها ، كان من الممكن ان اعتبر فن ابي تمام شبيهاً بالموسيقى الاتباعية التي لا تقصد فيما تقصد هذا التوقيع الساذج الحلو الذي يتناول النفس في سهولة ويسر بل تتخذ لنفسها طرقاً معقدة غامضة تغوص فيها على معاني الحياة في ادق لفتاتها والحقائق في اغمض حناياها ثم تخرج الى السامع وقد ألبست جواً من الغموض والتشويش الخارجي الذي تستثقله الأذن بادىء الرأي حتى اذا تعمقها الذهن ولمس مناطق الجمال فيها واكتشف اسرار تعبيرها وقع منها على صيب لا يتناهى مدده من الجمال والثروة والأصالة .

وها أنا اورد للمؤلف الكريم نصاً اخترته في غير قصد قاصد لكل من الشاعرين فيتضح له ما عنيته . يقول البحتري :

مني وصل ومنك هجر   وفيَّ ذل وفيك كبر
قد كنتَ حراً وانت عبد   فصرتُ عبداً وانت حر
انت نعيمي وانت بؤسي   وقد يسوء الذي يسر

فهل يجد الاستاذ في هذا الطباق ما يدل على عمق فني خاص؟ وهل يرى فيه غير تقطيع لفظي وصوتي ؟

وهاك ابا تمام يصف حريق عمورية في قصيدته المشهورة التي مدح بها المعتصم فهو يقول :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى   يشله وسطها صبح من اللهب
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت   عن لونها او كأن الشمس لم تغب
ضوء من النار والظلماء عاكفة   وظلمة من دخان في ضحى شحب
فالشمس طالعة من ذا وقد افلت   والشمس واجبة في ذا ولم تجب

وظني ان الاستاذ المؤلف في غير حاجة الى ان اسجل له مواضع الاصالة في هذا . وان كنت اعلم ويعلم هو ان هناك نصوصاً اخرى كثيرة تصور بقوة اصالة الشاعر المثقف المتحضر النموذجي .

واني استمحيه عذراً لهذا التطويل فقد احب ان يعالج هذا الجانب من فن البحتري ، لانه يظهر مدى استجابة الشاعر لمطالب البيئة المثقفة والمجتمع المتربع على قمة التطور .

اما الفصل الثالث الذي استعرض فيه المؤلف مشهورات الشاعر وجانباً من حكمه واوصافه ، فلست اظنني في حاجة الى التعليق عليه بخير من ان أهنئه على حسن انتقائه وصواب استنتاجه ودقته في معالجة الابحاث شأنه فيه هو نفسه في الفصلين السابقين .

اما اسلوب المؤلف فهو اسلوب مجوّد يصح ان نجد فيه نموذجاً حياً للابحاث الادبية . ورجائي كبير ان يعتبر ما كتبت مشاركة مخلصة في توضيح جانبين من جوانب فن البحتري العظيم وشخصيته .

رمضان لاوند



١ — ديوان الملاط

للشاعر شبلي الملاط

لا ادري إذا كان احد من الجيل الجديد يعتبر الملاط اليوم شاعراً ، بيد ان الملاط كان شاعراً في الماضي ، شاعراً عربياً أصيلاً ، يمثل شعره القوة والجزالة والاخلاق العربية النبيلة .

كان شاعر العروبة في لبنان وانشودة الارز المفدى ؛ ناب عن وطنه في عدة حفلات عربية ، فكان له في كل بلد من بلاد

العرب وقفة وصوت يذهب له في العالم دوي يوفع من اسم لبنان ، ويهتف بنبوغ ابنائه ، أيام كان لبنان معقل الحركات العربية ومنطلق كل نهضة في هذا الشرق العربي الذي يدين لهذا الوطن برؤيته النور .. هذا الوطن الذي كان في مطلع هذا القرن منارة هدي وسماء وحي، يطلع منها الشعراء والمفكرون امثال مطران وشبلي وفياض والاخطل والشميّل وغيرهم .

نشأ الملاط في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، الوقت الذي كان فيه الشعر مجرد أوزان ، يحاكي بها نظاموها أساليب القدماء ، ويصبون فيها قوالب من التعابير جمدت فيها الحياة وتعطل الحس فأصبحت جوفاء لا تومىء بحركة ولا تقصد الى مدلول بل جلّ هدفها ان تكون « معجزة بلاغية » كهذه المعجزة التي اثبتها الشاعر في مقدمة ديوانه لأحد أئمة البيان في ذلك الزمان وجاء فيها :

« الشعر قول ثقيل .. وعبء عقلي باهظ .. لا يستقل به سوى الخناذيذ القرّح .. والمغاوير السبّق .. ولا يجيده الا الناخعون الكمّل .. اولو القوة الباهرة .. والمنة الوثيقة التي لا تتاح الا للآحاد ولا يؤتاها الا الافراد » الى آخر ما جاء في هذه المعجزة .

في هذا الجو وعلى يدي امثال هؤلاء الكتاب « البلغاء » السبّق الخناذيذ الناخعين الكمّل نشأ شبلي الملاط، فراح يطبع على غرارهم وينشر قوالبهم ، حتى بلغ في ذلك مبلغاً فاق فيه من عاصره وحملهم على الاعتراف له بالاصالة ومتانة الديباجة ، والحبكة والرجولة والشموخ . غير ان شاعرنا لم يكتف بما وصل اليه من تقليد القدماء فحاول جاهداً — يعلم الله — ان يجدد في الشعر فطرق باب القصص وحمل نفسه على الخروج من حظيرة التقليد فكان له فضل البدء باليقظة التي مهدت لنا الدرب.

ومن الظلم الفادح ان نقيس شعر شبلي الملاط بمقاييسنا الحاضرة فهو شيخ يجاوز عمره السبعين عجز عن اللحاق بالركب فأعطانا هذا الديوان الذي هو بمثابة وثيقة تاريخية ندرس فيها حياة عصر سابق كان فيه شاعرنا يعدّ بين فحول الشعر في العالم العربي أمثال شوقي وحافظ ومطران وسواهم .

٢— مصرع الديموقراطية في العالم الجديد

منشورات «دار العلم للملايين» — ١٦٠ ص

هذا كتاب من سلسلة كتب مبسطة لنشر الثقافة العامة ، اختار موضوعاتها ونقلها الى العربية الاستاذ منير البعلبكي وتولت القيام بنشرها « دار العلم للملايين » .

طبع الكتاب اول مرة سنة ١٩٥٠ ، واعيد طبعه خمس مرات في مدة لا تزيد على السنة ، كما نقل الى اكثر اللغات الحية . مؤلفه كاتب امريكي مشهور شاهد «مصرع الديمقراطية» في مهد الديمقراطية ، وانكر على بلاد الحرية خنق الحرية خنقاً لا رحمة فيه ولا هوادة فشهد في كتابه هذه الشهادة على الاهوال والمتاعب وألوان التعذيب التي اصطنعتها وتصطنعها الحكومة الامريكية لمعاقبة كل من تشمّ منه رائحة التمرد على نظامها أو التنفس في الهواء الذي يهبّ من غير أرضها .

وفي فصول رهيبة موجعة يقص عليك الكاتب «ألبرت كان» قصة هذا الصراع العنيف — الذي يرجع تاريخه الى عقب الحرب الكونية الاولى بل الى فور توقيع هدنة ١٩١٨ — بين قوى الرجعية والظلام وقوى التقدم والنور .. بين الشعب الاميركي الذي تخيل انتهاء الحرب مطلاً لفجر السلام وامتداده على الارض .. ورأى في كلمات ولسن شعاع خير واطمئنان وبركة ، وبين اولئك الصناعيين المشتغلين بالسياسة والمتاجرين بالحرب .

لقد هالت هذه الحال زعماء الحرب فاعلن لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني في مذكرة سرية : « ان اوربة تغلي بروح الثورة. والواقع ان النظام القائم اليوم بمظاهره السياسية والاجتماعية والاقتصادية جميعاً ، امسى موضع شك الجماهير من اقصى اوربة الى اقصاها » فكيف السبيل الى خنق روح الثورة والاحتفاظ بالوضع الراهن ؟

السبيل الى خنق روح الثورة والاحتفاظ بالوضع الراهن تلقاه في كتاب « مصرع الديموقراطية » الذي يصف لك النشاط الضخم الذي تقوم به وزارة العدل الاميركية ضد الاحرار ؛ ويقدم لك تقارير عن التصرفات غير الشرعية التي ارتكبتها هذه الوزارة — وزارة العدل — ثم يبين تلك الطرق الشيطانية التي اصطنعت لتعذيب الرجال في « فورت واين » مع نزلاء غرف العقاب ، وكيف تنسف بيوت الزعماء النقابيين او تحرق في مدينة بعد اخرى من قبل الفرقة السوداء « التي تقترف جرائم القتل لشهوة القتل ليس غير » ، ويلج بك من ثم الى داخل امبراطورية فورد ويطلعك على اعمال كتائبه المسلحة لتشاهد بنفسك اي ارض تتلقى ظهور العمال المعذبين المضطهدين مهيضي الجناح، ويصور لك كيف تقتبس واشنطون «اساليب الطغيان

النازي باقرار مرسوم الولاء الذي ابتدع لكبت الحرية الفكرية تحت ستار القضاء على الخطر الشيوعي في الوطن » ، فلا يسعك بعد ان تقرأ هذه المآسي الا ان تكفر بالحرية الديمقراطية وبتمثالها وبكل ما يتلفظ باسمها ، لكنك تظل مع ذلك مالكاً نفسك حتى تبالغ الفصل الذي كتبه المؤلف عن مأساة الزنوج ،فيسيطر عليك الرعب وتمسك الصاعقة عندما تعلم « ان واحداً من كل عشرة امريكيين محكوم عليهم منذ ساعة الميلاد بأن يظلوا طوال حياتهم مواطنين من الدرجة الثانية ، مواطنين خاضعين لأبشع ضروب الكبت والاضطهاد والمهانة » . ثم تضيف الى هذه المعلومات معلومات اخرى تبين لك « ان اضطهاد الملونين هو في الواقع جزء من سياسة الدولة » .

هذه هي امريكا وتلك هي اعمال القوى الرجعية التي تعمل على شن الغارة على حركة تقدمية حرة مما حمل النائب مايرلندن ان يقول في خطاب له بالكونغرس سنة ١٩١٩ :

« سيدي الرئيس ! ان شبح الشيوعية ليتهدد العالم . وان كل من تلقاه سياسياً كان ام واعظاً ام صحافياً ام رجل اعمال ليحدثك عن هذا الخطر ، ولكن أسوأ ما في الأمر ان كل فكرة جديدة، كل اقتراح جديد، كل نزعة تقدمية جديدة غدت تنبز للتو والساعة بلقب الشيوعية وهكذا لم تعد ثمة ضرورة لمناقشة أيما رجل يدعو الى فكرة جديدة . بحسبك ان تقول : هذه شيوعية وينقضي الأمر » .

هذا ولن اترك القلم قبل ان اهنيء الاستاذ البعلبكي ناقل هذا الكتاب على براعته في الترجمة وإتاحته الفرصة للجماهير العربية لتتثقف ثقافة توجهها وتزرع النور في دروبها .

احمد ابو سعد

شاعران ..

– شبابُها وقلبي –

... وتغمزُ جارتي ، أتقولُ شعراً ؟
فلم أنبِسْ ، كأنَّ الامرَ سرُّ
وتسألُ ، ان أقولَ الشعرَ ، فيها ؛
وملتُ بها ، أُتمتمُ : أنت شِعْرُ
على شفتيْكِ ، متَّكأُ المعاني ،
وفي الهُدْبَيْن ، قافيةٌ ، وبَحْرُ
ونهدُكِ – آه ظلُّ النهد – حلْمٌ
تفتَّحَ في الصدار ، فقيلَ فجْرُ
دَمُ العشرين ، منطلِقٌ ، يُغنِّي ؛
كما غنّى ، مع النسَماتِ ، زَهْرُ
خُطىً ، نغمٌ ؛ وخصْرٌ مستجيبٌ ؛
سَرَى ، فالأفقُ ، أنَّى سرْتِ ، خمْرُ
فامَّا قلْتِ ، بْرعمَ كلُّ حرْفٍ ،
وماجَ – فهلْ سقيْتِ اللفظَ – عِطْرُ

☆

برودُ المنْحنى ، والسَّفْحَ ، شعري ؛
فيعقدُ خطوَهُ ، خدَرٌ ، وسكْرُ !

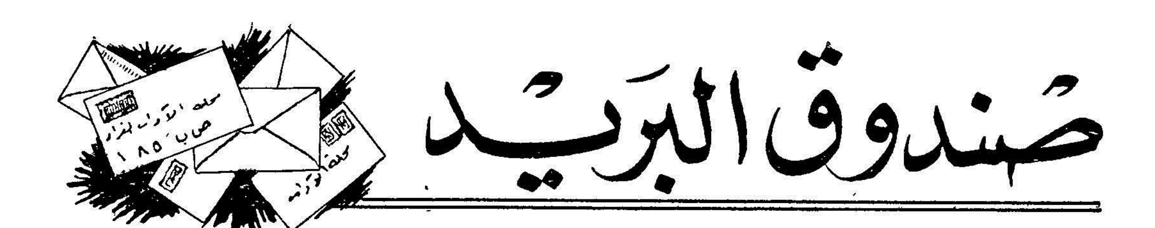
☆

أناضلُ ، في سبيلِ العيْشِ ، يوْمي ؛
وأرجعُ ، والدَّمُ المكدودُ ، قفْرُ
وتبتسمين . . . فالدنيا ربيعٌ ،
يعربدُ في دمي . هل انتِ سِحْرُ ؟
شبابي ، حالَ خلفَ دمي ، حُطاماً
ولُحْتِ . . . فالحُطامُ الميْتُ ، نضْرُ

☆

سفحْتُ الاربعينَ ، وقلتُ حسْبي ؛
فضجَّ القلبُ : هذي (الحَسْبُ) نُكْرُ
الى أنْ تنْتهي ، فضمَمْتُ قلبي ،
أُقبِّلُهُ ، وقلت : وأنتَ شِعْرُ .

دمشق **وصفي قرنفلي**



ابو شبكة يلقى اصحابه

لا ، لم يقابل اصدقاء ابو شبكة ذكراه « بصمت رهيب ونسيان دام » على حد تعبير « بهي » في تعليقه على حفلة ابو شبكه التي اقامها اهل القلم احياء لذكراه السادسة . ف « بهي » يعرف كما نعرف ان هؤلاء الاصدقاء الذين عناهم كانوا أبر بالشاعر من اهله ، وأوفى لذكراه ممن ارتجلوا حفلة الذكرى السادسة ، هذه الحفلة التي لم يجد « بهي » نفسه في وصفها . وقد كان كريماً سمحاً ، أبلغ من قوله ان ابو شبكة كان فيها «شبحاً مسكيناً لم يستطع الخطباء ان يجلوا لنا عبقريته وشاعريته وشخصيته ... الا بمقدار ! »

لا ننسى ولا ينسى « بهي » ان فؤاد حبيش كان اول من عني بتخليد ذكرى صديقه ابو شبكة فنشرت دار المكشوف ، لمناسبة ذكرى وفاته الاولى ، كتاباً ساهم فيه عشرون من اصدقائه بكتابة دراسات في ادبه وذكريات عنه ، ناهيك بما اذاعته جريدة المكشوف من فصول متفرقة عالج فيها اصحابها نواحي من ادب ابو شبكة .

فكيف يجوز ان يتهم فؤاد حبيش ومارون عبود وبطرس البستاني وميخائيل نعيمه ورئيف خوري وخليل تقي الدين ويوسف غصوب بانهم قابلوا ذكرى صديقهم الشاعر «بصمت رهيب ونسيان دام»؟

اما خليل تقي الدين فقد كان غائباً في موسكو يمثل لبنان لدى الكرملن يوم وفاة ابو شبكة . ولما عاد الى لبنان كان اول عمل اتاه انه حج الى قبر الشاعر يصحبه فؤاد حبيش وبطرس البستاني ويوسف غصوب ، ووضع على القبر اكليلاً من زهور الفصل ، وألقى كلمة اقل ما يقال فيها انها صادرة عن قلب كبير وعقل كبير .

أما الاصدقاء « المتهمون » الآخرون فنهم من كلف القاء « كلمة » في حفلة اهل القلم قبل موعدها باربعة او خمسة ايام ، فاعتذر ليقينه ان شاعراً عظيماً كأبو شبكة جدير باكثر من كلمة ترتجل في محكمة جنايات ، او ترسل على صفحة في جريدة سيارة . ومنهم من لم يتلق الدعوة الى حضور الحفلة الا بعد مرور اسبوعين على اقامتها. ومنهم من اهملت دعوته . ومنهم من لم يفكر احد في تكليفه الاشتراك في تكريم ذكرى الشاعر ...

اما وقد عزم اهل القلم على تخليد ابو شبكة بنشر مؤلفاته المنشورة وباقامة ضريح خاص به ، فعسى ان تكون محاولتهم الجديدة هذه افضل من الحفلة تلك ، فتتيح لـ « بهي » تعليقاً اطبق على الواقع واقرب الى الانصاف .

« احدهم »

دفاع عن الشباب

في افتتاحية العدد الثاني من مجلة « الآداب » الغراء ، تحدث الدكتور شكري فيصل عن الشباب المثقف في العالم العربي حديثاً سداه التشاؤم ولحمته اليأس، وخلص الى ان هذه الفئة من سكان العالم العربي تحيا حياة خمول وقناعة واستسلام ، واختتم حديثه بان شباب العرب ليسوا شباب العالم العربي وانما هم شباب يعيشون في العالم العربي ولا يعيشون له .

وليسمح لي الدكتور الفاضل ان اعارضه في هذا الرأي الجائر الذي ذهب اليه ، فان معظم الشباب المثقف وغير المثقف في عالمنا العربي من اقصاه الى اقصاه يعيشون في احوال نفسية تؤيد عكس ما جاء في مقاله وتبشر بان مستقبل عالمنا هذا سيكون حتماً افضل من حاضرنا . ان روح الشباب ملأى بالغضب والحنق والثورة على جميع الاوضاع التي تحد من اندفاعه وهي فائرة ثائرة على كل الظروف والملابسات التي جعلت من سوريا الطبيعية اربع قطع لفلذة واحدة ، والتي جعلت بين الاقطار العربية هذه السدود والحواجز التي لا يوجد مثلها بين معظم دول العالم .

ارجو ان لا ننسى انه لولا القلق الفكري لدى الشبيبة المثقفة لما كنا رأينا الانقلابات التي حدثت في سوريا ومصر ولبنان. وقد لا نكون نقدر كل التقدير الاسباب التي تمخضت عنها هذه الاحداث ولكن الجيل القادم سيدرك ان كل هذه الفورات الهائلة لم تكن الا نتيجة طبيعية للنفسية المتوثبة الهائجة لدى عامة افراد شعبنا وفي طليعتهم دون شك شبابه المفكر المثقف .

ولست بمنكر ان بين شبابنا كثيرين ممن اعمتهم المطامع الهزيلة او ممن انغمسوا في رذائل الميوعة والخمول او ممن قنعوا بالقشور دون اللباب واكتفوا بالحياة الرخيصة دون الحياة العزيزة الكريمة او اتقاء الحرص الذي يذل اعناق الرجال... لست انكر شيئاً من هذا ، وانما ارى ان الاكثرية الغالبة هي التي تتطلع دائماً وتعمل دون مهاودة على الصعود درجة بل درجات للوصول الى الغايات العليا الا وهي الاتحاد والحرية والمعرفة.

الاردن — المفرق   **سليمان موسى**

بين الحرية والالتزام

من الادباء من يصر على ان يكونوا احراراً في اختيار موضوعاتهم وفي تبني الافكار والدفاع عنها والدعوة لها ، واحراراً كذلك في مهاجمة المبادىء التي لا يدينون بها ، فيوسعون معتنقيها ذما وقدحا واتهاما . وان اتفقوا واياهم فمدحا وثناء وتمجيداً .

وقد ثبت خطأ هذا المنطق بما اشاعه من سموم بدت اعراضه في افهامنا واهدافنا وحتى في مقاييسنا ، فاصيبت حياتنا في اركانها الثلاثة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية بشلل واضطراب وتفسخ . وذلك لان الأدب ككل مرفق من المرافق يتصل بالحياة والاحياء ، ويؤثر فيها كما يتأثر بها . وذلك لان الادب وان كان مجالاً حيويا للخلق والتجديد فهو كذلك عدسة تعكس ما يواجهه ؛ ولأن نفس الأديب وان كان فيها كل امكانيات الخلق والتجديد الا انها شريط يسجل ويلتقط ما ينعكس عليه ان شراً او خيراً ، جمالاً او قبحا . ذلك لأن الأديب جزء والجزء يتأثر بالكل كما هو معروف.

اما الرأي القائل برفع الحدود وهدم السدود وحطم القيود امام الأدب ليسير كما يشتهي ويعبر عما يجب ان يعبر عنه ويصور ما يشاء ان يصور، لا يهمه انه سعى لغاية معينة او أثر تأثيراً معينا او خدم امة او نفع عدواً بصورة مباشرة او غير مباشرة فذلك من غير اختصاصه ولا هو مسؤول عنه ، لأنه حر طليق ، لأنه أدب ولا ينبغي للأدب الألتزام — ان هذا الرأي الذي يعده بعض الأدباء شرطا اساسيا يستلزم الأدب توفره للأديب ، ان صح وصلح في زمان ولمكان معينين فانه لن يصح ويصلح لزماننا ومكاننا . اما لماذا يصر بعض الأدباء على ان تبقى حركاتهم الفكرية حرة طليقة، فذلك ما لم نجد له الا تفسيراً واحداً هو ان الأديب يوم فتح عينيه فتحها على تراث

اجيال خلت . بهرته ضخامته وادهشته غـزارة مادته . فوقف مبهوتاً امام روائعه فأكب عليها يدرسها ويتذوقها ويعب من مناهلها ، حاسباً ان لا منهل سواها . وتعودت معدته الفكرية على حـد تعبـير الأستاذ رئيف خوري هضم طبخاتها . حتى انهـا لم تعد تستسيغ اي طعام لم تجن مواده من هذه الحقول ، ولم يطه بمعرفة الطهاة المتمرسين القدماء. وجدت احداث اهتزت لهـا المجتمعات وفقدت بفعلها كثير من القيم والمتعارفات قيمتها ومدلولاتها ، ونشأ جيل جديد له قيمه ومتعارفاته ومصطلحاته وكان طبيعيـاً ان يقوم له أدب بكيان جديدورسالة جديدة. وكان طبيعياً ان يقوم أدباء هذا العهد بالدعوة اليه معددين منافعه وعظم جـدواه وتفوق فعالياته . غير ان أدباء العهود القديمة لم يرق لهم هذا . إذ انـه لو نهض واستوى عـلى قدميه فانما هو يقوم على أشلائهم ويكون نهاية حكمهم في مملكتهم الخيالية.

هذه كلمة كان البـاعث على كتابتها ما قرأت وما سمعت من جدال يدور حول الأدب في عهديه الماضي والحاضر وما أريد له فيهما من التزام او اطلاق . وكأنسان أدرك ما لـلأدب من قيمة توجيهية وما للأديب من مقدرة قيادية ، رأيت من الواجب ان يهجر الأبراج العاجية ليساهم جدياً في تجنيب السفينة مخاطر الموج المتلاطم . وكقارىء عرف بالتجربة يجب ان لا يطول اكثر من هذا عهد تضليل النـاس وتخديرهم بنفثات اقلام طال بأصلاحها أمد التيه والتحليق في الأجواء البعيدة ان على الذين يشفقون على الادب من الألتزام أن يختاروا احدى تضحيتين : تضحية جهة الادباء في سبيل حرية الاوطان والشعوب ، او تضحية حرية الشعوب والاوطـان من اجل حرية جماعة من الأدباء والكتاب ! انني لا أرى من الناس ممن آمن بالنظام الديموقراطي من لا يوافقني عـلى تضحية الجزء من اجل الكل . وهل يجوز أن نقول ان الأديب يفقد حريته ان كرس جهوده ووقف تفكيره لخدمة امته وبلاده ? اذاً فالمسألة ليست مسأله التضحية بالحرية وعدمها . وإنما هي لا تعدو الشعور بوجوب حمل المسؤولية وإداء الواجب كما ينبغي او التحلل من تبعتها .

والمرحلة الخطيرة التي تجتاحنا بـلاياها اليوم تقتضي تجنيد قوانا المادية والادبية . الاديب يوجه ويدعو للجهـاد ويقود . والقارىء يقرأ ويفهم ويعمل ، ودعوة الادباء لأن يقوموا بواجبهم حسبما يقضي بـه أدب الالتزام انما هي من أجلهم وفي صالحهم ان ارادوا لأنفسهم الخلود . ولعل قائلاً يقول إن ادباء عـديدين قد خلدوا بالفعل وهم مع ذلك وجوه في أدب التحلل والانطلاق، وان منطق التأريخ يؤيد هذا القول بشواهد عديدة. وجوابنا على هذا ان ذلك كان في زمان مضى، اما اليوم فان الخلود لم يكتب للأدباء المتحللين بل انه سيكون وقفاً على الأدباء المحررين .

العراق ، النعمانية **جابر السيد حبيب**

رسالة وجوابها

حول ديوان « لكل زهرة عبير »

رسالة الكاتب

عزيزي الشاعر الكبير ،

اتأذن لي بان اشكر لك اولاً ما اتاحه لي ديوانك الاخير « لكل زهرة عبير » من متعة، وما وجدته فيه ، وانا اطالعه ، من روح شعرية اصيلة ، لم استكثرها على صاحب « عبقر »!

وبعد ، فاننا في عصر تطغى فيه المادية ويسود العلم التجريبي . فلا أطرب للآذان وللارواح من الانعتاق من قيودها ، في الحـين بعد الحين ، والانطلاق في اجواء الروح ، على رفيف نغم او حفيف شعر .

الا انني صرت الى الاعتقاد ، بعد ان عركت الحياة ، منذ ربع قرن ، بان هذه الشعوب التي تتكلم العربية هي احوج الى غير « الكلام » منها اليه ، شعراً كان او نـثراً ، او هي احوج الى كلام ، « يوجهها » الى العمل ، منها الى «كلام» يداعب خيالاً ، او يدغدغ شعوراً ، او يرضي عاطفة .

ولعلك موافقي ، من بعد ، على ان افضل ما ينظمه شاعر لقراء العربية ما كان دعوة الى اشاعة العدالة الاجتماعية ، او تبشيراً بالعـلم المنتج ، او حثاً على التضامن ، وطرح الاثرة البغيضة .

وفي يقيني ان الخلود مكتوب للشاعر الذي يستطيع ان يحول شعـور هذه الشعوب بالحاجـة الى « الكلام » الى شعور بالحاجة الى العمل .

وانت يا صديقي الشاعر ممن نعقد عليه الامل في الوصول الى هـذا الغرض ، ونرتجي عنده تحقيقه .

وفي ديوانك هذا بالذات (ومضات) من ذلك النور الذي نرجو ان يشرق علينا . « ففلاحك » صورة للعامل المجد – وان كنت اؤثر ان ينضح « جبينه » بالجهد النافـع لا ان « يبكي » ، « وراعيك » كذلك صورة اخاذة للعامل الكادح، بسبيل الخـير العام ، وان كنت افضل ان لا ينتحب الناي عـلى فمه ، بل « يزمجر » ليحمل القطيع على الثورة الدائمة ، بسبيل غد افضل من اليـوم .

وهكذا نستفيق من سبات « الخدر » الذي ران علينا ، ونمـاشي القافلة على الاقل ، قافلة الانسانية المتطورة ، بعد ان كنا في حين من الدهر من هداتها .

واليك تحيات الصديق المعجب المخلص .

رشاد دارغوث

ملاحظة :

في القصيدة الاولى « الشاعر » وفي الثانيـة « الفلاح » خطأ لا بد من تصويبه ، في الطبعة التالية ، وانني ارجو المعذرة اذا اشرت اليه في هذا الهامش .

ففي البيت العاشر من القصيدة الاولى تقول :

تالله (كم شاعر اخو) حرق
يغـص بالدمـع وهـو يبتسم

والصـواب الذي لا يخفى هو (كم شاعر اخي ...) على الجر ، بكم الخبرية .

وفي البيت الرابـع من القصيدة الثانية ورد ما يلي :

هـلا نظـرت جبينـه
(كم فيه لؤلـؤة) تزينـه

والصـواب (كم فيه لؤلؤة) بالنصب على التمييز . اذ من المعلوم ان مميز « كم » ، المشار اليها في اعلاه ، اذا فصل عنها – كما هو الحال في هذا البيت – وجب نصبه – وهو المجرور اصلا- كما سبق القول **(ر. د)**

جواب الشاعر

اخي الاستاذ رشاد.

بيدي كتابك وفيه ما فيه من رائع بيانك ، ورقيق ملاحظاتك . وانا يا اخي معك في كل ما تذكـره عن النهوص بالشعب الذي نحن منه وبالشعوب التي تنطق بالضاد . وهذا النهوض لا يكون بالكلام كما تقول بل بالعمل . والعمل يقوم بالتنشئة التربوية ، وبحزم الحكام وتأثير ارباب الاقـلام من الصحافيين والكتاب . اما الشعر فمهمته تهذيب حواشي الروح ، وتقويم نزعـات النفس ، وشحذ الشعور . وهو جناح الانسانية الآخر لا يستقيم لها جري الا متى اقترن بجناح المادة ، خوافي لخواف وقوادم لقوادم . وانني بعد ان قضيت ربع قرن في جو مادي محض، وفي بيئة لا تؤمن الا بضجيج الحديد وازيز النار ،

صرت مؤمناً ان المرء لا تخلص له المبادىء السامية والمقاصد العمرانية ، الا متى قرن العلوم المادية الى التسامي الروحي. وان اي خلل في التوازن بينهما هو مؤد لا محالة الى السقوط في المهواة.

ورب قائل يقول ان الشرقيين ارباب ثقافة روحية ، فما هم بحاجة اليها ، فاقول ان الشرقيين - لا سيا في شرقنا العربي - هم احوج العالمين اليها في هذا العصر .

اشكر لك ملاحظتك على « كم الخبرية » ، ولئن كنت قد رفعت بعدها مخفوضاً ومنصوباً ، فارتكازاً على قاعدة لغوية ، تقضي بالخفض والنصب والضم وهي قاعدة : « كم عمة لك ياجرير وخالة » ويجوز فيها الثليث كما ذكر ائمة اللغة ، دون ان يخصصوا هذه الحالة بفصل او بوصل . وقد فعلت ذلك جرياً مع ذوقي الموسيقي الخاص، موفقاً بين آخر « أخو » واول « شرق » . غير ناصب « لؤلؤة » لانني أردتها مبتدأ الخبر ، لا تمييزاً لعدد .

اكرر لك شكري . حياك الله وابقاك للأدب .

شفيق معلوف

حب الظهور ...

الكسل الفكري ، والسطو على نتاج الآخرين ، مع ضحالة في الثقافة ، وقصر في التفكير ، وتأخر في مستوى المعرفة ، ظواهر خطرة في مجتمعنا اليوم ، ابتلي بها بعض الشباب ، واصاب شرها القارىء العربي .

ولعل ذلك راجع الى تشجيع معظم الصحف للساقط من القول ، والسقيم من الرأي . ترسله اقلام جف مدادها ، ونضب معين ثقافتها .

او لعله يعود لبعض دور النشر والطباعة ، لأخراجها كتباً تخدر الافكار ، وتضايق النفوس وتميت القلوب ، دون مراعاة لذوق القارىء ونفعه وفائدته . وآخر ما وقع عليه النظر قضية كتاب الحركات الفكرية في الاسلام، لمؤلفه المرحوم (بندلي جوزي) الذي اشار اليه الاستاذ نجاتي صدقي في العدد الماضي من (الآداب) . وقد انتحله باسمه السيد مصطفى الحاج واخرجه لنا دون الاشارة الى مؤلفه !

والمعروف لدى المتتبعين لشؤون الثقافة والعلم إن شخصية المؤلف - السابق - لا - اللاحق واضحة المعالم في كافة الاوساط العلمية - اذ ان له غير هذا السفر كتاباً نادر الوجود وهو (الامومة عند العرب)

وقد كنا نود جميعاً ان لا يقع السيد مصطفى في مثل هذه الجريمة الادبية الانسانية،في الاعتداء على حقوق الآخرين وهم اموات في دنيا الخلود. غير انه كما يبدو قرأ قول الشاعر :

امن سرق الخليفة وهو حي
يعف عن الملوك مكفنينا ?

محسن جمال الدين

الى الاستاذ محمد النقاش

لا يسعني يا سيدي بعد ان قرأت مقالك « تجارب الديموقراطية العربية » الا ان اهنئك، حقاً لقد كانت تلك الديموقراطية الشوهاء اغلالاً تكبل شعوبنا وتمنعها من التحرر والانبعاث ، فاحر بكوبنا جميعاً ان نذم ذلك الكابوس الذي جثم على اعناقنا فترة طويلة من التاريخ .

ولكن لست ادري كيف انتقلت الى ربط الانتفاضات الشعبية ونتائجها بضرورة مد يد الصداقة الى الغرب و « كفاءاته » و « رؤوس امواله» بعد ان ذكرت من مساوئه ما ذكرت... هل نسيت اساءات الغرب وجرائمه في فلسطين ومصر وتونس ومراكش وغيرها ، حتى تقول لنا « اننا لا نعيش في العالم على حدة ، فيجب ان نمد ايدينا الى الكفاءآت الفنية ورؤوس الاموال الغربية ، وان نفتح لها صدورنا ، وان نكبت في هذه الصدور كل ما اكنته من حقد وضغينة على الاقوياء الاجانب ، الذين استثمرونا وعبثوا بنا في الماضي » ?

يا سيدي . دع الغرب ودع رؤوس أمواله فقد آن لنا ان نعي ما قاله فيها هربرت سبنسر « الارتهان يجر المراقبة ، والمراقبة تجر المشاكل ، والمشاكل تجر الاستعمار » ثم ألسنا نرى ما كان من نتائج رؤوس الاموال الغربية هذه في شرقنا الذي ما يزال الى اليوم يناضل للخلاص من قيودها ? وهذه ايران أليست خير دليل على ما اقول ?

لقد استيقظت الشعوب العربية من رقادها ، وهبت جموعها تناضل لتتحرر وتبلغ ما تصبو اليه من سيادة وتصل الى ذرى المجد والعز ، وهي لما تصل ، ولكنها لن تقف حتى تصل .

كارول خوري

ملاحظتان

١ - يقول الدكتور عمر فروخ في «استفتاء الآداب » بالعدد الماضي بعد ان اشاد بقصص محمود تيمور « ... اما القصة الطويلة فانها لم تستتم بعد في الأدب العربي... » وإني لأسأله ، هل قرأ قصصاً طويلة لكاتب مصري يدعى « نجيب محفوظ » وهل قرأ قصصه الممتازة « سراب » ، « زقاق المدق » ، « خان الخليلي » وغيرها ? انني اعتقد ان معظم المتذوقين للقصة العربية يؤيدونني - أن نجيب محفوظ في قصصه الطويلة لا يقارن بمحمود تيمور في قصصه القصيرة .

٢ - أرجو من الاستاذ عبد الوهاب الأمين ان يفسر لي قوله ... [وفي مقدمة عناصر الرجعية الفكرية الآن أعمدة الدعوة الى الأدب الجديد والى التحرر من وثنية الماضي] .

بغداد **جلال الخياط**

حول الادب "المحنط" !

بقلم رمضان لاوند

اننا نخطيء خطأ جسيما حين نتهم الأدب العربي التقليدي بالجمود ، ونعتبره أدباً محنطاً . إنما ينبغي ان نعتبره أدب الشخصية القومية العامة ، وهو ضروري لنهضة كل أمة .

بين الناقد والادب صلة حائرة قلقة ، جارت بحيرتها المقاييس والموازين التي نميز بها ما حسن من الادب وما قبح ، ونحدد ما انحرف منه وما استقام . وظننا ان دون هذه المقاييس والموازين عقبات وصعوبات يستحيل معها الاطمئنان الى صحة مسبار فني او أصل من اصول البحث النقدي العامة . فالأدب فن ، والفن شخصية ، والشخصية ذات مقومات مستقلة لا تخضع لجبرية القانون او مبادئه العامة . ومحاولتنا في اخضاع هذه الشخصية لجبرية القانون قد تلم بحاشية الأدب او مرتكزاته اللغوية والفكرية ولكنها تعجز عجزاً اكيداً عن الالمام بكينونة الأدب وطبيعته الفنية .

وليس ادل على ذلك من ان الناقد نفسه لا يعتمد في نقده حين ينقد على القواعد العامة فقط بل يستند بصورة خاصة الى ذوقه الفني ومزاجه اولاً وبالذات . ولو صح ان القواعد العامة جديرة وحدها بالكشف عن جمال الادب وروعته لكفتنا هذه القواعد مؤونة إعداد الناقد سنوات طويلة واعتبار ظهوره هبة من هبات التاريخ النقدي .

وعلى ذلك فالنقد في نظرنا ليس علماً كما يظن الناس وان كان يمت اليه بصلة بعيدة . بل هو فن قائم بذاته يعتمد على صحة الاحساس ورهافته ودقة النظر ومرانه الطويل . اما جانبه العلمي فهو مجموعة من تعميات تتناول قواعد جامدة عامة هي احرى بطبيعتها ان تجمد الأدب وتعقده من ان ترسله على سجيته وتطلق له القيد فيتحرر من جبريتها الرتيبة . وغاية ما يهتم به الناقد في جانبه العلمي ان يدرس البيئة الاجتماعية والاحوال السياسية والمستوى العلمي ثم الاحداث التي تعاقبت على طفولة الأديب ومراهقته وشبابه . وقد يتجاوز ذلك الى آبائه واجداده او عنصريته وما الى هذه الابحاث العامة الغامضة . والناقد مع تعرفه الى هذا كله واطلاعه على ما دق من الحوادث وما عظم يحتاج قبل كل شيء الى عمود النقد الفني ، هذا العمود الذي تضؤل امامه العوامل السابقة جميعها فينجم من خلالها ركيزة اساسية للتمييز واعطاء الرأي الفاصل في جمال الادب وقبحه .

فالنقد الفني لا توفره معرفة الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لحياة الاديب كما لا تبينه دراسة مقومات العنصر والوراثة . ولكنه شيء ذاتي تفرضه هبة الطبيعة وقد تنميه العوامل الخارجية من الثقافة والتجربة .

واذا كان الادب هو فن التعبير عن الجمال ، فان النقد هو فن الكشف عن هذا الجمال وتذوقه . والفرق بين الاديب والناقد هو فرق في الدرجة لا في الطبيعة والجوهر . فالاديب اعمق توليداً واكثر ديناميكية من الناقد . وبذلك يصبح الناقد وسطاً بين الاديب والقارىء المتذوق الممتاز : الاول ينتج والثاني يوضح مواضع الجمال من انتاجه والثالث يتذوق هذا الجمال مستعيناً بتوضيح الناقد الموجه .

اثارت في نفسي هذا الرأي مقالة وقعت عليها في مجلة « الابحاث » التي تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت (السنة الخامسة، الجزء الرابع) وقد قدمها صاحبها الاستاذ كمال يازجي بعنوان « الادب المحنط » .

لقد هاجم حضرة الكاتب الادب العربي القديم واعتبره ضحية للسياسة ، كما سماه ادباً منافقاً ، وحرمه من مقومات الادب الفنية التي تسمح له بالبقاء والخلود . ومعنى ذلك ان ادب اليقظة العربية ادب ساقط مرذول القيمة لا يمثل حلقة حية من سلسلة تاريخ الحضارة العربية .

وقد وجدت في رأي الاديب الكاتب ما يؤكد صحة ما ذهبت اليه في مقدمتي من ان النقد عمل فني ذاتي اكثر منه مجموعة قواعد عامة تخضع الادب لجبريتها الجامدة الصلبة . والواقع ان هذا الرأي ليس بدعاً من الآراء فقد سبقه الى اعلانه جماعة الشعراء المولدين أو جلهم على الاقل وعلى رأسهم ابو نواس وبشار وابن الرومي وابو تمام. وقد حاول هؤلاء تسفيه الاساليب الشعرية القديمة واهمال صور الصحراء واستعاراتها والفاظها بل

وموضوعيتها . وكان بين الفريقين صراع ادى الى انتهاء عهد وابتداء عهد جديد .

ولكن هل يظن الاستاذ ان بادرة ابي نواس ومشايعيه قد افقدت الشعر القديم قيمته الفنية ؟ ان كان الامر كذلك فمعنى هذا ان كل مرحلة ادبية لاحقة هي وحدها الجديدة بالتقدير، واما ما سبقها من المراحل فهي مراحل ميتة جامدة. ولا اظن الاستاذ يؤمن بذلك او يدعو اليه .

فالحكم الذي اصدره هو حكم نقدي خضع فيه لذوقه الفني وملابسات حياته الاجتماعية والثقافية والنفسية . فهو اذن حكم شخصي غير بريء .

اما رأينا نحن في هذا الادب فانه يتحدد بعد ان نعرض وجهة نظرنا في تاريخ الادب ومقدماته العامة . فظننا ان ادبنا هو كأدب كل امة اخرى ينقسم الى مرحلتين عامتين اساسيتين :

(١) ادب تقليدي اتباعي قومي

(٢) ادب رومانتيكي شخصي .

الادب الاول يمثل شعوراً قومياً عاماً وتوتراً جماعياً موجهاً الى مثل اعلى وعصبية تقليدية . إنه أدب اليقظة التي تجتمع بها قوى الأمة لتوكيد شخصيتها وفرض تراثها ، لا باعتبارها افراداً لكل فرد عالمه الخاص وملابساته الشخصية، بل باعتبارها حقيقة قومية عامة تجد نفسها في مرحلة صراع مع حقائق قومية اخرى ، كما تجد نفسها مرتبطة بمثل اعلى تستمده من التاريخ وتعتبره موضعاً لعصبيتها ومصدراً لامتيازها .

لقد وجد العرب انفسهم بعد استقرارهم في البلدان المفتوحة أمام خطر داهم هو خطر الذوبان في الشعوب المغلوبة على أمرها والتي تشكل اكثرية ساحقة في امبراطوريتهم الواسعة الأرجاء. وقد احدث هذا الشعور عصبية عربية شديدة وثقت الروابط بين الغزاة القليلين في كل حقل من حقول السياسة والاجتماع والأدب.

فأما في السياسة فقد وجدنا الأمويين يحصرون مقاليد الحكم والقيادة في أيد عربية ، وأما في الاجتماع فقد ظهرت حركة إنماء عنيفة لتقاليد الصحراء وميل شديد الى المحافظة في الحقل الديني وأما في الادب فقد ظهر تعصب شديد للغة الصحراء وموضوعيتها الفنية وأساليبها في التعبير . وهذه كلها مظهر لغريزة الدفاع عن البقاء والصراع القومي العام الذي يفقد فيه الفرد شخصيته ليصبح جزءاً متواضعاً من أجزاء الامة الكثيرة العدد .

هذه هي الملابسات الاجتماعية والنفسية والسياسية التي كونت هذا النوع من الأدب ودفعت اليه. أما استغلال الملوك والأمراء له فهو ظاهرة مشتركة نجدها في كل أمة . والأدب القومي العام أدب أرستقراطي لا يصور الناس العاديين ولا يحلل نفوسهم فيعرض ما حسن من خصائصها وما قبح . بل يكون مشدوداً إلى الماضي ، الماضي الحي العظيم الذي يتحول في نظر الأحفاد مصدراً لكل القيم وملجأ من خطر الانحلال وذوبان الشخصية .

وهل كان أدب النهضة الاتباعي في فرنسا أدباً شعبياً ؟ وهل يمكننا أن نجد صورة الشعب الفرنسي المقيد بأغلال الرجعية والظلم والفقر فيما كتبه كورناي وراسين وبوالو ؟ الحقيقة ان هؤلاء الشعراء كانوا يكتبون وعيونهم مسمرة في الماضي وقلوبهم وعقولهم مشدودة الى التاريخ اليوناني واللاتيني . فمثلهم العليا وقيودهم الفنية وتعابيرهم الفخمة وعنايتهم الشديدة بالألفاظ والأخلاق التي يعرضونها والأبطال الذين يصفونهم ، هؤلاء جميعاً لم يقتبسوا من واقع فرنسا المؤلم. فالأبطال أبطال أرستقراطيون تستهدف تقليدهم طبقة الحكام ، واللغة لغة أرستقراطية ، أما المثل الأخلاقية فمثل يونانية لاتينية بحت وكذلك القيود الفنية .

فأين إذن هذا الأدب الشخصي الحي ؟ هل نذكر موليير ؟ وهل كان موليير إلا عبقرية تستهلك إمكانياتها لتسلية الأقوياء والترفيه عنهم ؟ وإذا كان في أدب راسين شيء من الشخصية فهذا لا يفسد القاعدة العامة بل يقويها ويشد أزرها . لأننا نجد في تاريخنا الأدبي شاعراً كعمر بن أبي ربيعة يخرج على التقليد فيكرس على غير عادة العرب فنه كله لخدمة جمال المرأة وتصوير إحساسه نحوها ومغامراته معها . وكذلك كان شأن الغزلين العذريين . ولكن جهود هؤلاء الشعراء لم تستطع أن تحول التيار الأدبي العام وتفقده خصائصه القومية الشاملة .

وهكذا تمر السنون والصراع يشتد بين هذا الادب القومي التقليدي والأدب الشخصي الرومانتيكي حتى تغلب الثاني على الأول بفضل عاملين اثنين :

اولاً : صراع الشعوبيين الذين كانوا يمثلون أداة تهديم للشخصية القومية العربية .

ثانياً : استهلاك العرب لامكانياتهم النضالية وانتشار الانحلال الخلقي بينهم وانهيار عصبيتهم بمرور الزمن وابتعادهم عن مثلهم

التاريخي المحتذى .

وقد ساعد على احداث هذه الحال امثال ابي نواس في حقل الأدب والانتصار العباسي في حقل السياسة والاجتماع وتغلغل علوم الأولين في حقل الفكر. وهنا ظهر الأدب الشعبي الشخصي. فكانت الخمرة مرتكز ابي نواس والثقافة ، والفلسفة مرتكز ابي تمام، والتجربة الانسانية الحية مرتكز ابن الرومي . حدث ذلك عندنا كما حدث مثله عند الفرنسيين بعد قرنين ونيف من ابتداء النهضة الفرنسية فظهر الادب الرومانتيكي الشعبي متمثلاً في لامارتين وقدّم له امثال روسو وفولتير والادباء « الانسيكلوبيديون » في اواخر القرن الثامن عشر .

وبناء على ما سبق يمكننا ان نقرر الحقائق التالية :

١. اننا نخطىء خطأجسيماً حين نتهم الادب العربي التقليدي بالجمود ونعتبره ادباً محنطاً وإنما ينبغي ان نعتبره ادب الشخصية القومية العامة وهو ضروري لنهضة كل أمة .

٢. ان هذه الظاهرة مشتركة بين كل الأمم عندما تمر في المراحل نفسها .

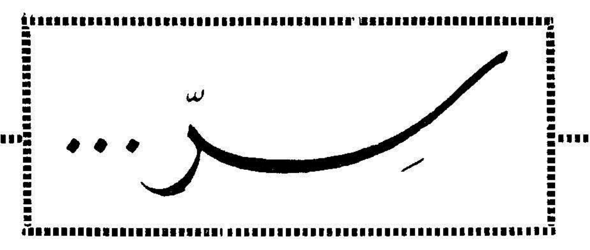
٣. ان حكمنا النقدي هوحكم شخصي فني يخضع لملابسات خاصة تحول دون تفهمنا لملابسات الآداب التي نشأت في غير عصرنا ودفعت اليها عوامل خاصة .

٤. ان ادبنا الرومانتيكي الحديث أدب لا يصلح لأحداث النهضة التي نرتقبها لأنه في حاجة الى عنصري التاريخ والروح الجماعية القومية الشاملة .

٥. ان رومانتيكيتنا الحاضرة تشبه الى حد بعيد رومانتيكية الادب الفرنسي قبل عصر النهضة او في اوائله كما هو الشأن في أدب « رونسار » .

٦. اننا ندعو الاستاذ كمال يازجي ومشايعيه ممن يقولون بوجود أدب محنط في عصر النهضة العربية الى ان يتعمقوا المقومات العامة التي تكوّن الأمم فينكشف لهم الغامض ويتضح المبهم ومن ثم يجدون الحياة فيما ظنوه موتاً والحركة فيما اعتبروه جموداً ، على ان يدركوا ان الحياة والحركة في مظهرهما الفني يتلوّنان بالوان كثيرة قد تختلف عما الفناه ونشأنا عليه .

رمضان لاوند



سرّي، يدتعطي، وكأس تترع أُسقى عصارة وهمه وأُجرّع
ألقيت أمري في يديه فعاش في رِقي، عزيزاً، مالكاً، يتمنع
هو تارةً أمرٌ لذيذٌ، مفرحٌ أو مؤلم، طوراً، مريرٌ موجع
فاذا تنكر، فهو فكرة بائسٍ وإذا تسامح، فهو أمرٌ ممتع
عمرت به نفسي، فان جردتها منه، فان العيش قفر بلقع
فهو المنازل، إن حللت بمنزلٍ
في الحي، وهو القوم، وهو الاربُع
وهو الحياة إذا قسا إعصارها وهو الربيع المستطاب الممرع
وهو الحبيب، وصاله وصدوده في حالتيه، والفؤاد مروَّع
وهو العدوُّ، بما يفيد عداؤه وهو الصديق، بما يضرُّ وينفع

* * *

أمري لديه، تكشفت أستاره مرفوعةً، وستاره لا يُرفع
فاذا عشقت، ولجَّ في قلبي الهوى فهو الذي يُعطي الخفوق ويمنع
ويشِبُّ في كبدي حرائقَ لهفي
حتى اذا اضطرمت، مضى يتوجع
أظما فيظما عندها، وإذا ارتوى أُروى، واقنعُ او أعفُّ فيقنع
كم قبلةٍ، أطعمتها من مهجتي غللًا يُدار بها الرحيق الانجع
ما أطعمتني غير ذكرى سمِّها ظمأً، نزيفُ شرابها لا ينقَع
لكن سري ظل يُترع كأسها ويديرها بيد الهوى، ويوزع

* * *

يغفو على شفتي، فان تمتمت في همسي، يفيق على الشفاه ويسمع
ويطلُّ من عيني، فان أغمضتُها راحت وساوس وهمه تتطلع
فكأنه عيني به ألقَى الرؤى فاذا توارت، عاد وهو البرقع
يستقبل الزفراتِ ان أرسلتها حرّى، ويذكي حرّها ويشبع
فعلى اللسان له لساني منبرٌ وعلى الشفاه له بهمسي موضع
وله الزفير إذا تلظّت زفرةً وله خفوق الصدر، وهو الاضلع
يقتات من حدسي، ويشرب من دمي
ويمجُّ من كبدي اللبان، ويرضع
فهو اللعوبُ وكل عمري ملعبٌ يلهو به، وجميع عيشي، مرتع

* * *

شاركته عمري، فصار كأنه عمري، وإني عنده لمضيَّع
فأنا لديه سرُّه، وهو الذي يحيا، وفي ايامه يتمتع
فاذا ضحكتُ تنفست آلامه ومضى يشيّع سربَها، ويودع
وإذا بكيت ففي احمرار محاجري
من حرّه وهجٌ، ومنه الادمع
وإذا نظمت الشعر، سال قوافياً من خاطري، وهو الذكي المبدع
وإذا سكت تضيق منه قرارتي وتوسوس الحمى، ووهمي أجمع
وإذا لجأت الى الشراب رأيتُه في كأس ندماني، حُباباً يسطع
فاذا خمرتُ مشى إليَّ معربداً
واذا كرعتُ، مضى يعبُّ، ويكرع

* * *

ملَّكته يومي، وان ذكَّرته امسي، يعود به إليَّ ويرجع
وإذا سألت غدي تسابق مطلع منه، ومن غديَ المؤمَّل، مطلع
اعياه مني الصبر في كتمانه فمضى يوشوش ملهِماً، ويرجِّع
حتى اذا ملكت دُناه خاطري واستسلم الشعرُ العصيُّ الطيِّع
أجرى القريض مراوداً في وصفه قلمي، وفاض بما أُكِنُّ المنبع
سري! ولست أبوح الا شاعراً والشعر مثل البوح او هو أوسع
سري! هو اليوم الذي أنا عائشٌ فيه، وأمسي، والغد المتوقَّع

بنت جبيل – لبنان

ابراهيم شراره



بقلم حافظ لطف الله البازجي

تحرص « الآداب » في تأدية رسالتها من أجل خلق الجيل العربي الواعي ، على ان توجّه القراء في مختلف مظاهر النشاط الفكري .

وهي إذ تقدّم اليوم هـذا البحث العلمي في الموسيقى انما ترمي الى محاولة تثقيف فني . ومعلوم ان القراء العرب اجمالاً مفتقرون الى الثقافة الفنية التي ينبغي ان تتوفر لكل انسان يرغب في ان ينعم بجميع امكانيات حياته البشرية .

وهذا البحث يعتبر مدخلاً ضرورياً لكل ثقافة فنية في ميدان الموسيقى .

بدأ الانسان في التعبير عن مشاعره وافكاره بالاصوات . ثم عبر عن معاني حياته بالحركات فأوجد الرسم والحفر ، واعتُبر الانسان بعد ذلك عبقرياً باكتشافه طريقة التعبير الصوتي الذي يتضمن المفهوم المعنوي ، فظهرت اللغة . وحملت كل لغة حياة الانسان المعنوية والمادية وما زالت هكذا حتى اليوم .

غير ان الانسان الذي اخترع اللغـة كأداة للتعبير عن الاحساس ، وجد ان هذه المادة لا تحمل بمفرداتها حيوية المعاني المعنوية والنفسية ، لأنه ادرك ان ما يشعر به من الاحساس النفسي الباطني لا يستطيع نقله حياً للغة مع المحافظة على حيويته المعنوية النفسية في الألفـاظ اللغوية المادية .

وهكذا ظهر ان اللغة ليست الاداة الكاملة للتعريف بالحضارة الانسانية ، بالانسان على الضبط ، لأن المعنويات الحيـة بحيوية ذاتية في النفس من جهة لا تحيا مطلقاً في مادة اللغـة من جهة اخرى ، وهي ان عاشت فانها لا تحمل باللغة حيويتها التي وهبتها اياها الذات ، مما يبرهن على ان اللغة تعبير مادي لا يصلح للمثل المعنوية ولا للحياة النفسية صلاحاً معقولاً . الا ان هـذا العجز الظاهر بين اللغة والذات او بين المادي والمعنوي ، بدأ بالزوال تدريجياً حينما بدأت اللغة تتغير من مادة الى معنى يحمل المادية حية في المثل المعنوية بظهور الموسيقى التي تعبر عن الحس النفسي تعبير اللغـة عن الحس المادي . ولذا نقول ان اللغة حياة المادة معبرةً للانسان عن حياته المادية ، اما الموسيقى فمُثُل الانسان المعنوية حيةً في احساس مسجل يعيـد بالصوت المادي حيوية المعنويات الذاتية . فالموسيقى اذن تعبير عام عن الحياة الذاتية المعنوية بحيوية لا وجود لها في اللغة التي تستمد الحياة من الذات .

الموسيقى بين المعنى واللذة

غير ان الموسيقى ، التي هي تجسيم للحياة في احساس صوتي معبر عن حياة الذات ، اعلى مستوى من مادة اللغة البسيطة الذاتية المستويات من الحس والعقل الانساني . ومن هنـا نشأ عدم فهم الموسيقى كمعنى بل كلذة ، مع ان الموسيقى في الأصل احساس اصيل ذاتي عبّر عنه الانسان فأراد معناه دون ان يقصد الاحساس بالذات . فالموسيقي لا يريد اللذة كما يريد المعنى . اما الانسان العادي –غير الموسيقي– فيريد اللذة قبل المعنى ، ولذا نقول ان الموسيقى معنى الاحساس الذاتي في التعبير الفني . ومن هذا القول نستنتج ان الموسيقى معنى المعنويات الذاتية حيةً في فنون التعبير الأقرب للفهم الأنساني والأدراك حاملةً لهذا وبه اللذة . واما الموسيقيّ فهو الذي يحيا مصوراً للحياة ومعبراً عن صورها المعنوية بمعناه الفني الذي يحمل اللذة الذاتية . ولهذا السبب الذي جعل الموسيقى بطبيعتها معنى المعنويات نجدها صعبة الفهم العقلي ، سريعة الادراك باللذة الذاتية .

وهكذا نجد الموسيقى تحيا مع الفنان الموسيقي بجوهرهـا المقصود ومعانيها المعنوية . أما مع الانسان العادي فتحيا بلذتها الحسية لا بمعانيها المعنوية ، وهذا لا يحط من شأن الموسيقى ، بل من شأن الانسان المتأخر عن اللحاق والتفوق العقليين بالناحية المعنوية على الناحية الحسية في الفهم والانقياد خاصة في الفن الموسيقي . فلو جُرّد الانسان العادي من حسه بالموسيقى الذي به يدرك جمالها لما استطاع إعطاء الموسيقى القيمة أو المعنى او

اي إحساس بالعقل ، لأن مقياس الفن عنده الاحساس . أما الفنان ، الذي يحيا بالمعنى الموسيقي كمقياس لجمال الموسيقى ، وإن جرّد من الحس واللحاق بالموسيقى ، فان الموسيقى تبقى حية به ويبقى هو خالداً بحياته العقلية المبدعة الموسيقى غير الحسية . والموسيقيّ الفاقد الحس لا يفقد الموسيقى لأنه يحييها من جديد بعقله ، وينتجها لنا لنحيا بها في إحساسنا . ومع هذا علينا أن نعلم أن ما يربط الموسيقى بالحي هو الاحساس ولذا فالموسيقى في أدنى درجاتها تتطلب الحس الذي يبني اللذة .

ولما كان الحيوان يتمتع بالحس كالانسان كانت الموسيقى فن حياةٍ عامة يشترك بلذتها الانسان والحيوان وينتفع منها الاثنان ، غير ان الباني للموسيقى هو الذي يعقلها بمعانيها ، فيحيا ملتذاً بالمعنى المنتقل له بالحس فيه . ومن هنا نعلم ان الفنان الموسيقي إذا عدم الحس بالموسيقى التي ينتجها ، لا تفنى لذته الموسيقية بما ينتج ولا يحس به ، لأنه تعوّد بطبيعته فهم الموسيقى التي ينتجها بمعناها . فاذا كان المعنى سامياً التذ به ، وشعر بلذته في إحساسه ، والعكس بالعكس . ومن هنا نشأت لذة الفنان الموسيقي العديم الحس بما يبدع عقلياً من موسيقى حسية معنوية ، لأنه يدرك معنى ما يبدعه بالعقل فيلتذ بما يدرك . أما نحن فنلتذ بما نسمع لأن السمع عند الأنسان العادي يعني وجود اللذة والموسيقى حيةً فيه ؛ اما عند الموسيقي فلا يعني السمع سوى اداة بدائية للموسيقى تساعد على نقلها لا على بنائها وتكوينها ، لقيام العقل الذاتي المعنوي بها لا الاحساس المادي ؛ وهذا هو أساس الموسيقى لأنها تعتمد على وجود استعداد عقلي معنوي معبر بحيوية الذات عن مفاهيمها ومشاعرها . وهكذا نعلم ان الموسيقي المحروم من السمع او الحس لا يستطيع نقل الموسيقى الغيرية او التلذذ بها ، أما موسيقاه الذاتية فتبقى حية ما دام عاقلاً لمعاني حياته المعنوية .

ما الموسيقى ؟

ليس ما تقدم سوى عرض بسيط للموسيقى والموسيقيّ والانسان العادي ، اما الموسيقى بذاتها كفنّ فما هي ؟ إنها صوت معبر موحٍ يحمل الحياة بمعانيها وأحاسيسها من حي الى حي ، فهي فن تعبير وإيحاء من الحياة الانسانية واليها . أما الأصوات فلا يمكن عدها موسيقى إن لم تعبر عن الحياة وتوح بما تحمله من عبرة او عبر لكل فرد حي يتمتع بالحس والادراك والعقل . ومن هنا نجد ان الفن الموسيقي أرقى من الصوت العادي ، فالصوت دلالة مطلقة على الحياة ولكنه لا يعني الحياة بالذات ، إذ كثيرة هي الأحياء التي لا أصوات لها ، فالصوت لا يتسع للحياة بينما الحياة تتسع له ولغيره . أما الموسيقى فتجمع بين سعة الحياة للصوت وغيره من أحداثها وموجوداتها ، وبين تعبير الصوت عن الحياة التي انبثق عنها واحتوته بوجودها ليعبر عن وجوده ووجودها أيضاً . وعلى هذا تكون الموسيقى فناً يجمع بين الحياة بصورها الطبيعية وبين طبائع موجوداتها وطبيعة العالم الذي نشأت فيه هذه الحياة بصوت او أصوات معبرة عن تلك الصور والطبائع والطبيعة .

وكثيراً ما لا تجمع الموسيقى بين الحياة بصورها المتسعة وبين الصوت بحدوده الضيقة التعبير ، فلا تحمل للذات صورة مدركة او احساساً معيناً ، وعندئذ تخرج كل قطعة فنية كهذه عن حيز الموسيقى الى حيز آخر لا يرتبط بقيد او شرط ، فتدعى القطعة لحناً ولا يجوز ان تدعى موسيقى . فاللحن هو الصوت ، اما الموسيقى فالصوت الحي المعبر عن الحياة والحياة الحية المعبر عنها بالصوت .

فاللحن في الموسيقى اذن هو مادتها . اما الموسيقى فتحيا بغير اللحن المادي وذلك بما تحمله للذات من احساس مصوّر او معبر عنه بقطعها الفنية الموجهة . وإذن فالموسيقى صورة اللحن التي تصورها القطع الفنية للذات الانسانية ، كما اننا من هنا نعلم ان الصورة في الموسيقى روح الموسيقى ، اما اللحن فمادتها بحيث لا قيمة لمادة الموسيقى حين لا نستطيع فهم الموسيقى بروحها او بصورها ، فالموسيقى التي لا يتصورها الأنسان لأنه لا يستطيع تصورها ليست بالموسيقى وان حملت اللحن . ولهذ فالموسيقى كالحياة الأنسانية او كالأنسان بالذات ، ان لم يحمل الروح فلا قيمة المادة التي منها يتكون الجسد .

الموسيقى والطبيعة

الموسيقى اذن حياةٌ ذاتُ مادةٍ تحيا باللحن وروح تحيي مادة اللحن بالمعنى والصورة ، وهذه الحياة المصورة بالمعنى المعبرة باللحن تعيش مع الأنسان لأنها من الأنسان واليه حسب الظاهر . وهذا خطأ — لأن الموسيقى في الطبيعة اسبق وجوداً من الموسيقى الانسانية ، إذ ليس افضل من اصوات الطبيعة تصويراً للطبيعة والعالم بالذات . فالانسان يقلد حين يصور الطبيعة بالموسيقى ، موسيقى الطبيعة واصواتها ، ويستنبط الموسيقى من العالم والطبيعة ثم ينظمها لتنسجم بالتالي مع ذاته بحيث تحمل

الموسيقى من جهة صورة الطبيعة وحياتها الصوتية بألحانها الطبيعية، ومن جهة اخرى تحمل طبيعة الذات الأنسانية بأحساسها وكافة ميزاتها فتنقل الموسيقى بذلك صورة الطبيعة او صورة العالم الخارجي من جهة، ثم تنقل صورة طبيعتنا او صورة الذات الانسانية بميزاتها من جهة اخرى، فتصبح فناً معبراً عن حقيقة الوجود الانساني وعن طبيعة هذا الوجود كوجود بالذات في حياة ذاتية باطنية لا يدركها سوى الانسان الذي يحيا بالعالم، متأثراً بطبيعة العالم. ومن هنا يحق لنا ان نقول ان الموسيقى سجل حياة الذات منذ كان الوجود الذاتي في العالم. غير ان هذا السجل ينقل الحياة حية بمعناها المعنوي، فينقل تأثيرها وتأثرها من كل سلف الى كل خلف دون ان يضيع من ميزاتها الحيوية او يزيد عليها شيئاً، بعكس سجلات الانسان التي لا تحمل الحياة بمعناها ومعنوياتها، بل تنقل وصفاً يوحي من بعيد للذات ايحاء يشبه تلك الحياة وعلى الذات ان تقرّب باجتهادها بين ما يتضمنه السجل وبين ما تضمنته الحياة، فما نسجله لا نسجل به الحياة بل ننقل به وصفاً عنها، فالحياة لا تسجل بالسجل الانساني. اما في الموسيقى فلاسجل حقيقي للحياة بالعالم والذات الا فيها، ولذا نقول ان الموسيقى تاريخ حي يحمل الحياة الذاتية في حياة العالم الطبيعية، فيجمع بين الانسان والحي وان كان حيواناً وبين العالم كطبيعة وواقع.

« ان الامم التي لا توجه الموسيقى توجيها يناسب النشء، تفسد المعنويات النفسية، وتقيمها على أساس فاسد لا شعوري في النشء؛ إذ بالموسيقى تطبع القوى الحساسة العصبية والمراكز العصبية الهامة انطباعاً فعالاً متناسباً مع نوع الموسيقى في توجيه الاندفاعات الذاتية والميول النفسية والرغبات، وبصورة عامة في توجيه الحياة المعنوية الانسانية. »

ولما كان العالم ولا يزال بواقعه، كواقع الانسان، متطوراً، كانت الموسيقى المعبرة عن الحياة في العالم والانسان متطورة هي الاخرى. اذن فالتطور الموسيقى ليس وليد التطور الذاتي المطلق، بل وليد التجديد الطبيعي في العالم والتطور المقابل له في الذات؛ وعليه تجمع الموسيقى كفن بين الانسان بكامل حياته من جهة، وبين العالم بكامل طبيعته من جهة لتعبر عن الحياة بكاملها في الوجود بكامله. ومن هنا نعلم ان الموسيقى اوسع فن في العالم. غير ان هذا الاتساع لا يعني ان الموسيقى اعظم فن لان الفن الاعظم بين الفنون، مجموعة الفنون، اذ لا تتم للمادة والمعنى في فن واحد بل بمجموعة الفنون تبنى الحياة بحقيقتها وواقعها.

اختلاف الموسيقى بين الامم

والموسيقى كفن تختلف بين امة واخرى وبين ذات وذات فما سبب هذا الاختلاف ؟

ان عدم تطابق حياة ذات انسانية واستحالة تطابقها مع حياة ذات انسانية اخرى، يولد اختلاف التعبير الموسيقي بين فرد وآخر وامة واخرى، كما ان اختلاف الطبيعة التي منها تستمد الموسيقى الصورة والوحي يولد تبايناً في الاتجاه الموسيقي بين طبيعة بلد وطبيعة آخر.

فالنزعة الموسيقية هي اذن اساس التباين الموسيقي وهي لا تولد من العدم بل من الحياة التي لا تطابق فيها بين ذات واخرى ولا انسجام فيها بين طبيعة بلد وطبيعة آخر، مما يدل على ان الموسيقى من العالم الطبيعي ومن العالم الذاتي في النشأة والتكوين، وبالتطور والنزعات تبنى ميزات الامم. فالنزعة الموسيقية والتباين الموسيقي ضرورة لازمة لاظهار ميزات كل امة وذات وطبيعة مستقلة بشخصيتها عن الاخرى.

قلنا ان الموسيقى كفن ضرورية التباين لضرورة التعبير عن مختلف اجزاء الذات الانسانية والطبيعة في العالم. ونضيف الآن ان كل تطور يطرأ على طرف من الذات او العالم سبب غير مباشر لتطور الموسيقى، لأن كل مفهوم واحساس جديد يطرأ على الحياة الذاتية الانسانية يغير من اتجاه موسيقاها وينجرف بها الى ما يلائمه من التعبير لتمثيل واقع الحياة الذاتية. وهكذا حينما تتغير طبيعة بلد او عالم او يغير الانسان طبيعة عالمه بالانتقال تتأثر الموسيقى مع الحياة بطابع جديد فتنحرف للتعبير عن طبيعة جديدة هي طبيعة العالم الجديد. ولكن هل الانحراف الموسيقي ضروري مفيد ؟

إن الانحراف الموسيقي سبب نشوء تجديد فني دائم، فاذا كانت الموسيقى رتيبة تجري على نمط واحد مُلت وهجرت، ولذا فالتجديد الناشىء عن الانحراف الموسيقي سبب ميلاد نزعات جديدة مجددة في الموسيقى مولدة لحياة فنية موسيقية متناسبة مع التطور الانساني الحسي والكلي ومع التطور العالمي الطبيعي. ومن هنا ومما سبق نجد الموسيقى تنحرف وتتطور وتتجدد ولذا قلنا انها حياة معبرة عن وجودنا، لها مادة باللحن

وروح بالصورة . وكما ننحرف بحياتنا ونتطور ونتجدد هكذا تنحرف الموسيقى وتتطور وتتجدد. ولذا قيل ان الموسيقى حياة متطورة مع الحياة وفن متسع معبر موحى من الحياة وموحٍ للحياة.

الموسيقى الموجهة

وقد يقال ان الموسيقى فن لا علم فيه ، والحق ان الموسيقى فن علمي له الأثر الأكبر حين يوجه توجيهاً صحيحاً في النفس الانسانية ، لأنه يحيي الطاقة ويجدد النشاط ويثير مختلف القوى الفطرية والمكتسبة والشخصية ، وينبه عامة القوى النفسية ويعيدها للعمل السليم بنشاط أرفع مستوىً من مستوى النشاط السابق وقدرة ذاتية أشد من الأولى وأعنف .

فالموسيقى الموجهة فن علمي قادر على الانتاج الفعال المفيد لكل واقع ذاتي غير طبيعي، إذ ليس هنالك كالمعنويات تأثير في الشذوذ المعنوي . أما الماديات فوسائط لايجاد اعتدال معنوي طبيعي قلما يوجد او يعود بتأثير مادي مطلق ، فالحياة النفسية معنوية، والمعنويات فيها ضرورية لتقدمها وتأخرها كالماديات بالنسبة للجسد . فالأمم التي لا توجه الموسيقى توجيهاً يناسب النشء تفسد المعنويات النفسية وتقيمها على اساس فاسد لا شعوري في النشء إذ بالموسيقى تُطبع القوى الحساسة العصبية والمراكز العصبية الهامة انطباعاً فعالاً متناسباً مع نوع الموسيقى في توجيه الاندفاعات الذاتية والميول النفسية والرغبات، وبصورة عامة في توجيه الحياة المعنوية الانسانية . ومن هنا تنشأ الشعوب المهملة التوجيه الفني عابثة بالقيم المعنوية عبثاً يظهر بالسلوك الطبيعي في افراد تلك الشعوب كأن التبدل الخلقي يجري مع التبدل والانحراف الفني، لأن الفن بصورة عامة يترك انطباعاً مثيراً لنزعته في الذات، وبصورة لا شعورية تنبثق تلك النزعات من الانطباعات الذاتية في اللاشعور للشعور فتبحث عنها الذات بصورة آلية . فلو وجّه الفن لاحياء معنويات القوة او المثل الانسانية او لأي هدف مقصود لوجد النشء الموجّه بطبيعة ذاته ذلك التوجيه طبيعة ذاتية من طباعه الخاصة فيربى الجيل بالعادة والتكرار على ما يريد الانسان الموجه بالفن والعمل الصحيح ولذا نقول : إن الفن الموسيقي الموجه اول خطوة سريعة التأثير النفسي في العالم وفي الانسان بصورة خاصة لغرس ذلك الاتجاه المقصود الذي تحمله الموسيقى وتعبر عنه كطبيعة في الذات الانسانية بالاعتياد على ذلك التوجيه الفني وبتكرار العودة اليه .

تأثير الموسيقى المادّي

غير ان ما ذكرناه من نتائج الموسيقى في تكوين النفسية وإنشاء الأجيال لا يعد بحثاً علمياً للتأثير الموسيقي الفني الا على المعنويات ، لأن للموسيقى تأثيراً مادياً فعالاً في الجسد الانساني وهذا ما يسلط الفن الموسيقي على الحياة المادية اي الجسدية تسليطاً مباشراً له نتائجه الفعالة في جميع أجهزة الجسد وقواه المادية المطلقة . وقد يظن الانسان ان تأثير الموسيقى المادي في الجسد ينحصر في الناحية الحسية او في الناحية العصبية . والحق ان للموسيقى الشأن الأول في تغيير وتكييف وظائف الأجهزة والأعضاء .

ذلك ان للموسيقى في الجهاز العصبي فعالية خاصة منبهة في البدء لجميع الأعصاب الحسية لنشرها تنبيهاً عاماً في الجسد حين تبدأ بالظهور للحس الانساني . غير ان الحس الذي يستجيب للموسيقى ، عن طريق اللذة او الألم او الاحساس بصورة عامة بنوع جديد من الشعور لم يكن قبل وجودها في الجسد — لا يهم مطلقاً ، لأنه الجزء السطحي المباشر من تأثير الموسيقى في الجهاز العصبي ، إذ بعد مدة وجيزة يزول التنبيه الموسيقي للأعصاب الحسية وبزواله يصبح الانسان في حالة انسجام تام مع الموسيقى التي تبدأ بالتأثير على الأعصاب المحركة فترفع او تخفض مستوى التوتر ، فيظهر الهيجان بارتفاع مستوى هذا التوتر العصبي ويظهر الخمول والسكون بانخفاضه ، وتستجيب العضلات لارتفاعات وانخفاضات التوترات العصبية بصورة آلية ويظهر الاندفاع الحركي العضلي في الأطراف جرياً مع الموسيقى لا شعورياً ، وتنشط فعالية الاجهزة الباقية عند ارتفاع مستوى التوتر فيزداد نسبياً بصورة سليمة، النبض وانطلاق الدم وحركة الدورة الدموية ، وترتفع الحرارة جزئياً . اما عندما ينخفض مستوى التوتر فتسكن مع الموسيقى حركات العضلات وتخمل فيبطىء النبض والتنفس والدوران وتهدأ حركات الاطراف بحيث نجد في هذه الفترة من الانسجام مع الموسيقى انسجام الجسد بوظائفه واعضائه المادية مع التأثير الموسيقي او الجو الموسيقي المرافق للتأثرات العضوية الجسدية .

اذن تؤثر الموسيقى مباشرة في الأعصاب الحسية بالتنبيه الآني الزائل بعد فترة ، ثم تؤثر في الاعصاب المحركة بالانسجام الذي يدوم حتى انتهاء ظهور اللحن الموسيقي في نهاية القطعة الفنية ، واخيراً تبدأ بالسيطرة على الناحية العضوية وعلى الوظيفة

اقتباس من تراثنا المغمور

مجلس شراب..

لابي محمد بن الحسين الشبل (المتوفى عام ٤٧٤ هـ)

— ١ —

ومبشّرٍ باليـاسرية * معشراً
صرعى كؤوس الراح والريحان

قتل النفوس عبوقُها فأعادهـا
ذكرُ الصبوح تدب في الابدان

وكأنما أرخى غـلائل سُندسٍ
أو جرّ أذيالاً عـلى العقيان

متقـلد بعقيقتـين موشّح
بالدرّتـين مقرّط الآذان

صفقَ الجناحَ على الجناح مغرداً
قبـل الأذان منداً بإذان

وحدا الظلامَ مع الكواكب سحرة
بمثـالث من صوته ومثاني

يا غافلين دنا الصبوح فبـادروا
اللذات قبل عوائق الأزمان

تدنو السقاةُ الى السقاة كأنمـا
يمشون تحت مقابس النـيران

— ٢ —

بتنا نديرُ كؤوساً من مدامعنـا
ونجعل البثّ للاسرار ريحـانا

يضمنا وجدنا والصّوْن ينشرنا
لفّ الشّمالِ على الأغصان أغصانا

ونجعل الكبد الحرّى على الكبد
الحرى ونبدي من الاشواق ألوانا

وللصبّا عبثٌ بالثوب تجـذبه
عنا كموقِظـةٍ بالرفق وسنانا

* الياسرية علم على متنزه. والمقصود بالمبشر هنا ديك الصباح.

الخاصة بكل عضو مـادي بالنسبة لارتفاع أو انخفاض مستوى التوتر في المراكز العصبية كالدمـاغ الذي تنشط او تسكن وظائفه الهامة ، وكالنخاع الشوكي الذي تزيد الموسيقى في حالة ارتفـاع مستوى التوتر في سيطرته على الحركات الآلية «الميكانيكية» للطرفين السفليين وعلى الحركات الميكانيكية العامة في الاجهزة والاعضاء والغدد التي تحملها الموسيقى في حالة انخفاض بمستوى التوتر . مما يدل على ان للموسيقى سيطرة عامة على القوى العصبية الآلية الميكانيكية والعاقلة الفكرية في الجسد ، كما ان لها تأثيراً هاماً في العقد العصبية المحركة والعضلات .

وهكذا تسيطر الموسيقى على العضلات المتحركة بسيطرتها على الاعصاب المحركة والحسية، وتؤثر في الدورة الدموية والتنفسية فتزيد في شدتها وسرعتها الحركية بارتفاع مستوى التوتر بشكل يصبح معه التنفس اسرع واعمق مما كان عليه ، او تخمل الدوران الدموي والتنفسي بانخفاض مستوى التوتر فيبطيء التنفس ويضيق عما كان عليه قبل التأثر بالموسيقى. وهكذا تسيطر الموسيقى على الدوران والتنفس سيطرة تامة قريبة من اللاشعور.

ولكن تأثير الموسيقى لا يقتصر على ما تقدم فهي تؤثر ايضاً في جهاز الهضم ونشاط وظائفه وعدم نشاطها . فالموسيقى تزيد الشهية أو تضعفها كما تزيد أو تضعف الهضم والامتصاص جرياً مع انخفاض أو ارتفاع مستوى التوتر. وهكذا يستطيع الانسان بطبيعته دون تعليم وارشاد اختيـار النغم الموسيقي والقطع الموسيقية الموافقة له عند تناول الطعام أو قبله أو بعده مع شعوره

التام ان ما يزعجه منها في وقت من هذه الاوقات هو نفس ما يجب عليه أن يسمعه في وقت آخر من الحياة .

ثم إن للموسيقى تأثيراً على الجهاز الغدّي لان من الغدد ما تستجيب لارتفاع مستوى التوتر حين لا تستجيب اخرى له بل لانخفاضه. فالغدد الدمعية تستجيب مثلاً لانخفاض مستوى التوتر بازدياد السائل الدمعي في العين على النغم الموسيقي الساكن القريب من الحزين ، بينما يجف الحلق نظراً لوقف إفراز الغدد اللعابية والعكس بالعكس .

فالموسيقى تؤثر في الوظائف الغدّية العامة والخاصة كل التأثير . الا ان هذا التأثير يجري ، في اغلب الاحيان تحت الشعور ، بين الشعور واللاشعور ، في حالة انسجام تام بين المؤثر الموسيقي والمتأثر الحي. ومع هذا نقول ان تأثير الموسيقى في تغيير او تحوير وظائف الاعضاء والاجهزة الجسدية انما هو تغيير وتحوير جزئي لا يخرج بالجسد من حد السلامة الى المرض أو من حد المرض الى السلامة ، بل ينشيء حداً معتدلاً من الراحة المنشطة الفعالة في تحوير الكيان المادي من حالة الاضطراب السيء التأثير في النفس الى حالة الاعتدال الآني الحسن التأثير النفسي .وقد يسأل سائل ما تأثير الموسيقى في المركبات المادية او في كيمياء الجسد ؟

فنجيب ان الموسيقى التي تؤثر في جميع الوظائف الجسدية تؤثر بصورة غير مباشرة في جميع نتائج الوظائف أي في جميع المركبات التي يصنعها الجسد او يتلقاها او يلقيها . وهذه النتيجة اللازمة آنية وجزئية ولكنها فعالة لانها تؤدي دوماً الى ايجاد إحياء خاص للوظائف المهملة اللاشعورية في الجسد فتثيرها بجملها على العمل لتخليص الجسم بذلك من كثير من السموم والفضلات الضارة واسترجاع الراحة الناتجة عن ذلك ولو بصورة آنية غير دائمة مدى الحياة .

تأثير الموسيقى في النفس

ثم قد يسأل آخر ما تأثير الموسيقى في النفس ؟

فنجيب ان الموسيقى تؤثر مباشرة على ما نحس به في الشعور فتستجيب لها اللذة والرغبة والعاطفة والهوى والهيجان والتخيل والذكريات بصورة مجتمعة دفعة واحدة ، وبشكل اسرع من استجابة الجسد لها . ومن الطبيعي ان الانسان ان لم يلتذ بالموسيقى نفسياً لا يتأثر بها جسدياً بل يهجرها ويمتعض منها ، لان النفس اسرع استجابة وتأثراً بالمعنويات عامة وبالموسيقى خاصة ، التي هي احدى المعنويات النفسية ، من الجسد الذي هو ابطأ تأثراً بالموسيقى من النفس لاستجابة الجسد للمادي اكثر من استجابته للمعنوي .

ومن هنا نستنتج ان الموسيقى تؤثر بسرعة متناسبة مع طبيعة جوهرها المؤالفة او المخالفة لطبيعة جوهر المتأثر من مادي او معنوي او روحي في الشعور ، اي في اليقظة . اما في اللاشعور ، في النوم ، فقلما تعود الموسيقى لذكرى الانسان بعد الاستيقاظ لانها نادرة الوجود في اللاشعور نظراً لقلة اهتمام الانسان بها في الشعور وبتركيزها خاصة في مشاعره ، وما دام الانسان يحسب الموسيقى لذة او للذة فلا يقيم لها وزناً وإن كانت ملذة إلا للذتها وهذا يعني انه لا يركزها فهماً ويهضمها في الوعي كما ينطلق معها في اللذة بالحس .

ان الانسان يشارك الموسيقى بالحس لا بالاستيعاب والتركيز في الشعور . ومن الطبيعي ان ما لا نركزه جيداً في مشاعرنا وفي مجرى حياتنا يكون ضعيف الوجود دوماً في ما يستند الى هذا الوعي والشعور اي في اللاشعور . فالموسيقى التي نلمحها بالاحلام في اللاشعور إنما هي بقية ما ركزه الانسان لتلذذه به في الحس واليقظة اكثر من إدراكه له بالعقل والتفكير. ومن الطبيعي نتيجة لذلك ان تكون الموسيقى جميلة لذيذة في اللاشعور بالاحلام وقليلة نادرة بها غير معدومة .

ومما تقدم نجد الانسان العادي يفهم الموسيقى باللذة دون تفتيش عن إرادة الموسيقي الفنان من اللذة الفنية والنفسية المنبعثة من القطع الموسيقية .

وعلى هذا يحيا الموسيقي الفنان باللذة المعنوية من المعاني الغنائية او الموسيقية ، بينما يحيا غير الفنان ، الانسان العادي ، من اللذة او من المشاعر المولدة من تلك المعاني المفقودة بين سلسلة احساسنا باللذة وبين سلسلة بحثنا عن سببها ، مع انسياب اللحن وتتابع الانتاج الفني الموسيقي .

ومن هنا نستنتج ان الانسان ما زال يلاحق الحياة بمفهوم الحس ويبرر مفاهيمه الحسية بالمفاهيم العقلية ، مع علمه انه بالوهم يحس بحقيقة لا وجود لها بالواقع ويدرك ان إحساسه فاشل لا يصلح مقياساً للحياة . ولكن بالرغم من هذا وذاك فقد أضاع الانسان كثيراً من المعنويات الفنية والواقعية نظراً لتعلقه المطلق بالماديات والمحسوسات الواقعية والفنية .

حافظ لطف الله اليازجي

النشاط الثقافي في العالم العربي

لبنان

١ . انماء الثقافة في لبنان

توالي الندوة اللبنانية لمؤسسها الاستاذ ميشال اسمر نشاطها الثقافي بسلسلة المحاضرات الهامة التي تلقى كل عام باسمها وتتناول مختلف الموضوعات الفكرية .

وكان من بين المحاضرات التي القيت في الشهر الماضي بالندوة محاضرة قيمة للدكتور سليم حيدر وزير المعارف اللبنانية بعنوان « انماء الثقافة في لبنان » . وقد بدأها بالاشارة الى صعوبة تحديد معنى الثقافة ، ثم انتقل الى الحديث عن الثقافة في لبنان فقال : «نحن في لبنان والحمد لله بلد شرقي غربي، منفتح للفكر الانساني ، ولا يخشى علينا حتى مجرى الهواء ، من النافذتين المتقابلتين ، فقد تعودنا مجرى الهواء . لا خوف علينا من البحر ولا خشية من الصحراء ، شرط ان نتذكر دائماً اننا بين البحر والصحراء . انما الخوف كل الخوف الا نكون انفسنا . »

ثم اشار الدكتور حيدر الى ضرورة صهر العناصر المتعددة لثقافتنا، التي هي خليط غريب، في بوتقة واحدة لتخرج منها مركباً منسجماً متلاحماً،وقال : « ثقافتنا وليدة التاريخ، لبنانية عربية انسانية،ويجب ان نحرص على ان تبقى كذلك ابد الدهر . »

وتحدث المحاضر بعد ذلك عن كيفية انماء الثقافة، فقال انها زراعة مستمرة وانه يشترك في تكوينها العقل والروح والقلب وللذوق فيها نصيب كبير ، وان اول وسائل انمائها الكتاب ، وهو وعاء المعرفة الساحر ، ينبغي ان يقدس ويحفظ لأنه هيكل الفكر .

ولكن الدعوة الى تقديس الكتاب يجب الا تقتصر على القراء ، بل يجب ان تتناول الكتاب انفسهم ، ولو شعر كل من امسك يراعة بقدسية الكتاب لما حشر معظمهم بين دفتيه اموراً الكتاب براء منها » فهو قبل كل شيء اداة اصلاح . ثم عاد المحاضر الى ضرورة خلق القراء « فنحن في الشرق لا نقرأ ونقول بعد ذاك ان ادباءنا خاملون ، عن الادب منصرفون » واعترف بان انتاجنا قليل وان ادباءنا عائشون على هامش الحياة ، لا يتحسسون بالحياة حواليهم ، ولا يرافقون التطور الفكري في العالم ، ولا يسايرون العصر في توثبه،الا ومضات في قصائد ، ومحاولات في مقالات ، وبعض الكتب المختارة. ولكن من الظلم ان نلقي التبعة عليهم وحدهم فالكتاب لايكتبون لانالقراء لايقرأون . فيجب انماء القراءة،وانماء حب الكتاب وحب اقتناء الكتاب.)

وانتقل المحاضر الى الكتاب المدرسي فتحدث عن قدسيته وعن ضرورة كونه : « لا خطأ فيه ولا غموض ، ولا اسهاب ولا اقتضاب ، وسلامة من كل عيب اخلاقي ، وخلوص من كل شائبة اجتماعية ، وانسجام مع الفكرة القومية ، ومستوى ثقافي راق ، ونزعة الى السمو . » ومن هنا انتقل الى غاية التعليم فوصفها بانها،مكافحة الامية ونشر العلم واظهار العبقريات ؛ ولكن هدف هذه الغايات الا يكون العلم غاية بل وسيلة لانماء الثقافة : لأن العلم للعلم هدام ، وكل شيء يجب ان يكون للحياة . ولهذا يجب ان نغير مناهج التعليم بحيث لا يكون العلم حشو ذاكرة ، ولا تكون الشهادات مفاتيح لأبواب الوظائف ليس إلا .

واخذ الدكتور حيدر بعد ذلك يفصل القول في كل من هذه الغايات ، فحدث عن مكافحة الأمية ، وذكر ان نسبة الامية في لبنان اقل من عشرين بالمئة ، وان الأمية في الطبقات العاملة وفي النساء بوجه خاص. وقال ان اقبال الشعب اللبناني على العلم لا يفرض ضرورة التعليم الالزامي .

واشار المحاضر الى ان دخول المدرسة ليس دائماً طيب النتائج ، لانه يقيم عداء بين القلم والمعول ، وبين القلم والمنجل ، وبين القلم والمغزل . ولهذا كان من واجبنا الالتفات الى العمل المنتج ، بحيث لا يكون مجرد دخول المدرسة مدعاة لترك العمل اليدوي.يجب الا يكون العلم هو الوسيلة الوحيدة لكسب العيش بشيء من الرفاه .

وتحدث وزير المعارف بعد ذلك عن مشكلة هجرة القرويين طلباً للعلم الى العاصمة والى المهاجر حيث لا رجعة ، وهذه قضية اقتصادية واجتماعية وثقافية خطيرة .

وانتقل الى الغاية الثانية ، نشر العلم ، اي نشر العقلية العلمية الصرف التي تحتاج اليها ثقافتنا العربية بوجه عام،واقترح لذلك بعض مشاريع كوضع كتاب ضخم في تاريخ اللغة العربية بوجه عام ، واقترح لذلك بعض مشاريع كوضع كتاب ضخم في تاريخ اللغة العربية وكيفية تكوينها وتطور قواعدها ودرس اللهجات والقراءات الخ ... ، ووضع كتاب مختصر في قواعد اللغةالعربيةومبادئها الاساسية، وقاموس عربي اشتقاقي شامل، ودائرة معارف عربية ، وعدة معاجم علمية تقنية وتاريخ عام للامة العربية ، وتاريخ للحضارة العربية ومنتخبات من روائع الفكر العربي الخ ... الخ ... وتكون هذه الكتب ادوات للعمل يضاف اليها احصائيات لا نزال نشكو من عدم وجودها .

واما اظهار العبقريات فيعني المحاضر به نشر الفكر العربي في العالم، لأنه... اذا كان للثقافة العربية من وزن ، فلأنها اعطت الانسانية ادمغة دمغت الفكر الانساني ، واذا كانت الثقافة العربية قد انحدرت فلأنها انكمشت على نفسها واخذت تجتر آثار الاولين .

ثم دعا المحاضر الى ان نوجه اعوان الكتاب ، اي المجلة والصحيفة والاسطوانة والاذاعة والسينما ، نحو الخير لتكون اداة صلاح، والى ضرورة توسيع ثقافتنا الفنية . وانهى محاضرته بهذه العبارة : « الثقافة عبادة ، عبادة الحقيقة وعبادة الحق – العقل والروح ، الى الهيكل ايها المصلون . »

٢ . المعجم الجديد

يتساءل القراء عن سبب امتناع الاستاذ عبدالله العلايلي عن الكتابة في مختلف الموضوعات التي كان يعالجها على صفحات المجلات والصحف ، ويتساءل

ديوان بشاره الخوري

قام الاستاذ عادل الغضبان رئيس تحرير الزميلة المصرية « الكتاب » بزيارة الى لبنان في اوائل هذا الشهر . وقد تمكن من إقناع شاعرنا الكبير الاستاذ بشاره الخوري بطبع ديوانه الشعري،هذا الديوان الذي تنتظر الاوساط الادبية في العالم العربي كله صدوره منذ زمن بعيد ...

وسوف تنشر دار المعارف في مصر القسم الغزلي من هذا الديوان بعنوان « الهوى والشباب » ، ولن تمر أشهر حتى يكون شعر بشاره الخوري بين ايدي القراء .

العاملون في الشؤون العامة عن سبب غيابه عن نشاط الهيئات والأحزاب التي كان يسهم في كثير منها إسهاماً بعيداً .

فمن المعروف عن الاستاذ العلايلي انه كان يكتب في اكثر من صحيفة ، كما أن من المعروف أنه لم يظهر دستور حزب من الاحزاب التي أنشئت في بيروت في السنوات الأخيرة ، الا وكان لقلم العلايلي أو رأيه أثر في تقويمه أو تعديله أو صوغ بعض عباراته ...

وليس في غياب الاستاذ العلايلي مما يبعث على القلق ، والحمد لله . فانه منصرف منذ عدة أشهر إلى وضع معجم عربي ، على أسلوب جديد ، من المتوقع أن تنشره دار العلم للملايين في الأشهر القريبة القادمة .

ولهذا المعجم تاريخ طويل في حياة الاستاذ العلايلي ، فمنذ ان وضع علامتنا كتابه الفريد « مقدمة لدرس لغة العرب » سنة ١٩٣٨ وهو يفكر في وضع معجم يقوم على أساس دراساته اللغوية في هذا الكتاب . وقد اتيح له في الأشهر الأربعة الأخيرة أن ينصرف الى العمل في معجمه الفذ عملاً موصولاً ليضع اللغة بعد ذلك موضع التناول القريب للراغب والطالب مهما ضؤل حظهما من القاعدة الصرفية .

ومن أتيح له أن يطلع على بعض صفحات من هذا المعجم ، يلمس لمس اليد ، مدى التوفيق الذي خالف علامتنا اللغوي في جعل اللغة العربية سهلة قريبة ، ووضعها موضعها من التعاطي الحي في ميادين الفكر والصناعة والعلم .

ومن الخير ان نشير هنا الى بعض ما ينفرد به هذا المعجم عن غيره من المعاجم المتداولة .

أ – توحيد ابواب الأفعال في الباب الثاني (ضرب يضرب) أخذاً برأي عدد كبير من ثقات اللغويين .

ب – تخصيص الأبواب الأخرى بدلالات جديدة تبعاً لإرادة المتكلم .

ج – تخصيص المزيدات بدلالات ثابتة تقوم مقام الزوائد في اللغات المشتقة من الآرية .

د – تخصيص موازين الاشتقاق بحيث تكون لها طواعية السوابق واللواحق في اللغات المشتقة من الآرية .

ه – تخليص اللغة من تميع التأنيث والتذكير السماعيين ، ومن تميع الجموع والنسبة ومصادر الثلاثي والعدد .

٦ – تبيين الوحدة المعنوية التي تشيع دائرة في كل مشتقات الجذر المادي . وكان يظن انها مفقودة .

هذه بعض امتيازات المعجم من حيث الأساس . اما من حيث التصنيف فتقوم ميزته على طريق وسط بين تصنيف المعجم الأجنبي الذي يعتمد المزيدات أصولاً وينزلها في محلها بهذا الاعتبار ، وبين تصنيف المعجم العربي الذي لا يسمح بهذا التفسيخ لمشتقات الجذر الواحد . وبكلمة اخرى إن المشتقات الظاهرة الرد إلى الثلاثي ، او المشتقات التي قد تثير غموضاً او اشتباهاً فانها تذكر بلفظها ، فلفظة « اضطرب » التي هي افتعل من « ضرب » يصعب على الراغب طلبها في محلها من الثلاثي المجرد، فتذكر كما هي بلفظها مع الاشارة الى انها من « ضرب » . وهكذا

وعند ظهور هذا المعجم النفيس ، سيدرك القراء ان غياب اسم الاستاذ العلايلي من الصحف والمجلات منذ اشهر ، وامتناعه عن المشاركة في النشاط السياسي والاجتماعي في لبنان ، سيعود على اللغة العربية بعمل تخلت عن القيام به مجامع اللغة العربية ، المنتشرة في العالم العربي ، والتي تنعقد ثم تنفض دون ان يلمس احد ثمرة انعقادها وانفضاضها ...

٣ . ديباجة البدوي

دعت جمعية العروة الوثقى بجامعة بيروت الاميركية الى حفلة ينشد فيها الاستاذ بدوي الجبل (محمد سليمان الاحمد) مجموعة من شعره .

وامتلأت قاعة وست في ١٢ آذار الماضي ، بكل محب للشاعر ، معجب بشعره . غير ان الأستاذ بدوي الجبل قام وألقى على الحاضرين محاضرة في « القومية العربية »

وكانت المحاضرة لا تقل عن شعره براعة ديباجة ، وأناقة تعبير ، وتكلف صناعة ...

وكانت كذلك تفيض عن نفس طيبة ، شديدة الاخلاص ، صادقة الايمان. ولكن كان ينقصها شيء واحد ، هو العلم ...

لقد تكلم بدوي الجبل كثيراً ، فكان شاعراً في كل مقال ، يعرض التاريخ العربي والحضارة العربية ، والقومية العربية ، عرضاً منظوماً في سلك من الحماسة الفياضة ، والخيال الجميل ، والسجع المنمق ، حتى أدخل في روع بعض الحاضرين ان الخيمة هي التي انتصرت حقاً على ايوان كسرى ، وان اطلال البادية تستطيع ان تقاوم قصور المدنية الحديثة ...

انني من المؤمنين بالعروبة وبعناصر الحياة فيها ، ولكنني ارى في الوقت نفسه ان فهم القومية العربية على النحو الذي فهمه بدوي الجبل سبب من اسباب نكبة القومية العربية بعقول ابنائها ، وانجرافهم في تيار الخيال وخضم الوهم.

ان لكل قومية جوانب ، ولكل جانب عناصره التي تتألف منه . ومن الخير اذا ما اردنا ان ندرس جانباً او عنصراً ، ان نقلبه على وجوهه اعتماداً على العلم ، واستناداً الى التاريخ ، واستيحاء من الواقع ...

وان للعرب في واقعهم مشكلات ، عقدتها الايام وراكمتها السياسة ، ولن يكشف عن هذه المشكلات بيت من الشعر ، او قالب من قوالب السجع ... وطبيعي انها لن تحل بمثل ذلك !...

فليتقبل بدوي الجبل رغبة معجب بشعره اذ يدعوه الى آفاقه الشعرية ، محلقاً بها ما شاء ، متمماً محبيه بما تجود به قريحته . اما دراسة القضية العربية والقومية العربية فمجالها الفسيح بين يدي المؤرخ والعالم .

٤ . مدير الاونسكو

وهذه ألهية جديدة يلهو بها القراء في سورية ولبنان ، وسائر العالم العربي . لقد أذاعت وكالة من وكالات الأنباء ان في نية الحكومة اللبنانية ان ترشح الدكتور شارل مالك لرئاسة منظمة الاونسكو ، ثم لم تلبث ان نشرت هذه « الوكالة » ان الحكومة السورية تفكر بدورها في ترشيح الدكتور قسطنطين زريق للمنصب نفسه .

وستكون النتيجة ما تكون دائماً في مثل هذه الترشيحات الهامة في هيئة الامم المتحدة. اذ سيكون المدير القادم شخصاً لا يمت الى سورية ولبنان بصلة، بعد ان تكون كل من الحكومتين قد قامت بمفاوضات طويلة من اجل الاتفاق على مرشح واحد !...

وأياً ما كان الأمر ، فقد آن الأوان لأن نتساءل عن مدى الفوائد التي جنتها البلاد العربية من منظمة الاونسكو ...!

« بهي »

العراق

كلمة الى المجمع العلمي العراقي

أنت يا سيدي المجمع طفل لم تكمل العقد الاول من عمرك بعد ، وربما كانت سنك او مواردك المالية مسؤولة وعن كثير من عيوبك او تقصيرك ، ولكن ذلك لا يبرر التقصير على أية حال ، فالمفروض ان يكون المجمع ينبوعاً من ينابيع الثقافة التي تنهل منها البلاد ، بما يصدر عنه من كتب ومجلات ، وما تلقى في قاعته من محاضرات ومناظرات ، وما يقوم به اعضاؤه من نشاط علمي ، وما يجريه من مسابقات لتشجيع الروح العلمية والادبية .

أما انت فانك تحاول التشبه بالمجامع الحقيقية في نشاطها المتنوع لا اكثر ولا أقل . هناك محاضرات تلقى في قاعتك ، نعم ، هذا صحيح ، ولكن كم محاضرة تلقى في العام؟! وربما زعمت ان المحاضرين في العراق قليلون على الرغم من كثرة اساتذة الكليات ، فلم لا تدعو شخصيات ذات قيمة علمية من البلدان العربية ، بل والبلدان الغربية ان امكن ذلك ؟

وهناك مجلة تصدرها باسم « مجلة المجمع العلمي العراقي » ، وقد يتوهم القارىء انها مجلة شهرية او نصف سنوية او سنوية ، فأبادر لإخباره انها تصدر كل عامين ! فأية مجلة هذه ؟ ! وكيف يتقاعس مجمع علمي عن إصدار مجلة حقيقية تنطق بلسانه وتتحدث عن نشاطه وتنور القراء بما يحققه من اعمال ثقافية ؟

أما مكتبتك التي تضم عدداً من الكتب الثمينة فلا احسب انها تفيد احداً ، غير موظفي المجمع العلمي : فهي لا تفتح إلا في ساعات دوام دوائر الحكومة واصحاب الاعمال ، ولا يجوز استعارة الكتب خارجها، فهل يتحتم على القارىء ان يترك وظيفته او عمله ليحظى بشرف المطالعة فيها ؟ !

وقد تناهى اليك ان المجامع العالمية تقيم مسابقات للكتب الأدبية والعلمية . ولكي تستكمل مقومات المجمع الصحيح بدأت تجري في الأعوام الأخيرة مسابقات ادبية لأحسن كتاب مؤلف في العام وأحسن كتاب مترجم في العام. لكنك نسيت او تناسيت ، او لعلك جهلت ، ان مسابقات تلك المجامع تقوم على اسس خاصة تستقيم مع المنطق والتفكير السليم . فلكل كتاب ميدان خاص، ولا يصح ان نفاضل بين كتاب جغرافية وديوان شعر ، او كتاب طب ورواية . كما لا يجوز ان نفاضل بين أكل لحوم الضأن وشرب المياه العذبة . اما انت فقد حسبت ان المسألة هي إجراء مسابقات وكفى دون ان يعنيك إجراؤها على الوجه الصحيح ، وقد كان يجدر بك ان تقسم مسابقاتك الى ابواب ، فهناك افضل كتاب في البحوث العلمية ، وهناك افضل كتاب في الدراسات الادبية ، وهناك افضل كتاب في البحوث العلمية ، وهناك افضل كتاب في الدراسات الادبية ، وهناك افضل كتاب في القصة او الأقصوصة ، وهناك افضل ديوان في الشعر .

واحب ان اهمس في سمعك بمناسبة الحديث عن مسابقاتك بما يدور حولك من غمزات ولمزات وما يتطاير الى الاسماع من إشاعات عن نتائج هذه المسابقات ، فأنت تصر على إخفاء اسماء المحكمين عن المتسائلين ، واحسب ان الحكمة في هذا الاجراء تخفى على فطنة الجميع ! فهل تخشى عليهم من التأثير الخارجي إذا عرفت أسماؤهم ؟ ؟ لا خير في محكمين من هذا الطراز لا يرعون لضمائرهم العلمية من ذمة بقدر ما يرعون للصداقة من دالة او لكبار موظفي وزارة المعارف من نفوذ !

دع عنك المظاهر الفارغة ياسيدي المجمع واعترف بالحقيقة المؤلمة ، وهي انك لم تكبر منذ ان ولدت . وستظل طفلاً إن لم تشمر عن ساعد الجد ، وتبدأ عهداً جديداً من العمل الجدي المثمر المبني على اسس راسخة لتثبت جدارتك وتقنع الناس بوجاهة ظهورك الى عالم الوجود .

بغداد **شاكر خصباك**

نتائج مسابقات المجمع العلمي

ظهرت اخيراً نتائج مسابقات المجمع العلمي العراقي لعام ٥١ – ١٩٥٢ وكانت النتائج كالآتي :

فاز بالجائزة الاولى (وقدرها مائة وخمسون ديناراً) لأحسن كتاب مؤلف « أمريكا كما رأيتها » للأستاذ امين المميز . وهو عبارة عن مشاهد وصور لما صادفه المؤلف خلال مكوثه في امريكا .

وفاز بالجائزة الثانية (وقدرها مائة دينار) لأحسن كتاب مؤلف (ثورة الخيام) للأستاذ عبد الحق فاضل. وهي دراسة أدبية للشاعر الايراني الكبير عمر الخيام ، وقد رفض الاستاذ عبد الحق فاضل الجائزة الثانية وأعلن أنه في غنى عن تلك الجائزة بما لقيه كتابه من تقدير لدى ادباء مصر وايران

وفاز بالجائزة الثانية لأحسن كتاب مترجم (رحلة رج في العراق) تعريب الاستاذ بهاء الدين نوري. ولم يفز اي كتاب مترجم بالجائزة الاولى. ومن الطريف ان المجمع أعلن بان هذا الكتاب لم يفز بالجائزة الأولى لأن المترجم اكتفى بتعريب الجزء الاول من الكتاب فقط ، ولو عرب الجزء الثاني ايضاً لحاز على الجائزة الاولى !

كتب جديدة

التربية وفلسفتها	:	للدكتور نوري جعفر المدرس بدار المعلمين العالية .
بنت السراج	:	وهي قصة للدكتور صفاء خلوصي الاستاذ بدار المعلمين العالية .
اللون المقتول	:	وهي مسرحية للاستاذ نزار سليم .
تسواهن	:	وهي مجموعة صور وآراء في الفن والجمال والغناء العراقي للأستاذ جعفر الخليلي .
عيون الليل	:	وهي مجموعة اقاصيص للسيد فؤاد ميخائيل .
ألوان من الحياة	:	وهي مجموعة اقاصيص للسيد فائق مجيد الكمالي .

النشاط الثقافي في العالم العربي

مصر

لمراسل « الآداب » الخاص بالقاهرة

محنة الأدب

في الاسبوع الاخير من شهر فبراير الماضي ، كان القراء ينتظرون كعادتهم مقال الدكتور طه حسين في جريدة « الأهرام » ، ولشد ما كانت دهشتهم حين رأوا المكان المألوف للمقال المنتظر وقد شغله مقال آخر لكاتب آخر ، هو الاستاذ احمد حسن الزيات ... وازدادت الدهشة وهي مقترنة بالوجوم ، حين وقعت اعينهم على عنوان المقال الذي حمل اليهم نبأ احتجاب « الرسالة » ، وحين مضوا يقرأون ما جاء بعد هذا النبأ المفاجىء من كلمات :

« في الوقت الذي كانت « الرسالة » تنتظر فيه ان يحتفل أصدقاؤها وقراؤها ، وأولياء الثقافة والصحافة في وادي النيل ، وزعماء الأدب والعلم في أقطار الشرق ، بانقضاء عشرين سنة من عمرها المبارك المثمر ، وفي الوقت الذي أشرق فيه على مصر صباح الخير بثورة الجيش المظفر ، بعد ليل طال في الظلام ، وعرض في الضلال ، وعمق في الهول ، فاسفر وجه العيش ، وافتر ثغر الامل ، وشعر كل مصري في ظلال العهد الجديد ان وجوده الى سمو ، وعمله الى نمو ، وامره الى استقرار ، نعم في هذا الوقت الذي نشأ فيه لتوجيه الإرشاد وزارة ، ولتنمية الانتاج مجلس ، ولتعميم الاصلاح خطة ، تسقط « الرسالة » في ميدان الجهاد الثقافي صريعة بعد ان انكسر في يدها آخر سلاح، ونفد من مزودها آخر كسرة »!

بهذه البداية المفعمة بالمرارة أعلن الاستاذ الزيات نهاية « الرسالة » ، ثم انتقل بعد ذلك الى الحديث عن محنة الصحافة الادبية في مصر وما سبقها من مقدمات ، خلاصتها ان الادب يخاطب القلة و« ليس وراء القلة مال يبتغى ولا جاه يرتجى ، وانما سبيل المال والجاه لمن ارادهما ، العامة يستميلها بالتهريج ، والسياسة يستغلها بالدجل ، والحكومة يستدرها بالملق . والعدة الى ذلك يسيرة المنال : حنجرة صلبة تخطب ، ويراعة مداهنة تكتب ، ونية فاسدة تملي ! ولو أرادت « الرسالة » زهرة الحياة الدنيا لعرضت ضميرها للبيع وقلمها للايجار ، ويومئذ تتحول أكداس الورق في مطبعتها العجيبة من اوراق طبع الى اوراق نقد » ... وعندما انتقل الاستاذ الزيات مرة اخرى الى الحديث عما أصاب « الرسالة » و « الثقافة » من فشل وما تعرضتا له من خذلان ، لم يشأ ان يحمل التبعة على القراء وإنما حملها على الحكومة بوجه أعم وعلى وزارة المعارف بوجه أخص ، لأن كلتيهما قد أرهقت الصحافة الأدبية حين تعسفت الأولى في فرض الضرائب وحين تخلت الثانية عن مد يد المساعدة، وكأنه لا فرق هنالك بين صحافة رسالتها تثقيف العقول وتهذيب المشاعر ، وبين صحافة رسالتها ملء الافواه بالضحك وإثارة الغرائز بالصور العارية !

رأي الدكتور طه حسين

في ذلك اليوم الذي ظهر فيه مقال الاستاذ الزيات لم يكن للقراء حديث غير احتجاب « الرسالة » ... لقد احدث المقال من الدوي ما شغل الافواه وأثار الخواطر وحرك الاقلام ، وأشعل نار معركة أدبية بدأها الدكتور طه حسين بمقال ملتهب على صفحات « الاهرام » ، حيث قال وهو يشير الى اثر المحنة في نفسه ويتجه بحديثه اللاذع الى دعاة الادب الجديد : « لقد رأيت مصرع صحيفتين ادبيتين في شهر او في اقل من شهر فضاق صدري ومن حقه ان يضيق ، وثارت نفسي ومن الواجب عليها ان تثور ، ولم اكتب في هذه الصحيفة او تلك منذ عهد بعيد جداً ، فلم أغضب لقلمي ان كان لي قلم ، ولا لفني ان كان لي فن ، وانما غضبت لعقلي ، واحسب ان لي عقلا فقد كان يجد في هاتين الصحيفتين غذاء ومتاعاً ، وغضبت لعقول فريق من المصريين والشرقيين ، كانوا يجدون فيهما مثل ما كنت اجد من الغذاء والمتاع، وغضبت للثقافة العامة التي تشكو دائماً من انها لا تجد السبل ممهدة الى القلوب والضمائر والنفوس ، فقد خبا مصباحان من مصابيحها في هذا البلد الذي لا يكاد يمس اهله النور !... واني لأسأل نفسي لائماً لها ناعياً عليها،فيم أمليت هذا الحديث ! سيأخذ في قراءته قوم ثم لا يتمونه لأنه لا يتحدث إليهم عما يحبون ان يتحدث الكتاب اليهم ، وستبتسم ثغور وتظهر السخرية على بعض الوجوه ويقول مبتسم لمبتسم وساخر لساخر : ما الثقافة ! وما الرسالة ! هل قرأت هاتين الصحيفتين ? إحداهما او كلتيهما قط ? فيجيبه الآخر بل لم اسمع بهما ! وربما قال قائل : بل حاولت قراءة هذه او تلك فلم اطق على قراءتها صبراً ، ولم اجد للنظر فيهما نشاطا ! وسيضيق قوم اخرون بهذا الحديث اشد الضيق لمجرد النظر فيه وسيقول بعضهم لبعض : دع الشيوخ يرثوا أدب الشيوخ،فانحن وهذا الرثاء ، بل ما نحن وهذا الادب الذي بعد به العهدوأكل الدهر عليه وشرب » ?!

ان هؤلاء الذين يعنيهم الدكتور طه حسين بكلماته اللاذعة ، هم فئة من شباب الادب قد اتخذوا من الصفحة الاخيرة في جريدة « المصري » ميداناً لجولاتهم الفكرية، حيث عقب بعضهم على احتجاب الثقافة والرسالة بأن القراء

في المملكة الاردنية الهاشمية

- عقدت اللجنة الثقافية في المنتدى العربي بعمان حلقة فكرية بحث خلالها موضوع (هل المشاريع الخيرية حل صحيح لمشاكلنا الاجتماعية?) اشترك فيها عدد من اعضاء واصدقاء المنتدى .

- اتفق السيد محمد اديب العامري وكيل وزارة المعارف الاردنية مع الجامعة الاميركية على تزويد كلية العلوم المقرر انشاؤها في عمان في العام المقبل بالاساتذة الاكفاء .

- يصل يوم ٢٨ الجاري الى عمان المستر نيفل كوجهيل الاستاذ في الادب الانجليزي وسيلقي عدة محاضرات اثناء زيارته للمملكة الاردنية الهاشمية .

- زار السيد محمود العزب موسى ممثل نقابة الصحافة المصرية السيد توفيق ابو الهدى رئيس مجلس الوزراء الأردني وبحث معه موضوع عقد مؤتمر عام للصحافة العربية في القاهرة . وقد رحب الرئيس بالفكرة لما تهدف اليه من رفع مستوى الصحافة والدفاع عن حقوقها . وتأليف اتحاد عام للصحافة العربية .

- يغادر عمان وكيل وزارة المعارف الاستاذ محمد اديب العامري في بعثة الى لندن ، للاطلاع على المعاهد وامور التعليم هناك .

النشاط الثقافي في العالم العربي

قد انصرفوا عن هاتين الصحيفتين ، لأنهم ضاقوا بالأدب القديم واصبحوا يتطلعون الى ادب جديد ... ولهذا فقد عاد اليهم الدكتور في موضع آخر من مقاله ليقول في الرد عليهم منتهياً الى تحديد التبعة التي دار حولها مقال الزيات :

« ثم يمضون في حياتهم كأن لم يعرض لهم شيء ومع ذلك فقد عرض لهم شيء عظيم ، عرض لهم انهم صرفوا عن الادب صرفاً واصبح الادب بينهم غريباً لا يجد الى البقاء بينهم سبيلا ، فاذا لم يلوموا انفسهم على تقصيرهم المنكر في ذات الادب فسيلومهم ابناؤهم واحفادهم لأنهم اضاعوا ما كان يجب الا يضيعوا ، لأنهم اؤتمنوا على جذوة الادب العربي ، فلم يحفظوا الأمانة ولم يؤدوها إلى الاجيال المقبلة ولم ينشئوا مكان الادب الذي اهملوه ادباً جديداً ، وانما انشأوا لهواً ولعباً ، ويسرهم اليوم ويسوءهم ويسوء ابناءهم واحفادهم غداً ! وما اريد ان الوم الحكومة لانهـا لا تعين الأدب كما لامها الزيات ، فان على الحكومة واجبات اخرى عاجلة قد تشغلها عن مثل هذا الواجب الذي هو مفروض على الناس لا على الحكام ، فقد انقضى العصر الذي كانت الحكومات فيه تحمي الادب ، وتعينه على البقاء والنماء ، وانما الوم الحكومات لأنها تقصر في ذات الادب تقصيراً خطيراً فهي لا تحميه من عبث العابثين ، ولا تصون حقوقه من عـدوان المعتدين ، ولا ترد عنه بغي الباغين ، ثم هي في الوقت نفسه تلح عليه بما تفرض من الضرائب وتلح عليه بما تثقل من جباية الضرائب . والغريب – ولكني اصبحت لا اجد شيئاً غريباً في مصر – ان الحكومة تفكر بين حين وحين في اعفاء بعض الصناعات من ضرائب الاصدار لتشجع نموها ، وفي اعفاء بعض الواردات من ضرائب الايراد لتيسر ورودها ؛ تنظر الى حياة الناس المادية ، الى طعامهم وشرابهم ولباسهم ، فأما حياة عقولهم وقلوبهم واذواقهم واخلاقهم ، فهي لا تخطر للحكومة على بال » !!

رأي الاستاذ عباس محمود العقاد

وانتهى الدكتور طـه حسين من حديثه الاول عن محنة الادب ليبدأ الاستاذ عباس محمود العقاد ، وها هو بعد ذلك بيومين يتناول المحنة من اهم اطرافها فيقول ايضاً على صفحات « الأهرام » :

« ان ما يقوله زميلنا العلامة الدكتور طه حسين صحيح ، فما ينبغي ان يعتمد الادب على سلطان الحكومة اذا استطاع القراء ان يقيموه ويتكفلوا بقوامه ، وعلى قدر استقلال الادب بقرائه يكون استقلال الفكر واستقلال الاقلام في مناحي التفكير ، وما خلق الله نعمة على الانسان اغلى من استقلال الافكار والاقلام . ولكن الصحافة الادبية والعلمية التي تخدم العقول ولا تخدم الاهواء والشهوات ، تـؤدي عملاً شبيهاً باعمال الوزارات التي تتولى نشر المعارف ومحاربة الجهل والامية ، فهي على نحو من الانحاء تعين الحكومات على واجبها ومن حقها لهذا ان تعان على البقاء . وقد يكون من لواحق التعليم ان تزود المعاهد والمدارس بأمثال هذه المجلات كما تزود بكتب المطالعة والمعارف العامة ، فانها مادة واحدة من مواد الدراسة العصرية على الخصوص . واذا كانت المنفعة الادبية غالبة على المنفعة المادية في هذه المجلات جميعاً ، فان الضرر من ارهاقها بالضريبة اكبر من كل فائدة تجنيها خزانة الدولة من فرض الضريبة عليها ، ويكفي دليلا على استحقاقها للاعفاء من الضريبة انها لا تجني ربحاً يمكنها من البقاء ، ولو كان لها مثل هذا الربح لما احتجبت واحدة بعد اخرى عن الظهور !

خسارة محزنة ان تحتجب المجلتان الرائدتان لصحافة الادب في العالم العربي كله ، بعد ان صابرتا الايام نحو عشرين سنة . ولا نظن ان الحيلة تضيق بدفع هذه الخسارة ، وهي شيء يعني نحو اربعين مليوناً من ابناء الامم العربية ويذكر في تاريخهم الادبي ولا مراء » !

استمرار المعركة ...

واتسع بعد ذلك نطاق الجدل والمناقشة حـول محنة الصحافة الادبية ، واختلفت الآراء في اسباب هـذه المحنة وتعددت وجهات النظر بين اصحاب الاقلام ... رأي يلقي التبعة على الحكومة ، ورأي آخـر يتهم القراء ، ورأى ثالث يهاجم الادب القديم الذي حملت لواءه الرسالة والثقافة ، ويستشهد على موت هذا الادب باندحار الصحيفتين الأدبيتين في ميدان الكفاح الثقافي ! اما اصحاب هـذا الرأي الاخير فقد أثاروها معركة بـين الادب الجديد والادب القديم ، او بين ادب الشباب وادب الشيوخ ، وكان ذلك ايضاً على صفحات جريدة « المصري » ... انهم يتهمون ادب الشيوخ بأنه ادب متخلف لم يعد يساير روح العصر ولم يعد يعبر عن مشكلات المجتمع ، ولهذا بعدت الشقة بينه وبين اذواق الجماهير وانقطعت الصلة التي تربط بينه وبين مشاعر الكادحين. عندئذ عاد الدكتور طه حسين مرة اخرى ليواجه الثائرين عـلى صفحات « الأهرام » ، مدافعاً حيناً ومهاجماً حيناً آخر... قال الدكتور في معرض الرد على شباب الادب :

« ما هو ادبهم الجديد الذي يدعون اليه ؟ ان بين يدي من كتب الشباب لألواناً مختلفة وددت لو استطيع ان افرغ لها فراغاً تاماً ولن يستطيع الشباب المنصفون ان ينكروا اني اقرأ آثارهم منشورة ، فاشجعها وادعو الى قراءتها واقرأ آثارهم مخطوطة فألتمس لها وسائل النشر . كان ذلك رأيي دائماً ولعلي كنت اول من قدم اديبنا الكبير توفيق الحكيم الى القراء حين كان من الادباء الشباب . واحب ان اعلم اجديد ادب توفيق الحكيم ام قديم ؟! وما عسى ان تكون خصائص الادب الجديد ، واريدها خصائص واضحة جلية لا غامضة مبهمة . أيكون الادب الذي يصور حياة المصريين في هذا العصر ، يصور بؤس البائسين وجهل الجاهلين وسذاجة اصحاب السذاجة وطموح هؤلاء جميعاً الى حياة خير من الحياة التي يحيونها ، وطمعهم في شيء من العدل والسعة والدعة وتأثرهم بالحياة المادية الجديدة التي تغزو بلادهم وتطورهم ليلائموا هذه الحياة الطارئة ، وليوطنوا منها ما يلائم طباعهم وامزجتهم واخلاقهم واقليمهم ، ايكون الادب الذي يصور هذا كله جديداً ام قديماً ؟ فان كان جديداً فهل من الحق ان الشيوخ لم يشاركوا فيه ولم يسبقوا اليه ؟ واذن فمن اين جاءت هذه النهضة ؟ ومن اين جاءت هذه الثورة ؟ اترونها هبطت من السماء ؟ ام نجمت من الارض ؟ ام جاءت من غير شيء ؟! وان كان قديماً فما عسى ان يكون الادب الجديد الذي يدعون اليه ؟ ... ولم لا يقولون الحق ! لم لا يقولون انهم يريدون الادب الذي لا يكلفهم حتى القراءة الخاطفة والفهم الخاطف والحكم السريع ... وهذا الادب الذي يتمنونه لا سبيل اليه لأنه لا يوجد في بلد ما من بلاد الارض فالأدب والكسل لا يلتقيان والادب واليسر لا يجتمعان ، والادب عناء في الانتاج وعناء في الاستهلاك كما يقول اصحاب الاقتصاد ، والادب لا يشرب كما تشرب القهوة ولا يحرق كما تحرق لفافات التبغ ، والادب لا يكون ادباً حتى يبذل فيه صاحبه خير ما عنده ليؤديه ويبذل قارئه خير ما عنده ليفهمه. فأما الكلام الذي لا يشغل قارئه عن نفسه ولا عما حوله ومن حوله ، فليس من الادب في شيء ... ان الأدب في محنة ، وان احتجاب الرسالة والثقافة عثرة كما قال الأستاذ العقاد لهذا العام الجديد نرجو مخلصين ان تقال » !!

هذا وما تزال معركة الجدل حول الادب القديم والادب الجديد دائرة ، وما تزال هناك اقلام جديدة تخوض المعركة وتشارك في النضال .

سوريا

حول فن الرسم في سوريا

ما اصعب حياة الفنان اذا كان موهوباً ومغموراً، يمضي عمره بانتاج بضاعة لا يبالي بها إلا قلة من الناس ، ويجد اهمالا من اكثر افراد شعبه بالاضافة الى اهمال الحكومة له كما يحدث في كثير من البلاد، ولكنه رغم ذلك يعمل بصمت دون ان يطلب جزاء او شكوراً ، ويهب ايامه ، ووجوده ، لأمر واحد هو الفن ، وكأنه لا يريد الا ان يبدع فيما خلق لاجله : الخير والحق والجمال .

إن ما يدفعني الى كتابة هذه الكلمات هو رغبتي في ضم صوتي الى الصوت الذي دوى في حقل النشاط الثقافي في العدد الاول لهذه المجلة التي عرفت بذلك الصوت رسامي سوريا الى الجمهور العربي تعريفاً مد بالكثير من التشجيع والتقدير هذه الفئة التي يعمل بعضها ساعات تلو ساعات في مراسمهم خدمة لقوميتهم ووطنهم باسمى نواحي نشاطها ، فلذا فان تقدير اعمالهم وتشجيعهم واجب كبير على عاتق كل مواطن، وأذا اننا لا نفعل الا امراً بسيطاً جداً حين نعلن للناس شاكرين جهودهم وخدماتهم السامية .

لاحظت بعد قراءة حقل النشاط الثقافي في سوريا (العدد الاول من الآداب) ان المراسل الذي عالج فن الرسم في سوريا قد اغفل ناحية هامة في كلامه عن تطور هذا الفن ، وسبب ذلك على ما اعتقد هو عسر عمل المراسل واضطراره الى الايجاز دوماً ، ايجازاً قد يؤدي احياناً إلى نقص لا بد من تلافيه . فقد ذكر المراسل بلمحة سريعة في التطور المذكور ادوار الفنانين السوريين الذين قدموا بجهودهم غذاء عمل على تنمية هذا الفن وايقافه على قدميه ، فاغفل عاملين رئيسيين او بالاحرى دور فنانين اثنين متنافسين ، كل منهما يخالف الآخر في الشعور والاسلوب ، كان ولا يزال لهما اكبر الاثر في ايقاظ شعور الجمهور ودفعه الى الاحساس الفني في هذا المضمار ، وذلك بما عرضاه من لوحات استأثرت لاول مرة في سوريا استئثاراً كبيراً بالقلوب .

فالفنان جلال خريج معاهد ايطاليا والذي اغفل دوره في المقال اغفالاً تاماً ، اخذ بعد تخرجه يعرض لوحاته التي تختلف كثيراً عن الفنانين الذين سبقوه ، من حيث متانة التركيب وقوة التعبير ، فاذا بالهواة ومحبي هذا الفن والكثيرين ممن كانوا ينظرون الى فن الرسم اليدوي نظرة بسيطة ، اخذوا يشعرون ان له سحراً عجيباً بدا نوره ينبثق لهم من خلال لوحاته ، فاذا بمواضيعه تخدم فن الرسم في سوريا خدمة لا تنكر . ولكن ما كاد عام ١٩٤٨ يطل حتى وقف في وجهه فنان آخر نال شهادة الليسانس من معهد شرقي لا غربي وهو (معهد الفنون الجميلة العليا في القاهرة) ، وهذا الفنان هو ناظم الجعفري الذي كان تخرجه وتخرج الفنان نصير شورى في سنة واحدة ومن نفس المعهد ، وقد اصبح الجعفري في مدة وجيزة النافس الوحيد لجلال . واخذت هذه المنافسة تشتد مما أدى الى خير في كبير ، نشعر بآثاره الآن بما انتشر وانبعث في قلوب كثير من الجماهير وخاصة الهواة والناشئين من حماسة وتيقظ وشعور نحو هذا الفن وخاصة في دمشق وحلب، ثم في حماة واللاذقية والسويداء،

ولا نكون مغالين اذا قلنا ان هذين الفنانين اصبحا رائدين لاغلب الشباب الذين يرغبون في العمل تحت لواء فن الرسم، لما في اسلوبيهما المختلفين من وضوح وجمال يجذبان ويستأثران بشعور اغلبية الناشئين . واذا قمنا بنظرة عامة نجد الكثيرين منهم ينقسمون قسمين ؛ احدهما ينضوي تحت لواء جلال والآخر تحت لواء الجعفري ، فالاول يحاول دوماً ان يتبع في التلوين والتكوين اساليب ميكلانج ودافنشي ويستمد موضوعاته من الحياة العامة في سوريا ، ريفية كانت او مدنية او طبيعية . واما الآخر فانه ينقل الواقع ، اشخاصاً كان او مناظر طبيعية بطريقة تأثرية من حيث التلوين وليس من اصل الجوهر، لأن التأثري كما هو معلوم في الرسم يحذف كثيراً من الواقع ويضع اللون قرب الآخر ليكون منها اللون المراد . اما الجعفري فانه يحاول ان يحافظ على الواقع وان يلون بالطريقة التأثرية. فكثيراً ما نجد اذا تأملنا لوحاته انه يظهر الاخضر مثلًا بوضع الاصفر قرب الازرق ، ويحاول دوماً ان يطبع نفسيات اشخاصه على ملامحهم واشكالهم الظاهرة فيغور في نفوسهم ويفرشها على مظاهرهم .

ويلاحظ في هذين الفنانين في المدة الاخيرة ان انتاج جلال بدأ يقل ولكن اللوحات التي يظهرها بين حين وآخر لا تزال محافظة على ما عهد فيها من اتقان ، بينما نجد في منافسه الجعفري كثرة في الانتاج ، كثرة تستند الى دراسات تنبيء عن مجهود متواصل وتقدم فائق . فعسى ان اكون قد اتممت بهذه اللمحة الفكرة المطروقة في المقال لتكون الصورة المأخوذة عن تطور فن الرسم في سوريا اقرب ما تكون الى الكمال .

دمشق   وهبي

النشاط الثقافي في الغرب

ايطاليا

أدب اليوم

يبدو ان الادب الايطالي (١) قد بلغ الآن مرحلة حاسمة من مراحل تطوره . ولكي ندرك تماماً اهمية القضايا التي يتطارحها الآن خير كتاب ايطاليا ، فمن المرغوب فيه ان نعيد الى الاذهان المشاعر التي أحيت هذا الادب الذي وصفوه بالادب الواقعي الجديد Neoréaliste فمنذ عشرة اعوام ، ما فتيء هذا الادب يفيد من حرية الضمير وحرية التعبير اللتين اكتسبها مع انهيار العهد الفاشيستي . وقد تمكن الروائيون الايطاليون بعد ان اكتشفوا وسائل جديدة للتعبير خلال مراقبة واقع مضطرب ومريرغالباً ، من ان يقدموا لنا صوراً حية لبلاد كان الشقاء والحب والمنازعات السياسية والاجتماعية والسوق السوداء والحرب تشكل إطاره الرئيسي . وقد كان هذا الادب الغنائي إجمالاً يستجيب لحاجات عصره : فكل انسان كان يشعر بانه قد تحرر وبأنه سعيد بالرغم من قلة موارده وعدم اطمئنانه الى مستقبله . كل انسان كان يحاول ان يعيش اعمق ما يكون العيش ، بالرغم من ان ظروف هذه الحياة فاجعة غالباً .

على ان الفرحة كانت موقتة . فان عشرين عاماً من الديكاتورية لا بد ان تترك آثاراً عميقة في حياة شعب وفي روحه . وقد حاول الكتاب آنذاك ان يحللوا اسباب التغيرات التي حدثت إثر التحرير . وكان يبدو ان كلاً منهم كان يود ان يلتمس لنفسه الاعذار من شعور بالإذناب لا يتوصل الى شرحه. وكان من الواجب خلق سلم جديد للقيم الثابتة المنهجة ، وادراك حقيقة جديدة معقدة ، وهدم كل التباس في الشعور . وقد صدرت في هذه الفترة كتب مختلفة الموضوعات ككتاب « الانكليكاني » بقلم ا . مورافيا ، و « الساعة » لليفي و « المذكرات » لألفارو ، « نساء مسينا » لفيتوريني ، وكلها كتب عميقة ذات مغزى بعيد ، ومع ذلك ، فقد كانت قليلة تلك الكتب التي تناولت معنى هذه الحرية التي كانوا دائماً يدافعون عنها . وهم لم يشعلهم مطلقاً البحث عن الجدارة الانسانية ، باستثناء بعض الفلاسفة من تلامذة « كروتشي » الذين حاولوا ان يبلغوا لوناً من الحقيقة كان من شدة التجريد بحيث لا يلائم حاجات جيل واع وثائر يطمح الى وحدة خلاقة . ومن الغبن ان تنتقص من اهمية الادب الايطالي الذي صدر بعد الحرب ، ولكن عليه ان يعمق ويتسع في المدى ليبلغ سابق نجاحه . وتبعاً لذلك ، يبدو ان ازدهار الادب الايطالي متوقف على بذل جهد كبير هدفه الاول جلاء الانسان في قاب الاشياء ، اي خارج اي ضغط ديني او سياسي . فهل نشهد قريباً تفتح نزعة انسانية جديدة في الادب الايطالي ؟ ان الحركة لم تبلغ بعد الوضوح الكافي ، ولكن كتاب كورادو الفارو الأخير « الامل وعصرنا » يرهص بضرورتها الملحة . ففي هذا الكتاب الذي يضم خمس عشرة دراسة ذات اهمية كبرى ، يرسم ألفارو مخطوط مجتمع وعصر ، وهو يعتقد ان من الضروري استعادة ينابيع الانسان ، مهما ظهرت ضعيفة ، ما دامت الكبرياء هي الشر الاول الذي ما فتيء يتهدد وحدة مجتمعنا . وربما كانت الرواية التي يضعها الآن بعنوان « كل شيء قد حدث » تمثيلاً لهذه النظرية .

واما كارلو ليفي فيعد الآن كتاب « رحلة الى ايطاليا » وفيه يتابع تصيد الأشياء اليومية التي تكمن فيها ، كما يعتقد ، النزعة الرئيسية من الحادث الأنساني . ويشتغل البرتو مورافيا في رواية غرامية « شبح الظهر » تقف فيها بساطة العواطف الحية تجاه تعقد شخصيات الابطال الذين يرفضون الاعتقاد بعبث وجودهم . وقد صدر لسيزار بافيز بعد موته كتاب « مهنة الحياة » ، وهو مذكراته من عام ١٩٣٥ الى ١٩٥٠ ، وهو يحتوي على صورة واضحة للمشكلات التي يحاول كل كاتب ايطالي ان يحلها : ففيه لهجة ثورية وارادة لتثبيت الشخصية شديدة الطهور . وقد كان بافيز يشعر بان على ادب بلاده ان يغير وجهته : فهو يأخذ عليه افراطه في التعلق بفكرة الجمال وشدة انغلاقه دون فكرة « المقدس » كما تظهر في خير آثار الكتاب الكلاسيكيين اليونان. والواقع ان كتاب بافيز يمكن ان يعتبر اول نصب في الطريق الذي ينبغي للأدب الايطالي الجديد ان يسلكه .

وازاء هؤلاء المؤلفين المشهورين ، يدور عدد من الكتاب الشباب حول حركة فكرية جديدة تجهد في قطع العلاقات بالأدب التقليدي وتناهض التجزئة الفكرية التي تشكو منها كل مقاطعة من شبه الجزيرة الإيطالية ، وان كتبا مثل « نمل تحت الجبهة » لريمو لوغلي و « ايام ألب الثلاثة والعشرون » لبيب فانوغليو ، و « مذكرات جندي بسيط » لبول لوناردي و « دموع حواء » لباولو ميرليتا تكشف لنا عن مواهب حقيقية انلم تكتسب بعد متانة الأسلوب ونضج الفكرة اللذين يظهران في آثار الفارو وفيتوريني ، فانها تتميز على الأقل بانها كتب شخصية فيما هي لا تخرج عن خط اولئك المعلمين . ونذكر كذلك رواية ناتاليا جيسبورغ الأخيرة وعنوانها « جميع آماسنا » وهي دون ريب من خير الكتب الإيطالية المنشورة في الأشهر الأخيرة . ولنشر اخيراً الى ان دار « لا تيرزا » للنشر أخرجت أخيراً كتاب « دراسات نقدية » من تأليف فرنسيسكو دو سانكتيس المفكر الشهير وفيه تعليقات وحواش للبروفسور لويجي روسو .

انكلترا

١ . صراع مع الشيطان

صدرت اخيراً في لندن ترجمة انكليزية لرواية « السماء والأرض » التي وضعها الكاتب الايطالي الشهير كارلو كوشيولي Carlo Coccioli . والرواية عبارة عن درس لشخصية كاهن يدعى دون آرديتو بيكاردي Don Ardito Piccardi ، وهي شخصية معقدة يفتن القاريء ان يتتبع صراعها مع الشر . والواقع ان الصراع مع الشر يصبح هنا ، شأنه في بعض كتابات اندريه جيد ، أهم بكثير من التغلب عليه ، فأنت تسمع الى دون آرديتو يحدث زميلاً له ، مثلاً ، فيقول : « ان المجتمع المسيحي الصحيح لا

(١) من مقال لـ « فيفيان هولاند » نشرته Les Nouvelles Littéraires في عددها ١٣٢٦ .

النشاط الثقافي في الغرب

يعدو أن يكون ناراً لافحة . » ومن هنا فليس من الغريب ان يحس دون آرديتو وكأن الشيطان تحت إبطه أبدا . والذي يبدو ان التفهم الذي يغمر يه المؤلف هذه الشخصية المعذبة هو الذي يجعل من رواية « السماء والارض» كتاباً بعيد الأثر في نفس القاريء .

٢ . حول تجارة الكتب

وصدر ايضاً كتاب وضعه مؤلفه بعد خبرة خمس وعشرين سنة في بيع الكتب بلندن واكسفورد، بعنوان « بيع الكتب » لتوماس جوي ، وقدمه الى المعنيين بهذه التجارة تبصرة لهم بأصولها وقواعدها .

والحق ان المؤلف يثير في كتابه هذا قضايا خطيرة وطريفة معاً . فنه نفهم ان من المتعذر في كثير من الأحيان ان يكتفي المرء ، في انكلترة ، ببيع الكتب ، فهو يفرد لهذه البضاعة جانباً من محله ، طمعاً في زيادة أرباحه، ومن أجل ذلك نرى الكتب تباع ، في الأعم الاغلب ، في المخازن العامة التي تبيع كل شيء تقريباً . وليس ينتظر في مثل هـذه الحال ان يحظى الكتاب بالخدمة الصادقة التي كان يمكن ان يحظى بها لو وجد كتبياً يفرغ لبيعه جهده كله ويؤمن بأن هذا الجهد جدير بأن يكفل له رزقه كاملاً. ذلك بأن الكتب ليست سلعــاً بالمعنى الذي يفهم من سائر عروض التجارة . فكل كتاب من آلاف الكتب الميسورة في وقت معين هو بضاعة مستقلة تحتاج العناية بها ، في ذكاء ومشاركة وجدانية، الى كامل وقت التاجر ومستخدميه ، وهو ما لا نقع عليه فيبريطانية ، هذه الايام ، إلا نادراً مع الأسف .

كذلك نفهم من هـذا الكتاب الطريف ان الكتبين الانكليز أخذوا يضيقون ذرعاً بغزارة الانتاج الشهري من الكتب ، وانهم يضطرون الى شراء نماذج منها جميعاً سواء أبيعت هذه الكتب إم لم تبع . ويقول المؤلف هنا ان قطعة القماش قد تباع عاجلاً او آجلا ، ولو بشيء من الخسارة ، ولكن هـذا لا يصح في الكتاب « الميت » الذي يعتبر اكسد العروض التجارية وأبعدها عن حياة . ثم يقـترح زيادة الحسم تلافياً للخسارة التي يقـع فيها الكتبيون ، ويشير الى ان دور النشر في بعض البلدان الأوروبية تصطنع قاعدة (بع أو أرجع) ، وبذلك يستطيع الكتبي ان يتسلم خمسين نسخة من كتاب ما ، من احدى دور النشر ، من غير ان يدفع ثمنها ، حتى اذا باعها دفع قيمتها او قيمة المبيـع منها ، ورد الباقي الى الناشر . وهي طريقة شائعة عندنا في البلاد العربية على ما احسب . ولكن الناشرين البريطانيين لا يرحبون بها كثيراً ، كما يقول الاستاذ جوي .

٣ . كتب سوف تصدر قريباً

● سيكون عنوان كتاب هربرت ريد القادم « صوت الشعور الصحيح » The True Voice of Feeling ، وهو منتزع من احدى رسائل الشاعر كيتس، وفيه اشارة الى ذلك التميز بين أشكال الشعر البلاغية واشكاله الطبيعية، الذي كان له منذ الحـركة الرومانتيكية اثر بعيد في الادب ، وما يزال . ويتوسع الاستاذ ريد في كتابه هذا في الفكرة القائلة بأن الحركة الرومانتيكية أدت الى خلق مفهوم جديد واكثر حيوية للأدب ، بوصفه تعبيراً عن الوعي الانساني . ومن طريق دراسة شاملة للشعر الانـكليزي الحديث من خلال وودسوورث ، وكيتس ، وهوبكنز ، وهويتمان، وييتس ، يتتبـع المؤلف تطور « الشـكل العضوي » في الشعر منذ نشأة الفكرة عند كوليريدج واولئك الفلاسفة الجرمان الذين اثروا في تفكير كوليريدج .

● كذلك سوف يصدر قريباً في لندن دراسة جديدة لكبار الشعراء الرومانتيكيين على ضوء المقاييس النقدية الحديثة . وستشتمل هذه الدراسة على تقييم جديد لأعلام المدرسة الرومانتيكية الانكليزية من مثل ووردسورث، وكوليريدج ، وبايرون ، وشيـلي ، وكيتس . اما مؤلف الكتاب فهو غراهام هوغ

● وفي سلسلة جديدة تدعى « تاريخ الفكر الاشتراكي » يعكف الاستاذ كول Cole هذه الأيام على وضع تاريخ عام لتطور الفكرات الاشتراكية عـلى ضوء الاحداث العالمية منذ الثورة الفرنسية الكبرى ، وسيشتمل الجزء الاول من هذه السلسلة على تطور الفكرة الاشتراكية في فرنسة من بابوف Babeuf الى برودون Proudhon وتطورها في المانية من فيخته والهيجيليين الى التشكلات الاولى للمذهب الماركسي ، كما تنظر ايضاً في تطور الفكرة الاشتراكية في بريطانيةمن باين Pain وغودوين Godwin الى روبرت أووين Owen .

وهكذا يقف الاستاذ كول بالجزء الاول عند منتصف القرن التاسـع عشر (١٨٥٠) . أمـا الجزء الثاني من السلسلة فسوف ينتظم الكلام على النصف الثاني من ذلك القرن ، في حين ينتظر ان يخصص جزءاً ثالثاً (وربما جزءاً رابعاً أيضاً) للانتهاء بالقصة الى ايامنا الحاضرة .

روسيا

١ . الموسم الموسيقي

كان موسم الحفلات الموسيقية ، في موسكو ، الى ما قبل وفاة المرشال ستالين في أوج القوة والنشاط .

فبعد حفلات الموسيقى الخفيفة التي اعتادت موسكو ان تشهدها في اشهر الصيف ، وفي الهـواء الطلق، اندفع هواة الموسيقى فيشوق بالـغ الى الكونسرفاتوار الوطني ، وقاعـة تشيكوفسكي ، وقاعة الاعمدة الرحبة وغيرها من قاعات العاصمة ونواديها الموسيقية ليصيخوا إلى روائع الموسيقى الكلاسيكية الخـالدة .

وقد تميز مطلع الموسم بنشاط نفر من اصحاب المواهب الناشئة . فضجت ارجاء الكونسرفاتوار بأصداء الروائع العالمية يعزفها للنظارة، على البيانو، عدد من عازفي الشباب البارعين أمثال تامارا غوسيفا ، وستانيسلاف نويهاوس ، وغليب آكسيلرود ، وليونيد زيوزين ويفجاني مالينين. وقدقدمهذا الاخير، على وجه الخصوص ، « الكونسيرتو الثانية » لراشمانينوف في حـين كان غليب آكسيلرود على أحسنه في تقديم موسيقى ليست . اما عزفه « الفالس المنسي » الثاني و « الكامبانيلا » فكانت تحف به طراوة تأخذ بمجامع القلوب . كذلك نجح هؤلاء الموسيقيون الشباب في تقديم باقة من روائع باخ وبيتهوفن وشوبان وتشيكوفسكي وسكريابين في براعة وإحساس .

النشاط الثقافي في الغرب

وقد تميزت قيادة جنادي روزدستفنسكي لبرنامج مؤلف من قطع لتشيكوفسكي وبراهمس وراشمانينوف بكثير من الضبط الواثق، والمزاج العبقري.

ولكن هذا لا يعني ان الموسيقيين الشباب قد حجبوا في هذا الموسم انوار الموسيقيين الذين طالما استأثروا بحب الجمهور في العاصمة. فقد قدم عازف البيانو الشهير سفيياتوسلاف ريشتر بعض روائع تشيكوفسكي وموسورغسكي فبلغ غاية الاجادة. حتى اذا انتهى من عزف « صور من معرض » ضجت القاعة بعاصفة هائجة من التصفيق.

وأعجب النظارة كثيراً بحفلتين كبريين قدمها موسيقي لينغراد الكبير ييفجاني مرافنسكي. وقد اقامتا دليلاً جديداً على استاذيته في القيادة، تلك الاستاذية التي تمتاز بالقوة وعمق التأثير.

وستقدم في البرامج المعلن عنها للأسابيع القادمة روائع من موسيقى بيتهوفن وبراهمس وموتزارت وغلينكا وتشيكوفسكي، وموسورغسكي ومن موسيقى نفر من المؤلفين السوفيات والغربيين من أهل العصر الحاضر.

هذا وقد شهدت العاصمة أخيراً سلسلة من الحفلات الموسيقية استأثرت باعجاب الجمهور سواء من ناحية المؤلفات المعزوفة او من جهة مستوى الأداء. وانما قدمت هذه السلسلة ضمن ما يعرف ببرامج الصداقة مع البلدان الأجنبية.

ففي قاعة تشيكوفسكي قدمت « فرقة الاوركسترا السيمفونية للأتحاد السوفياتي » روائع من الموسيقى البولندية ممثلة في أشخاص اقطابها شوبان، ومونيوسكو وفينياوسكي ونوسكاوسكي.

ثم جاء دور الموسيقى التشيكية. فقدمت اوركسترا الموسيقيين الشباب بقيادة البروفسور آنوسوف Anosove برنامجاً متنوعاً وعسيراً تضمن السيمفونية الخامسة لدفوراك ورقصتين للموسيقى السيمفونية من وضع جاناشيك.

واشتمل برنامج الصداقة مع البلدان الاجنبية كذلك على مختارات من الموسيقى الفنلندية قدمت في قاعة كونسرفاتوار موسكو الكبرى فعزفت اوركسترا الاتحاد السيمفونية رائعة سيبيليوس « السيمفونية الأولى » بقيادة البروفسور آنوسوف، فاذا هي تترك انطباعات عميقة في نفوس المستمعين، شأن كونسيرتو سيبيليوس على الكمان وقد عزفها غالينا بارينوفا. ليس هذا فحسب بل لقد انطوت هذه المختارات الفنلندية على نماذج من موسيقى بالمغرين وابرزها « احلام الربيع ».

ثم ان البرنامج خص موسيقي المانية الشرقية بحفلة خاصة قدم فيها رباعي البروفسور بوس (المؤلف من جيرار بوس، وكارل سوسك، وهانس جيرهارت والبروفسور والتر شولتز) الرباعية الحادية عشرة لبيتهوفن والرباعية الأولى لشوستاكوفتش. وقد اجاد هوغو ستويرر في تقديم الكونسيرتو الايطالية لباخ، كما استحوذت ايفا فلايشر على استحسان الجمهور بما غنته من شوبرت وبراهمس وموسورغسكي.

٢ . في دنيا الرسم

احتفلت الاوساط الفنية مؤخراً بالذكرى التسعين لولادة واحد من اقدم الرسامين السوفيات، فاسيلي باكشيف، عضو أكاديمية الفنون.

كان باكشيف تلميذاً وزميلاً لنفر من الرسامين الروس الكبار أمثال ماكوفسكي، وبولينوف، وسافرازوف، وريبين، ولوفيتان. وكان من همه التماس الحقيقة والمعنى في الفن. ولعل مما يدلك على نزعته التقدمية انه كان عضواً عاملاً في « جماعة الفنانين الروس الواقعيين » الشهيرة التي نظمت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر معارض متنقلة تحمل الى جماهير الشعب اطيب ثمار الفن وأروعها.

ويحتوي معرض باكشيف هذا الذي افتتح في قاعات اكاديمية الفنون على نحو من مئة وخمسين اثراً فنياً. وليس ذلك من غير شك إلا جزءاً صغيراً مما ابدعه هذا الفنان في السنوات الخمس والستين الماضية.

ومن ابرز اثار فاسيلي باكشيف الاولى نشير بخاصة الى لوحاته « فتاة تطعم الحمام » (١٨٧٧) و « العودة الى الوطن » و « مهاجرون »، ونلاحظ فيها جميعاً تصوير الحياة بأمانة، والصلة الوثيقة بالشعب، وغنائية ناعمة في وصف الطبيعة.



« فتاة تطعم الحمام »

اما بعد ثورة اكتوبر، التي ادركت فاسيلي باكشيف فناناً ناضجاً، فقد اغتنى فنه بصور جديدة وموضوعات جديدة. ومن اشهر لوحاته في هذا العهد « عشية ٩ يناير » و « قبل العاصفة » و « اشعة الخريف » و « يوم من ايام الربيع » و « عشية صيف ».



بقلم

حسين مروه

الأدب الذي نريد : منير البعلبكي

يغتبط الأديب العربي التقدمي ، ان يفتتح واحد من اصحاب هذه المجلة، جزءاً من أجزائها ، بمثل هذه الفاتحة الواعية، وهو يضع عينه ويده على حقائق حياتنا العربية ، فيرى ، ويلمس ، ويحس هذه الحقائق غير مصروف عنها بوهم او خيال او غرور ، وغير مخدوع عنها ببارقة من « سراب » الأضاليل، وما اكثر ما يبعثون اليوم في صعيد حياتنا العربية من ألوان الأضاليل ...

ويغتبط الأديب العربي التقدمي كذلك ، ان يكون اصحاب هذه المجلة ، على وعي واستيعاب لهذه الحقائق الواقعة، وان ينظروا الى الأدب من هذا الأفق ، فيروا اليه انه رسالة والتزام ، لا ألهية وتسلية وترف، فاذا هو يعايش الحياة العربية في صعيدها الواقعي ، يتلدّع بآلامها ، ويتنوّر بآمالها ، ثم يحاول ان يبدع من الآلام قوة دافعة وإرادة واعية ، وان يجعل من الآمال صوىً ومعالم تتوضح بها الطريق الى الغاية ، فاذا هذه الآلام وهذه الآمال جميعاً قد استطاع الأدب ان يبني منها حياة جديدة لنفسه ، وحياة جديدة لقومه وشعبه .

وإنا لنأخذ من هذه الفاتحة ، ومن فاتحة سابقة لأحد اصحاب هذه المجلة ، حجةً عليها ، كلما رأينا منها انحرافاً عن هذا « المنهج » ، ونريد ان نقول لها ، كذلك ، انه ليس يعفيها هذا « التخطيط » من ان يتوافق الرأي والسلوك معاً في سيرتها الآتية كلها .

—

تجارب الديمقراطية العربية : محمد النقاش

يجد القاريء في هذا المقال تناقضاً ظاهراً بين هذه الصورة الصادقة المثيرة التي يرسمها الكاتب الفاضل لآثار المستعمرين الغربيين في حياتنا العربية ، وبين ما يريد ان يعترف لهم به من فضل « الاستعمار » المشتق من « العمران » وما يريد ان يدعونا اليه من الأخذ برؤوس أموالهم في استثمار ممكناتنا الاقتصادية.

فبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين طوال المدة التي تسلموا فيها مقدراتنا لنشر الديمقراطية الصحيحة ، ديمقراطيتهم هم التي يمارسونها في بلادهم ، قد تعاونوا دائماً مع الباشوات ومن في حكم الباشوات ، وخلقوا احياناً طبقة جديدة من الباشوات ، وأقاموا او شجعوا على قيام مظاهر وواجهات للديمقراطية البرلمانية ، فجاءت الدساتير ملغومة دائماً بسلطة ديكتاتورية لرئيس الدولة الذي كان يُفرض فيه الولاء لهم والتعاون مع مندوبيهم السامين .. الخ »

يهمّ « الآداب » ان تعيد القول هنا بانها تطلق لكتّاب هذا الباب الحرية كلها في الادلاء بآرائهم حول مقالات المجلة دون ان يكون في ذلك ايّ تعبير عن رأيها الخاص . فعلى الكاتب وحده تبعة مايقول، ولكل قاريء الحقّ في الردّ على الكاتب .

وبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين ، هم السبب دائماً في ان ظلّ العرب « وجهاً لوجه مع مشكلات قومية واقتصادية وسياسية » وهم الذين بعد ان اعترفوا باستقلال بعض البلدان العربية وسيادتها « تركوا فيها ، عن طريق معاهدات مفروضة ، أوتاداً أشد وطأة وخطراً من أوتاد جحا، وهذه الاوتاد ، التي من السخف والبطل تشبيهها بالمطارات الاميركية مثلاً على الارض البريطانية ، ليس من اقل آثارها انها تحفر في قلوب المواطنين أخاديد ملأى بذكريات الماضي ، ماضي الاستعمار البغيض ، وهذه الاوتار بالذات، هي التي كانت بمثابة حجر يلقى دائماً في مياه الحياة الداخلية العربية ليعكر صفوها ، ويجعل رواسبها تطفو على السطح ، فيختصم السياسيون ويقتتلون ويصرفون صرفاً عن ترتيب البيت وتجميله » .

وبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين هم الذين سددوا الينا « الضربة التي زعزعت الكيان العربي ،

وهدمت ركناً من أركانه ، ركناً كان يقوم وسط الهيكل هي إسرائيل » .

وبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين ، هم « الاقوياء الاجانب الذين استثمرونا وعبثوا بنا في الماضي » .

أقول : بينما يرى الكاتب ذلك كله في هؤلاء الغربيين المستعمرين ، إذا به يرى ان « جانباً من الخير حمله الغربيون الى هذه البلدان المحتلة ، جانباً جعل للاستعمار نصيباً من اسمه الصحيح المشتق من العمران » .

ثم إذا به يقول : « إننا في حاجة إلى كفاءات فنية والى رؤوس أموال من الخارج » محتجاً على ذلك باننا « لا نعيش في هذا العالم على حدة ، فيجب ان نمد أيدينا إلى كل هذا ، وان نفتح صدورنا ، وان نكبت في هذه الصدور كل ما أكنته من حقد وضغينة على الاقوياء الاجانب الذين استثمرونا وعبثوا بنا في الماضي ، فليس من سياسة سليمة تبنى على الاحقاد ، وقد ولى زمن العزلة والانطواء » .

يقول الكاتب هذا،مع انه يعلم حق العلم ان هؤلاء الغربيين المستعمرين الذين صور آثارهم السيئة في حياتنا العربية أصدق تصوير ، فيما سبق من قوله ، إنما كانوا السبب في تأخيرنا ،طوال هذا الزمن ، عن استثمار مواردنا استثماراً صحيحاً ، بصرفهم قوانا المادية والمعنوية الى التفكك الاجتماعي والانحلال الفكري والى الانقسامات الطائفية والاقليمية والعائلية ، فتعطلت أرضنا الخصبة عن الانتاج ، وظلت مساحات شاسعة منها مهملة قاحلة ، ثم انهارت صناعاتنا الوطنية التي كانت قائمة ، ولم تقم على انقاضها صناعات حديثة تلائم حاجاتنا ، وتطوّر حياتنا ، وتنسجم مع كنوز أرضنا المذخورة بالمواد الاولية للصناعة .

بلى ، لقد أقام المستعمرون في بلداننا عمراناً ، ولكنه العمران الذي هو مصدر خرابنا وانهيار مجتمعنا . لقد أقاموا القصور الباذخة لحفنة من الامراء والحكام والزعماء الاقطاعيين والماليين ، وخلقوا من هؤلاء طبقة جديدة أطلقوا لشهواتها العنان تمتص عرق الشعب العربي في كل اقطاره ، وتستحلب جهده ودمه وعصبه وبؤسه، مالاً وعقاراً وجاهاً ورفاهاً وبذخاً و « عمراناً » .

وإنه لعجب أن يدعونا الكاتب الفاضل إلى كبت الحقد والضغينة على هؤلاء المستعمرين، وهو الذي صور آثارهم السيئة فينا أصدق تصوير، وهو العارف حق العرفان ان الشعب الذي لا يحقد على مستعمري وطنه ، ومستثمري خيراته ، وناهشي لحمه ، وشاربي دمه وعرقه ، انما هو شعب لايستحق الحياة ،وهو شعب لن يقدر يوماً ان يتحرر ويستقل ويسود نفسه بنفسه ابداً .

وإنه لعجب كذلك ، أن يمزج الكاتب الفاضل بين الحقد والضغينة على المستعمرين ، وبين العزلة والانطواء ، وهو يعلم أوضح العلم أن الحقد والضغينة على المستعمر غير العزلة والانطواء، فنحن نستطيع ان نستغني بالكفاءات الفنية التي عندنا ، وهي كثيرة ، عن الكفاءات الأجنبية التي لا تأتي ، حين تأتينا ، الا لأغراض سياسية استعمارية لا صلة لها بالفن والخبرة قطعاً، ونحن نستطيع ايضاً ان نستغني برؤوس الاموال الوطنية لاستثمار مواردنا ، عن رؤوس الأموال الاجنبية التي لا تدخل حياتنا ، حين تدخل ، الا لابتزاز الارباح الباهظة ، وان هذه الرساميل الاجنبية الرازحة على صدورنا منذ زمن ، اظهر شاهد على ذلك ، فهل اجدتنا اكثر من انها تستولي على مرافق بلادنا الخيرة ، وتستدر خيرها من حيث تعطلها وتسيء اليها وتوجهها الوجهة التي لا تفيد منها البلاد شيئاً ؟

نعم ، نستطيع أن نستغني بكفاءاتنا الفنية ، وبرؤوس اموالنا الوطنية ، ثم نتعامل مع الاجانب أياً كانوا ، دون ما عزلة ولا انطواء ، ونحن محتفظون بالحقد والضغينة على كل اجنبي يقصد الينا باستعمار او استعباد أو استثمار ، لكي نستطيع بالحقد والضغينة هذين ان نتحرر من العبوديات ، وان نعيش اسياد ارضنا واسياد انفسنا .

مع المستشرق كراتشكوفسكي : خليل تقي الدين

- هذا حديث فيه كثير من المتعة والفائدة ، ولكن الرأي الذي نقله الينا الاستاذ تقي الدين عن المستشرق كراتشكوفسكي بشأن لحاق اللغة العربية بالمخترعات الحديثة والتعبير عنها ، ليس يخلو من بعض الغلو .

ذلك ان اللغة العربية قادرة على اللحاق بالمخترعات الحديثة والتعبير عنها ، من غير حاجة الى هذه الطريقة التي يراها المستشرق الكريم . أي أن نأخذ الكلمات الاجنبية كما هي في لغتنا الاصلية ، ثم نتركها للاستعمال يصقلها ويهذبها .

فان في صلب لغتنا العربية طاقة قوية ، كامنة في مبادىء الاشتقاق والمجاز والنحت ، مضافاً اليها مبدأ التعريب الذي يعنيه رأي المستشرق كراتشكوفسكي . وهذه المبادىء تمد اللغة العربية بالمرونة والقدرة على التكيف والتطور في كل حين.

ولكن استخدام هذه المبادىء ، لا يغني فيه جهد الافراد، فلا بد من جهود الهيئات تتضافر فيها المعرفة الواسعة والاختصاص

في مختلف فروع العلم ، الى جانب الاطلاع المكين في فقه اللغة ومفرداتها واساليبها التعبيرية والجمالية .

الحبيب الاسمر : شعر أمين نخلة

ليس شيء في هذه القطعة يصور « الحبيب الأسمر »... ولو لم يكن هذا هو العنوان ، ولو لم تكن لفظة « اسمر » في شطر البيت الاول ، لما كان لنا ان نلمح من « سمرة » هذا الحبيب ما نشتهي ان نلمح ...

فليست القطعة — اذن — ذات موضوع ، وهذا بالذات ما انتقدته الشاعرة نازك الملائكة ، في العدد الماضي ، على « الطيب المستبد » لصلاح لبكي ، وقد احسنت التعبير في نقد هذا المأخذ الشائع في شعرنا القديم ، ومعظم شعرنا الحديث .

ولولا « والهوى اخضر » لكان هذا البيت خفيف القدر جداً في ميزان الشعر :

النهر والجسر ثم موعدنا　　خلف البساتين والهوى اخضر

اما هذا البيت :

كأنّ في دله ومشيته　　غصنين جاءا ، وثالثا قصر

فأنك تستحلي جرسه ولفظاته ، ولكنك تطلب منه صورة لذهنك ، فكأنك تقبض الريح ... وهذا شأنك مع الشطر الثاني من هذا البيت :

مصوغة منه مهجتي قطعاً　　محبوكة بالقوام والمئزر

ويعود بنا الشاعر الأنيق المجدد الى مبالغات المتنبي « العتيقة » في « اغنية الوصل » :

لو يبيت العمر نهر طلا　　وعبينا ، ما تروّينا !

وهم الخلود : توفيق عواد

صديقنا توفيق عواد زاهد بقيم الحبر والورق ، كافر بحقيقة الخلود ، فما «سر» هذا الزهد ، وما مصدر هذا الكفر ؟

لو قالها غير توفيق عواد ، لقلنا : ليس هذا زهداً ولا كفراً ، ولكنها انطفاءة الشعلة المقدسة : شعلة الفن !

أفهل تكون «لنعمة» الوظيفة يد في «زهدك» و «كفرك» يا أبا ربيع ؟.

الى عينين شماليتين : نزار قباني

ونزار قباني في لندن ، وفي عمل له بسياسة لندن الف سبب ونسب ، ولكنه — سامحه الله — لا يرى هناك إلا « عينين شماليتين » .. ولكن هذا الختام ؟ :

تاهت بعينيها .!. وما علمت　　أني عبدت بعينها وطني

وطنك — يا نزار — يحتاج اليوم الى عبادة .. ولكن عبادة الحرية ، لا عبادة «عين» خضراء ، أو «زرقاء» في لندن !

شعرة : محمد محمود عماد — القاهرة

أهذا شاعر ، ويعيش في القاهرة هذه الايام ، ويلهو بشعرة سقطت على صدره من رأس امرأة ؟

لا ، لن أصدق ، فاذا كان محمد محمود عماد شاعراً — ويظهر أن هذا صحيح — فليس هو من القاهرة ، ولا من مصر ، ولا من اي بلد عربي ، ولعله من المريخ ، او جزر «واق الواق» !

الشرقي الجديد وميراثه القديم — أنيس المقدسي

يعجبني في هذا الأديب الشيخ أنه يعيش زمنه شاباً فتياً ، فهو يتطور مع الزمن ، وهو بهذا التطور يدرك سير الحياة ، ويحس حركة التاريخ ، وتجري مفاهيمه الفكرية طيعة مرنة لا تتجمد ولا تتصلب ، ولا تنكمش .

هكذا هي ، على الأقل ، في هذا المقال المركز التفكير .

معنى القومية العربية : الدكتور عبد العزيز الدوري

من الخير ، كل الخير ، ان يكون باحث مثل الدكتور الدوري ، قد بدأ تفكيره القومي ينظر الى امام أكثر مما يتطلع الى وراء ، ولكنه ما يزال يتطلب حلول مشاكلنا الحاضرة من التاريخ ، وما يزال يبتعد بهذه المشاكل عن أسبابها وعواملها الواقعية الراهنة .. فهو ما يزال يقول :

« ... ووقعنا ، بعد ذلك ، في مشاكل وهزات عنيفة لأننا لم نفهم جذور هذه الأمة ، ولم نهيء الجو الصالح لما اقتبسناه » .

ليست جذور هذه الأمة — يا سيدي — « طلسما » يستعصي حله ، وإنما هي امة كسائر الأمم ، لها تاريخ معروف ، واضح ، مفهوم ، خضع لتيارات وتطورات تاريخية وموجات بشرية : سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية كان لكل منها ، في زمنها ، تأثيرها الخاص ، وطابعها المتميز بتميز ظروفها الزمانية والمكانية والبشرية .

وهذه الأمة نفسها اليوم تقع في مشاكل وهزات معروفة المصادر والموارد .. مصادرها ومواردها جميعاً ترجع إلى امر واحد معروف : هو الاستعمار ؛ ولا شيء غير الاستعمار ، فلماذا الابتعاد عن الواقع ، الماثل ، الشاخص كالعملاق ؟

دوّامة الغبار : فدوى طوقان

أما فدوى ، فيبدو انها تصنع « دوامة الغبار » حول ذاتها عن قصد وعمد . ويخيل إلي انها لو عادت الى طبيعتها الشعرية ، لخرجت من « الدوامة » بشاعرية جديدة ، اكثر انطلاقاً ، واوسع افقاً ، ولعلها تستطيع حينذاك ان تعرف الحياة على غير وجهها الكالح الذي تتمثله الآن ..

القنبلة الهيدروجينية : قدري حافظ طوقان

ما لي وللقنبلة الهيدروجينية ، من حيث تركيبها العلمي ؟. ولكن ما بال استاذنا العالم يتساءل ، في مقدمة بحثه هذا ، كما كان يتساءل جماعة الأخلاقيين ، والميتافيزيكيين ، حين كان يروعهم هذا التناقض بين تقدم العلم والحضارة ، وبين اضطراب الانسان في قبضة القلق والكراهية والاقتتال والتدمير ، ما باله يتساءل مثلهم هكذا :

— « ماذا جرى لعقل الانسان » ? هل « الانسان قد فقد الملاءمة بينه وبين بيئته » ?

هكذا كانوا يظنون الأمر .. كانوا يعللون هذا التناقض بان فتوحات العلم جاءت باهرة للانسان ، على حين لم تكن « نفسه » مستعدة لاحتمال هذه الروعة «العقلية» ، ومن هنا اختل التوازن بين عقله ونفسه ، فلم يستطع الملاءمة بين حضارته وبيئته .

كان هذا التعليل ، يوم كان علماء الأخلاق والاجتماع يعيشون على هامش الحياة ، يوم كانت النزعة « الميتافيزيكية » سيدة الموقف في امر تفكيرهم ، يوم كانوا يرون كل جانب في الحياة منفصلاً عن الجانب الآخر لا يتصل معه بحال .

أما اليوم ، فقد دخل العلم والفكر قلب الحياة ، فانكشف سر المعركة .. وظهر ان المسأله ليست مسألة « توازن » او « فقدان توازن » بين العقل والنفس ، ولكنها مسألة صراع بين المصالح الاقتصادية ، صراع بين شهوة الربح وحاجة العيش ، صراع بين الاستعمار وبين الشعوب التي انطلقت تريد التحرر من الاستعمار . هذا « سر » المسألة يا سيدي .

حبال الموت : (أقباس من تراثنا القديم)

لست أدري : اي توافق بين اختيار هذا اللون من التراث ، وبين فاتحة منير البعلبكي التوجيهية ? . أليس هذا انحرافاً عن « المنهج » ? .

أليس في تراثنا القديم ، خير من هذه الفلسفة البالية للموت والحياة ، هذه « الجرعات » من الافكار المخدرة تملأ النفوس يأساً وقنوطاً واستسلاماً ? . أيكفي أن يكون هذا الشعر عذب النغم ، حلو السبك ، وهو « السم » الزعاف أثراً ?

الرمس القائم : ذو النون ايوب

هذه قصة من جوهر « المنهج » ، أتراها تشفع باختيار « حبال الموت » ? .

إني لارى في « ذو النون » ، هذه المرة ، حرارة ذات طاقة هائلة ، ووهج عارم ، فمن اين لك هذا « الجديد » يا صديقي ?.

مصرع عنكبوت : مصطفى محمود

ها قد بدأ الشاعر الملهم يخرج من « شبكة العنكبوت » فيرى إلى « جراد الفساد ينتشر » .

وأفاعي الحرمان جائعة تتلوى فيطفر الشرر ...

ولكنه ما يزال في اول « الصدمة » ، ومن هنا تراه يلهج « بالنسيان » و « الكفر » ، ومن هنا يخيل اليه ان « عقود الآمال تنتثر » .

وسيصحو من « الصدمة » ، وحينذاك سيرى هؤلاء الذين هم في عينيه الآن « عناكب بشر » قد استحالوا عمالقة ضخاماً يملأون الآفاق . . .

فن التصوير والمجتمع : مصطفى فروخ

هذا رجل مجاهد ، فقد ادرك رسالة الفن ، وادرك صلتها بالحياة والناس ، فامتلأت نفسه إيماناً بها ، وعمر فن الحياة ضميره وطنية وحباً وخيراً وصدقا .

المحسنون : حارث طه الراوي

هذه حكاية « المحسنين » حقاً ... لقد صورها حارث — سلمت يده — من أقرب « الاشياء » تناولاً للمصور الشاعر الذي يحيا في مجتمع يكثر فيه « المحسنون » ... بقدر ما يكثر فيه اليتامى الجائعون المشردون !.

واقع الكتاب العربي : بهيج عثمان

... وأراني اجتزت « ظلال على بعلبك » لأننا أطلنا الوقوف اجيالاً كثيرة تحت هذه « الظلال » وعجبت للصديق خليل الهنداوي — وهو الاديب الحي — ان يعود الى « ظلال بعلبك » في هذا الزمان و « القافلة » تسرع بالمسير ...

وأراني أجتاز « الخطى الحائرة » للشاعر التونسي ، محمد عربي صمادح ، لان خطى تونس اليوم ليست حائرة ، فقد عرفت الطريق ، ومشت على اسم الله — ولن تعود ، ولن تقف ، ولن تتحير او تتردد ، فليبق الشاعر وحده — اذن — في « الخطى الحائرة » .

ولنقف قليلاً مع بهيج عثمان يحدثنا عن « واقع الكتاب العربي » .

هوذا يحدث عن خبرة وتجربة ومعاناة ، هوذا يقول للمتخلفين ، والمجدبين و « المقعنسين » :ليس الكتاب العربي في محنة ، وانما المحنة في رؤوسكم انتم ، وفي نفوسكم انتم يا هؤلاء !

هوذا بهيج يقول لاولئك الذين طالما تجنوا على القارىء العربي انواعاً من التجني :

— إن « ظهور عدد من الكتب التي سبرت الغور ، اكثر مما قاست السطح ، والتي امتدت عمقاً حتى بلغت الجذور اكثر مما ذهبت عرضا — إن ظهور هذه الكتب ، بدد ظن القائلين برغبة القراء في السهل القريب المبسط دائماً » .

ولكن ازمة الكتاب العربي الواقعية ، هي ازمة الحرية وحدها ، كما ادركها بهيج عثمان بخبرته وتجربته ومعاناته ، وكما نعرفها جميعا ، في محنة الحرية التي نعانيها جميعا ! .

حسين مروه